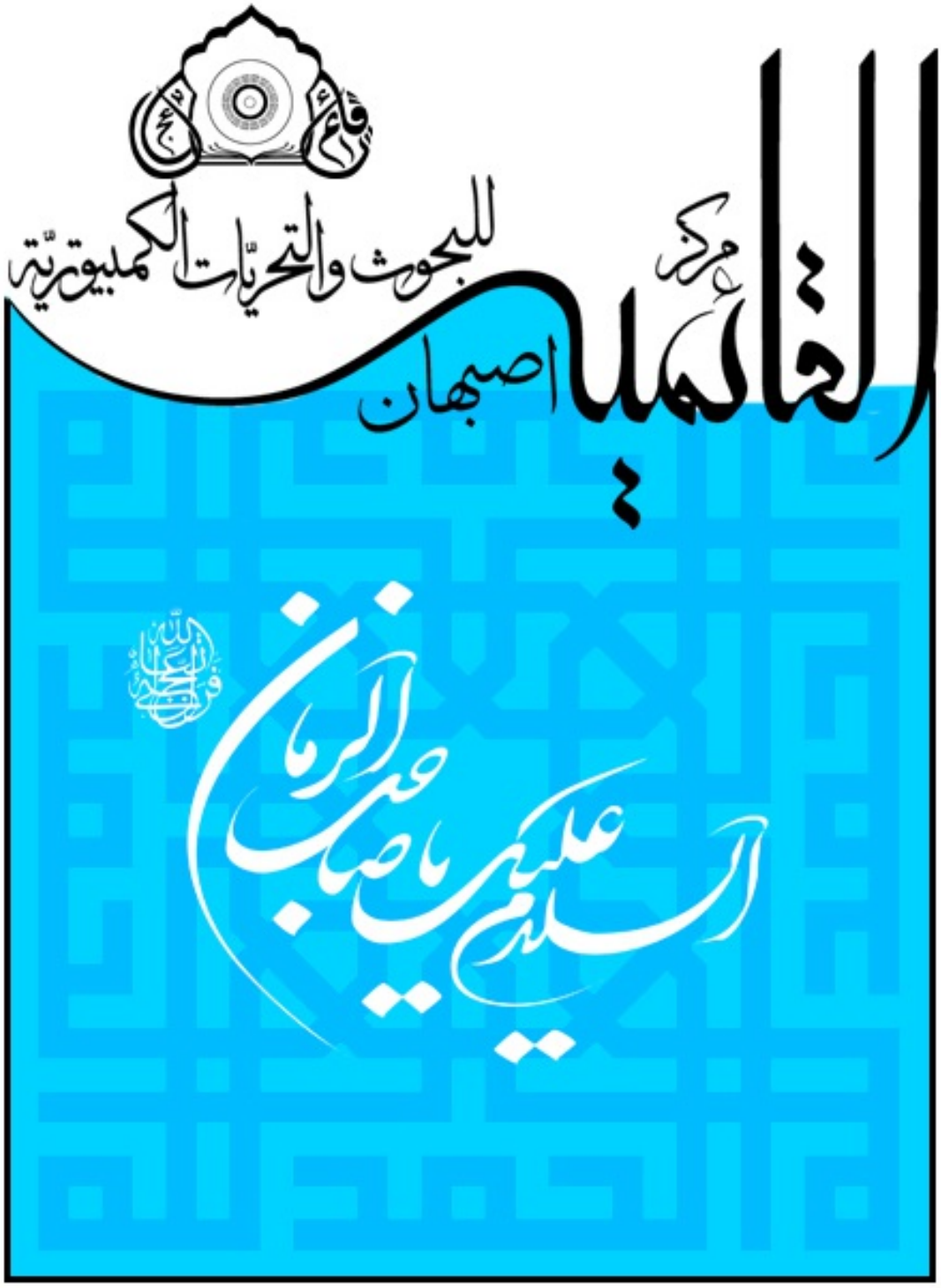

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

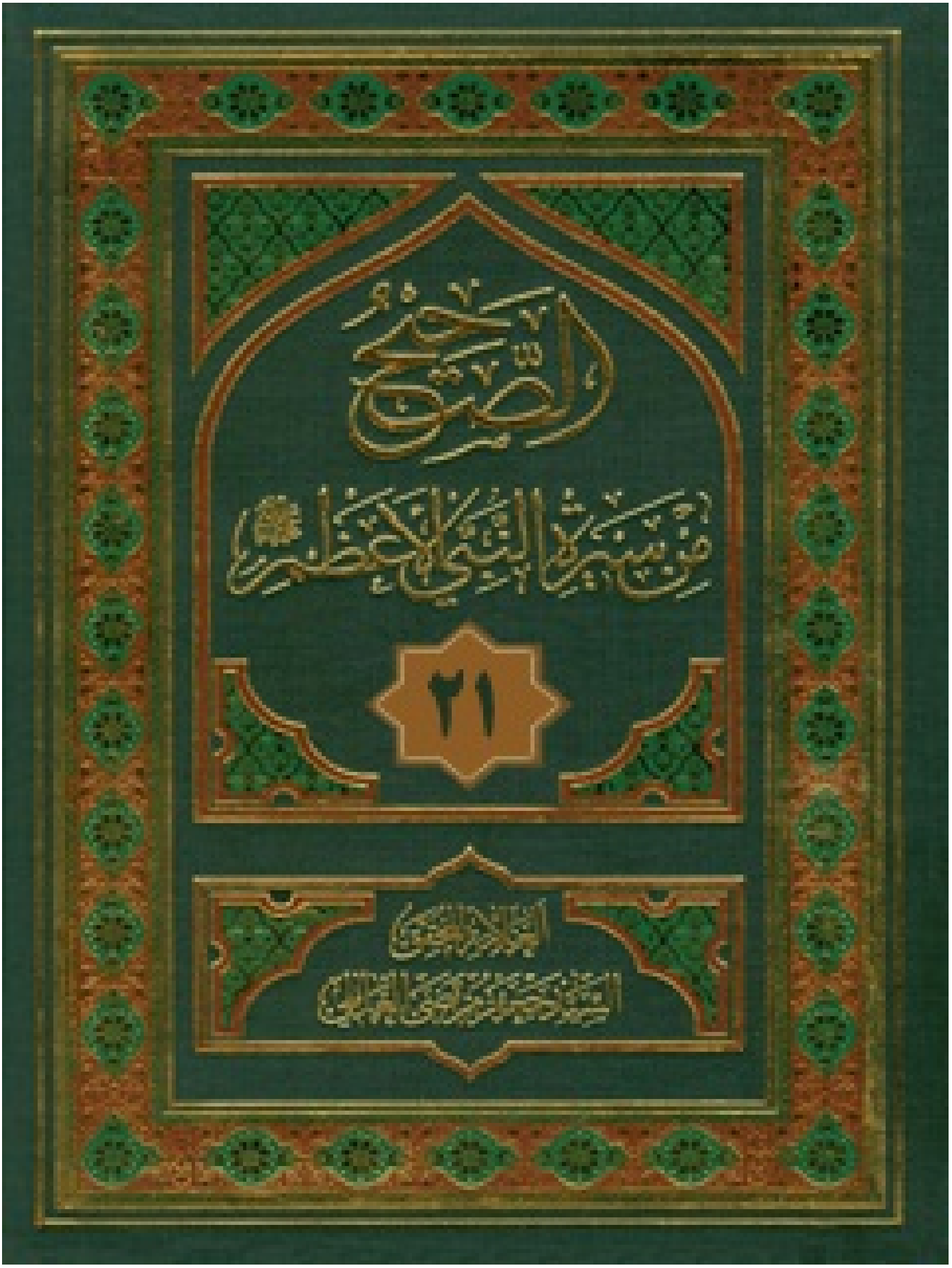
الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۲۱ ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
القسم التاسع فتح مکة ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
الباب الأول إلی مکة ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۵
الفصل الأول: المجزرة ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
بدایة: ----- ۱۵
تاریخ فتح مکة: ----- ۱۵
یوم خروج النبی صلّی اللّه علیه و آله من المدینة: ----- ۱۷
یوم دخول مکة: ----- ۱۷
مدة الإقامة فی مکة: ----- ۱۸
خطأ فی البخاری: ----- ۲۰
شهر رمضان لماذا؟!: ----- ۲۰
الأحلاف فی الجاهلیة و الإسلام: ----- ۲۱
حلف خزاعة: ----- ۲۱
سبب حلف خزاعة: ----- ۲۲
حلف أهل الباطل: ----- ۲۳
لا حلف فی الإسلام: ----- ۲۳
مرتکزات حلف عبد المطلب و خزاعة: ----- ۲۴
قریش تنقض العهد: ----- ۲۵

سبب نقض العهد واحد: ۲۷
إستغلال الضغائن: ۲۷
الغدر بالضعفاء، و بالصبيان و النساء: ۲۸
القسوة .. لماذا؟!: ۲۸
حرمة الحرم لدى قريش: ۲۸
هل ندموا حقا؟! ۲۹
بنو نفاثة يسرقون الحاج: ۳۰
بديل بن ورقاء و ما جرى: ۳۰
بين الثأر .. و القصاص: ۳۱
الفصل الثاني: إلى المدينة: خبر و شكوى ۳۲
اشارة ۳۲
النبي صلّى اللّه عليه و آله يخبر بالغيب عن نقض العهد: ۳۲
لماذا عائشة دون سواها؟!: ۳۳
حرت في أمر خزاعة: ۳۳
سلب الألطاف الإلهية: ۳۴
النبي صلّى اللّه عليه و آله .. و نصر بني كعب: ۳۵
نوفل يضيع الحق: ۳۷
غضب النبي صلّى اللّه عليه و آله لبني كعب: ۳۸
نصرت يا عمرو بن سالم: ۳۸
لا نصرني اللّه إن لم أنصر بني كعب: ۳۹
السحابة تستهل بنصر بني كعب: ۴۰
دخل بيت عائشة أم ميمونة؟!: ۴۰
ابن ورقاء أول المخبرين: ۴۱
عينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تدمعان: ۴۲

قام و هو یجر رداءه: ---- ۴۳
النبی صلّی اللّه علیه و آله یأمر مخبریه بالتفرق فی الأودیة: ---- ۴۳
الفصل الثالث: أبو سفیان فی المدینة: تدلیس و خداع ---- ۴۴
اشارة ---- ۴۴
عروض النبی صلّی اللّه علیه و آله و رفض قریش: ---- ۴۴
مساع فاشلة لأبی سفیان: ---- ۴۶
ترتیب الأحداث: ---- ۵۱
سؤال و جوابه: ---- ۵۲
علی ماذا ندمت قریش؟!: ---- ۵۲
أبو سفیان ینقض العهد: ---- ۵۳
الخیارات العادلة: ---- ۵۳
سیاسات یعرفها الجمیع: ---- ۵۴
آراء لا یحسدون علیها: ---- ۵۴
تحدید المتهم بدقة: ---- ۵۵
عرام بنی نفاثة: ---- ۵۵
بنو نفاثة یعظمون الحرم: ---- ۵۵
الخبر الیقین: ---- ۵۵
رؤیا هند بنت عتبة: ---- ۵۶
أبو سفیان هو المسؤول: ---- ۵۶
تجدید العهد، و زیادة المدة: ---- ۵۷
أسالیب استخبار اتیة فاشلة: ---- ۵۸
أبو سفیان فی المدینة: ---- ۵۸
خیار الهروب إلی الأمام: ---- ۵۹
التدبیر الصارم: ---- ۶۰

مواقف مزعومة، بل موهومة: ۶۱
جواری جوار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۶۳
هل تجیر الزهراء علیها السلام؟!: ۶۴
قد أجارت أختک: ۶۴
أخت الزهراء علیها السلام: ۶۵
مری ابنک: ۶۵
هما صبیان: ۶۶
قریش فی مأزق: ۶۷
کلمی علیا: ۶۷
سید کنانة!! یطلب النصیحة!!: ۶۸
قریش تتهم زعیمها: ۶۸
الفصل الرابع: جیوش تجتمع .. و الهدف مجهول ۶۹
اشارة ۶۹
استشارة أبی بکر و عمر فی أمر مکة: ۶۹
أبو بکر یفشی سرّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۷۰
ذل العرب .. و ذل أهل مکة: ۷۲
حدیث فاطمة علیها السلام کان فی عام الفتح أیضا: ۷۲
جهزینا، و أخفی أمرک: ۷۵
عائشة تفشی سر النبی صلّی اللّه علیه و آله: ۷۵
للمباغتة و جهان: ۷۷
مکث ما شاء اللّه: ۷۷
التجهیز لسفر مبهم: ۷۸
نجاح الخطة: ۷۸
الأخذ علی الأسماع و الأبصار: ۷۹

حتی نبغتها فی بلادها: ۷۹
لماذا الحدیث عن قریش دون بنی بکر؟!: ۷۹
أبو بکر و عائشة فی مأزق: ۸۰
أبو بکر یصر علی النبی صلی اللّه علیه و آله إلی حد الإحراج: ۸۱
أ لیس بینک و بینهم مدة؟!: ۸۲
السیطرة علی المسالک: ۸۲
إلی بطن إضم: ۸۳
إشارة لما سبق: ۸۴
النفیر العام: ۸۴
الحضور إلی المدینة فی شهر رمضان: ۸۵
إبان المسیر إلی قریش: ۸۵
الفصل الخامس: ابن أبی بلتعه .. یتجسس و یفتضح ۸۶
اشارة ۸۶
اکتشاف تجسس ابن أبی بلتعة لقریش: ۸۶
نص الکتاب: ۸۸
التدخل الإلهی: ۸۹
لعلها عدة رسائل: ۹۵
مقدار الجعل علی حمل الرسالة: ۹۵
هل نافق حاطب؟!: ۹۶
المخبأ العتید: ۹۶
الفضل لعلی علیه التلام: ۹۶
الحرس علی الطریق وشی بالخائن: ۹۷
رسالة تهدید أم تحذیر؟!: ۹۷
دقة معلومات حاطب: ۹۷

خبر السماء: ۹۸
ألا يكفى على عليه السلام وحده؟!: ۹۸
خذوه منها، فإن أبت فاضربوا عنقها: ۹۹
الصلاة جامعة لماذا؟!: ۱۰۰
حاطب ينفى الشک و النفاق: ۱۰۱
تهديد المتهم: ۱۰۱
ردها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۰۲
حاطب يلتفت إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله ليرقّ له: ۱۰۲
قيمة العفو .. و الاستغفار: ۱۰۳
عذر حاطب: ۱۰۳
للنبى صلّى اللّه عليه و آله أن يعفو عن حاطب: ۱۰۴
عمر: مرنى بقتله: ۱۰۴
منقبة عظيمة لحاطب: ۱۰۵
لعل اللّه اطلع على أهل بدر!!: ۱۰۶
إصرار عمر لماذا؟!: ۱۰۷
الجرأة على الدماء: ۱۰۸
الفصل السادس: على طريق مكة ۱۱۱
اشارة ۱۱۱
إستخلف على المدينة و خرج!!: ۱۱۱
عشرة آلاف مقاتل: ۱۱۲
تأويلات و تفاصيل: ۱۱۴
لا يزال المقصد مجهولا: ۱۱۵
توضيح عن المقدمة: ۱۱۶
إلى أين يا رسول اللّه؟!: ۱۱۷

لا بد من جواب: ---- ۱۱۸
حیث یشاء اللّه: ---- ۱۱۸
إستنفار العرب: ---- ۱۱۹
سلیم ترید الحظوة عند النبی صلّی اللّه علیه و آله: ---- ۱۱۹
نخوة الجاهلیة: ---- ۱۲۰
بیض النساء و أدم الإبل فی بنی مدلج: ---- ۱۲۰
الرفق بالحیوان .. مسؤولیة شرعیة: ---- ۱۲۲
صیام النبی صلّی اللّه علیه و آله فی السفر: ---- ۱۲۳
أین أفطر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟!: ---- ۱۲۵
حدیث الصیام باطل من أصله: ---- ۱۲۶
حدیث شق علیهم الصوم: ---- ۱۲۸
الفصل السابع: هجرة العباس .. و إسلام ابن الحارث و ابن أبی سلمة ---- ۱۲۸
اشارة ---- ۱۲۸
إسلام العباس و هجرته: ---- ۱۲۹
وساطة أم سلمة: ---- ۱۳۰
هجرة العباس آخر هجرة: ---- ۱۳۳
الهجرة لم تنقطع: ---- ۱۳۵
الطلقاء لیسوا من الصحابة: ---- ۱۳۸
العباس یتلقی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ---- ۱۳۸
أین لقی العباس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟!: ---- ۱۳۹
تناقض و اختلاف الروایات: ---- ۱۴۰
النبی صلّی اللّه علیه و آله لا یرد السلام و لا یقبل التوبة: ---- ۱۴۰
تاللّه لقد آثرک اللّه علینا: ---- ۱۴۲
و من أحسن قولا من اللّه: ---- ۱۴۳

هنات و هنات فی روایة الواقدی: ۱۴۳
اشارة ۱۴۳
ألف: اعتراض أم سلمة: ۱۴۴
ب: أبو سفیان بن الحارث، و الإسلام: ۱۴۴
ج: علم ابن الحارث بقدوم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۱۴۴
د: هل سیفرح المسلمون بإسلام ابن الحارث؟!: ۱۴۵
ه: بطولات أبی سفیان بن الحارث فی حنین: ۱۴۵
و: یا للأنصار! یا للخزرج!!: ۱۴۵
ز: سؤال النبی صلّی اللّه علیه و آله عن أبی سفیان بن الحارث: ۱۴۵
عمر یغری بأبی سفیان بن الحارث: ۱۴۶
الفصل الثامن: أبو سفیان فی أیدی المسلمین ۱۴۶
اشارة ۱۴۶
زعماء یربأبهم النبی صلی اللّه علیه و آله عن الشرک: ۱۴۷
منام أبی بکر: ۱۴۸
جیش الإسلام فی مر الظهران: ۱۴۸
إنه لیس بملک: ۱۵۴
من الذی کان مع أبی سفیان؟!: ۱۵۵
لم یبلغهم حرف واحد: ۱۵۵
تزویر الحقائق: ۱۵۵
عشرة آلاف نار لماذا؟!: ۱۵۶
لقد تأکد لدیهم: ۱۵۶
إن لقیت محمدا فخذ لنا أمانا: ۱۵۶
العباس الناصح لقریش علی بغلة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۱۵۷
علم العباس بمکان أبی سفیان: ۱۵۷

عمر و أبو سفیان: ۱۵۸
ترهات و أکاذیب: ۱۵۹
بدیل بن ورقاء خزاعی: ۱۶۰
ما هذا التصافی و الإنسجام؟!: ۱۶۰
حماس عمر لقتل أبی سفیان: ۱۶۱
تناقضات مواقف عمر و أبی بکر: ۱۶۱
لا مبرر لقتل أبی سفیان: ۱۶۳
اتهام العباس لعمر بن الخطاب: ۱۶۳
إسلام العباس .. و إسلام الخطاب: ۱۶۴
جوار العباس: ۱۶۴
هل مکث أبو سفیان عند النبی صلّی اللّه علیه و آله عامة اللیل؟: ۱۶۵
ملک أم نبوة؟!: ۱۶۶
عمر لا یراعی مجالس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۱۶۶
أبو سفیان یخاف من الأذان و الصلاة!!: ۱۶۷
أسلم تسلم: ۱۶۸
المعادلة التی اعتمد علیها أبو سفیان: ۱۶۸
لو لا المعجزة لم یسلم أبو سفیان: ۱۶۹
العتاب و الجواب: ۱۶۹
تصحیح اشتباه: ۱۷۰
الفهارس ۱۷۱
اشارة ۱۷۱
۱- الفهرس الإجمالی ۱۷۱
۲- الفهرس التفصیلی ۱۷۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۱۷۸

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص) المجلد۲۱

اشارة

سرشناسه : عاملى، جعفر مرتضى، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پديدآور : الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)/ جعفرمرتضى العاملى

مشخصات نشر : سحر گاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهرى : ج ۱۰

شابـــک : ۱۳۰۰۰۰ريـال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريـــال(دوره کامـــل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ريال(دوره کامل)

وضعيت فهرست نويسى : فيپا

يادداشت : عربى.

يادداشت : کتاب حاضر در سالهاى مختلف توسط ناشرين مختلف منتشر گرديده است.

يادداشت : افست از روى چاپ بيروت: دار السيره

يادداشت : جلد دهم: الفهارس

يادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پيامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سر گذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاريخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندى کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسى ملى : م۷۷-۱۵۹۲۹

القسم التاسع فتح مكة

اشارة

الباب الأول: إلى مكة

الباب الثانى: فتح مكة

الباب الثالث: نهايات فتح مكة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷

الباب الأول إلى مكة

اشارة

الفصل الأول: المجزرة
الفصل الثانى: إلى المدينة: خبر و شكوى
الفصل الثالث: أبو سفيان فى المدينة: تدليس و خداع
الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. و الهدف مجهول
الفصل الخامس: ابن أبى بلعته .. يتجسس و يفتضح
الفصل السادس: على طريق مكة
الفصل السابع: هجرة العباس .. و إسلام ابن الحارث و ابن أبى سلمة
الفصل الثامن: أبو سفيان فى أيدى المسلمين
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹

الفصل الأول: المجزرة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱

بداية:

إن فتح مكة كان نقطة تحول فى تاريخ الإسلام، و فى الأوضاع العامة فى الجزيرة العربية بأسرها ... حيث لم يعد أحد يجد أى عقدة أو حرج من أية جهة كانت فى الإقبال على هذا الدين، و الإنضواء تحت لواء الإسلام، بل أصبح ذلك موضع تنافس، و تسابق، لأنهم وجدوا فيه فرصة لتعزيز موقعهم، و تأكيد وجودهم و دورهم فى صنع المستقبل، و رسم مسار الأمة بأسرها إلى مصيرها ..

و أصبح أعداء الأمس و صناع الحروب ضد هذا الدين و أهله أتباعا بل أذنابا، أكثر ما يهتمون له هو: أن يجدوا وسيلة لتأكيد صدق ولائهم، و صحة إيمانهم، و سلامة اعتقادهم .. أو أن يظهروا المزيد من الحرص على كسر شوكة أعداء دين اللّه، و النكاية فيهم، و صدقهم فى مناهضتهم و ردّ عاديتهم ..

و أصبحت لا تسمع منهم إلا المدح و الثناء، و إلا العبارات الطافحة بالرضا، و المعبرة عن مشاعر العرفان بالجميل، و عن الشعور بالإمتنان، و بالشكر الجزيل لمن كان بنظرهم قاطعا للرحم، و سببا فى الخلاف و فى الاختلاف، و من وصفوه بالكاهن و الساحر و المجنون، و بالشاعر الذى يتربصون به ريب المنون ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲

فكيف كان هذا الفتح، و ما هى تفاصيل أحداثه؟

هذا ما سوف نجيب عليه فى الفصول الآتية.

تاريخ فتح مكة:

روى عن الإمام الرضا، عن آبائه «عليهم السلام»: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سافر إلى بدر فى شهر رمضان، و افتتح مكة فى

شهر رمضان «۱».

و فى الروايات التاريخية أيضا: إن الفتح كان فى يوم الجمعة «۲».

و القول: بأنه كان فى شهر رمضان سنة ثمان مروى عن ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و أبى سعيد الخدرى و غيرهم، بل لا خلاف فى أن هذه

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۲۷۳ و ج ۲۱ ص ۱۱۶ و راجع ج ۹۷ ص ۱۶۸ و أمالى ابن الشيخ ص ۲۱۸. و راجع: الأمالى للطوسى ص ۳۴۲ و مسند الإمام الرضا ج ۲ ۴۷۹ و ميزان الحكمة ج ۳ ص ۲۲۴۹ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۲۹ و مشارق الشموس للخوانسارى ج ۲ ص ۳۷۰ و الحدائق الناضرة ج ۳ ص ۱۸۸ و الإستبصار ج ۲ ص ۱۰۲ و تهذيب الأحكام ج ۴ ص ۱۲۶ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۰ ص ۲۰۱ و (ط دار الإسلامية) ج ۷ ص ۲۴۳ و منتهى الجمان ج ۲ ص ۵۲۰.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷. و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۴۳ و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۲ ص ۱۳۷ و (ط دار الكتب العلمية) ج ۱ ص ۳۹۱ و البداية و النهاية (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۳۲۲ و زاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ۱ ص ۱۰۹۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۷۷ و ۲۳۲ و نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۹۵ و أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية (ط دار الكتب العلمية) ج ۲ ص ۶۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳

الغزوة كانت فى شهر رمضان «۱»، فلا حاجة إلى تفصيل القول فى ذلك.

و لكن الخلاف هنا هو فى ثلاثة أمور، هى:

۱- يوم الخروج من المدينة.

۲- يوم دخول مكة. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۱ ۱۳ تاريخ فتح مكة: ..... ص : ۱۲

۳- مدة الإقامة فى مكة.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۰ و ۲۶۵ و ۲۶۶ عن البخارى، و البيهقى، و أحمد، و الواقدى، و ابن إسحاق، و إسحاق بن راهويه، و مسلم، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۰ و ۷۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و ۱۱۱ و ۱۲۴ و ۱۲۷ و ۱۳۳ و ۱۴۳ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و عن البخارى ج ۷ ص ۵۹۵.

و راجع: السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۳۴۱ و ج ۶ ص ۵۵ و مقدمة فتح البارى ص ۳۷۱ و فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و التبيان ج ۵ ص ۱۹۸ و تفسير القرطبى ج ۶ ص ۶۰ و مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۱۱۹ و سبل السلام ج ۲ ص ۱۶۱ و ج ۳ ص ۵ و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۲ ص ۱۳۴ و ۱۳۷ و (ط دار الكتب العلمية) ج ۱ ص ۳۹۱ و البداية و النهاية (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۳۲۲ و التاريخ الصغير للبخارى ج ۱ ص ۵۸ و فتوح البلدان ج ۱ ص ۴۶ و زاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ۱ ص ۱۰۹۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۷۷ و ۲۳۲ و نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۹۵ و أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية (ط دار الكتب العلمية) ج ۲ ص ۶۴۰ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۵ و قصص الأنبياء للراوندى ص ۳۴۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۳۵۴ و ۵۳۹ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۲ و تاريخ خليفة بن خياط ص ۵۲. و غير ذلك من المصادر الكثيرة جدا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴

و نحن نذكر هنا موجزا عن هذه الأمور الثلاثة كما يلى:

يوم خروج النبى صلّى اللّه عليه و آله من المدينة:

روى عن الزهرى أنه قال: لا أدرى أخرج فى شعبان فاستقبل رمضان، أو خرج فى رمضان بعد ما دخل «۱».

و عن أبى سعيد الخدرى، قال: خرجنا مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۵ عن البيهقى، و راجع: السيرة النبوية لا بن كثير ج ۳ ص ۵۳۹ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۶ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳.

(۲) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۵ و ۲۶۶ عن أحمد بإسناد صحيح، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۷ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۸ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۷ و (ط دار المعارف) ج ۲ ص ۲۸۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۱ و ۵۴۲ صحيح ابن حبان (ط مؤسسة الرسالة) ج ۱۱ ص ۴۶ و (ط دار الفكر) ج ۵ ص ۸۴ و شرح معانى الآثار ج ۲ ص ۶۶ و مسند أبى حنيفة ج ۱ ص ۲۵۰ و صحيح ابن خزيمة ج ۳ ص ۲۶۴ و راجع: المبسوط للسرخسى ج ۳ ص ۹۱ و عن عون المعبود ج ۷ ص ۳۰ و (ط دار الفكر) ص ۳۹ و التمهيد للقرطبى ج ۲ ص ۱۶۹ و ج ۲۲ ص ۴۷ و مرقاة المفاتيح ج ۴ ص ۵۲۵ و السير الكبير للشيبانى ج ۱ ص ۶۶ و المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۷۷ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵

و قال آخرون: أنه خرج لعشر خلون من شهر رمضان «۱».

يوم دخول مكة:

و اختلفت أقوالهم فى يوم دخول مكة، فعن الزهرى: فصبح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۶ عن الواقدى، و ابن إسحاق، و عن إسحاق بن راهويه بسند صحيح عن ابن عباس، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۰ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و راجع: شرح مسلم للنووى ج ۵ ص ۲۳۴ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳ و الديباج على مسلم ج ۳ ص ۲۱۶ و عن عون المعبود ج ۷ ص ۳۰ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۲ و تاريخ خليفة بن خياط ص ۵۲ و مرقاة المفاتيح ج ۴ ص ۵۲۵.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۳ عن إعلام الورى و غيره، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۵ عن البيهقى بسند صحيح، و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۱ و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ۳ ص ۱۴۱ و (ط دار الكتب العلمية) ج ۷ ص ۱۹۰ و العلل لابن حنبل ص ۲۳۱ و السنن الكبرى للبيهقى (ط دار الفكر) ج ۴ ص ۲۴۱ و (ط أخرى) ج ۶ ص ۲۷۳ شرح مسلم للنووى (ط دار الكتاب العربى) ج ۵ ص ۲۳۳ و (ط دار الفكر) ج ۷ ص ۱۸۹ و الدر منثور ج ۶ ص ۴۰۸ و مسند أحمد (ط دار صادر) ج ۱ ص ۲۷۶ و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۱۰۷ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۴۳ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۷۴ و نصب الراية (ط دار الحديث) ج ۳ ص ۲۸ و منتخب مسند عبد بن حميد (ط مكتبة النهضة) ص ۲۱۷ و (ط دار عالم الكتاب) ج ۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶

و قيل: لاثنتى عشرة «۱».

و قيل: إنه دخل لست عشرة «۲».

و قيل: لسبع عشرة «۳».

و قيل: لتسع عشرة «۴».

و قيل: لعشرين من شهر رمضان «۵».

- ص ۲۱۶ و غرر الفوائد المجموعة ليحى بن على القرشى ص ۳۱۰ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۷ و نصب الراية ج ۳ ص ۲۸ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث) ج ۴ ص ۳۲۷ و (ط دار المعارف) ج ۲ ص ۲۸۳.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۵ و ۲۶۶ عن أحمد، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۵ و ۲۶۶ عن مسلم، و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳.

(۳) الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰۸ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث) ج ۴ ص ۳۲۶ و (ط دار المعارف) ج ۲ ص ۲۸۲ و السيرة النبوية لابن كثر ج ۳ ص ۵۴۱.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۵ و ۲۶۶ عن أحمد، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و شرح مسلم للنووى (ط دار الكتاب العربى) ج ۷ ص ۳۳۴ و (ط دار الفكر) ج ۷ ص ۱۸۹ و نيل الأوطار (ط دار الفكر) ج ۲ ص ۲۹۵ و (ط دار الجيل) ج ۴ ص ۳۱۱ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۴ ص ۱۵۸ و ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۴ ص ۶۹۰ و ج ۸ ص ۳۱۳ و عمدة القارى ج ۱۱ ص ۴۵ و الديباج على مسلم ج ۳ ص ۲۱۶.

(۵) البحار ج ۹۴ ص ۱۶۸ ج ۲۱ ص ۱۴۳ عن الكازرونى، و تاريخ خليفة بن خياط ص ۵۳ و تاريخ الأمم و الملوك (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۲ ص ۳۴۳ و السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد على صبيح) ج ۴ ص ۸۸۹ و (دار المعرفة)-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷

و قيل: لاثنين و عشرين من شهر رمضان «۱».

و رواية أخرى رددت: بين تسع عشرة، أو سبع عشرة «۲».

مدة الإقامة فى مكة:

و أما بالنسبة لمدة بقائه «صلى اللّه عليه و آله» فى مكة، فهو موضع خلاف أيضا.

فقيل: عشر ليال «۳».

و قيل: خمس عشرة ليلة «۴».

- ج ۴ ص ۶۰ عن ابن إسحاق، و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۱۰۷ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳ و الديباج على مسلم ج ۳ ص ۲۱۶ و نيل الأوطار (ط دار الفكر) ج ۲ ص ۲۹۵ و (ط دار الجيل) ج ۴ ص ۳۱۱ و ۳۱۲ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۶ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۴ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث) ج ۴ ص

۳۲۷ و ۳۶۹ و (ط دار المعارف) ج ۲ ص ۲۸۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۲ و تفسير أبى السعود ج ۹ ص ۲۰۸ و راجع: تفسير الثعالبى، و تفسير البغوى.

(۱) فتح القدير ج ۲ ص ۱۰ و تفسير القرطبى ج ۶ ص ۶۰ عن الضحاك.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۱ عن كتاب العدد، و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۶ و تاريخ بغداد ج ۱۲ ص ۱۰۸ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۲ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳ و شرح معانى الآثار ج ۲ ص ۶۸.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۱ و عن البخارى ج ۱ ص ۳۶۷ ح ۱۰۳۱ و ج ۴ ص ۱۰۶۴ ح ۱۰۴۶ و عن مسلم ج ۲ ص ۱۴۱ ح ۱۵ و المحلى ج ۵ ص ۲۷ و المجموع للنووى ج ۴ ص ۳۶۳ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۳ ص ۱۴۸.

(۴) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۰ عن البخارى، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۷۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸

و قيل: سبع عشرة «۱».

و قيل: ثمانى عشرة «۲».

- و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۱ و ج ۸ ص ۲۳۱ عن أبى داود، و عن ابن إسحاق، و النسائى. و راجع: مسالك الأفهام ج ۷ ص ۴۲۸ عن صحيح مسلم ج ۲ ص ۱۰۲۴ ح ۲۰ و نيل الأوطار ج ۹ ص ۲۶۹ و عن صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ۴ ص ۱۳۲ و تحفة الأحوذى ج ۳ ص ۹۳ و ج ۴ ص ۲۲۵ و تفسير كنز الدقائق ج ۲ ص ۴۱۵ و البحار ج ۲۱ ص ۱۴۳ عن الكازرونى، و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۲ ص ۱۴۳ و ۱۴۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۶۳ و السيرة النبوية ج ۳ ص ۶۰۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۳ ص ۱۵۱ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۲ ص ۳۴۰ و ج ۸ ص ۵۴۰ و تاريخ خليفة بن خياط ص ۵۲ و تفسير مجمع البيان ج ۵ ص ۳۴ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۲۳۰.

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۰ عن أبى داود، و راجع: الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۲ ص ۱۴۳ و كنز العمال ج ۸ ص ۲۳۹.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۱ و ج ۸ ص ۲۳۱ عن أبى داود، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۰ عن الترمذى، و راجع: الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۲ ص ۱۴۳ و ۱۴۴ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۱ ص ۴۱۹ و كنز العمال ج ۷ ص ۵۴۵ و ج ۸ ص ۲۳۷ و عن فتح البارى ج ۲ ص ۴۶۳ و تحفة الأحوذى ج ۳ ص ۹۳ و تلخيص الحبير ج ۴ ص ۴۴۹ و ج ۷ ص ۳۵۵ و سبل السلام ج ۲ ص ۴۰ و نيل الأوطار ج ۳ ص ۲۵۶ و مسند أحمد ج ۳ ص ۴۳۱ و ۴۳۲ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۲۷۵ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۳ ص ۱۵۷ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۲ ص ۳۳۸ و ۳۴۰ و ۴۱۹ و نصب الراية ج ۲ ص ۲۲۴ و ۲۲۵ و ۲۲۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۶۳ و السيرة النبوية ج ۳ ص ۵۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹

و قيل: تسع عشرة «۱».

و لعل التصحيف- بين سبع و تسع- هو الذى جعلهما قولين.

و قيل: عشرين «۲».

و قيل: بضع عشرة «۳».

و هذا قد لا يكون قولا جديدا، فإنه قد يكون موافقا لأحد الأقوال السابقة.

و هكذا يقال بالنسبة لقولهم: إنه بقى بقية شهر رمضان، و ستة أيام من شوال «۴»، فإنه قد يكون متوافقا مع أحد الأقوال المتقدمة.

خطأ فى البخارى:

روى عن ابن عباس: أن فتح مكة كان «على رأس ثمانى سنين و نصف من مقدم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المدينة» «۵».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۱ و ج ۸ ص ۲۳۰ عن البخارى و أبى داود، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۴ و تحفة الأحوذى ج ۳ ص ۹۳ و نصب الراية ج ۲ ص ۲۲۱.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۷۱ و تحفة الأحوذى ج ۳ ص ۹۴ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ۲۰۱ و تلخيص الحبير ج ۴ ص ۴۴۹.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۰ عن الإكليل، و راجع: عون المعبود ج ۱۴ ص ۳۷.

(۴) المصدر السابق.

(۵) صحيح البخارى (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۸ ص ۳۱۳ و (ط دار الفكر) ج ۵ ص ۹۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۶ عنه، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و عوالى اللآلى ج ۱ ص ۲۰۳ و مسند أحمد (ط دار صادر) ج ۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰

قال العسقلانى و غيره: «و هو وهم. و الصواب: على رأس سبع سنين و نصف» «۱».

و فى خلاصة السيرة: لسبع سنين و ثمانية أشهر، و أحد عشر يوما «۲».

و نقول:

إن هذا التحديد ليس دقيقا، و لأن الصحيح هو: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد قدم المدينة فى الثامن من شهر ربيع الأول «۳»، فيكون فتح مكة بعد مقدمه «صلى اللّه عليه و آله» المدينة بسبع سنين و ستة أشهر و أحد عشر يوما إذا كان فتحها فى التاسع من شهر رمضان المبارك ... و تقل الأيام و تزيد بحسب الاختلاف فى اليوم الذى دخل فيه «صلى اللّه عليه و آله» مكة،

- ص ۳۳۴ و (ط دار إحياء التراث العربى) ص ۵۴۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۲۴۱ و عن فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۴ ص ۱۵۴ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۷۳ و الدر المنثور (ط دار المعرفة) ج ۶ ص ۴۰۷ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۶۵۹ و نيل الأوطار (ط دار الفكر) ج ۲ ص ۲۸۸ و (ط دار الجليل) ج ۴ ص ۳۰۳ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۲۸ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۱.

(۱) فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۸ ص ۳ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۳۱۳ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۲۷۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۶ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷.

(۳) راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۱ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۶۱ و الدر المنثور (ط دار المعرفة) ج ۴ ص ۱۰۸ و (ط دار الفكر) ج ۵ ص ۹۷ و العلل فى معرفة الرجال لابن حنبل ج ۳ ص ۴۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱

حسبما أسلفناه فى الصفحات السابقة.

شهر رمضان لماذا؟!:

۱- لقد كانت سياسة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى كثير من حروبه مع أعدائه، و خصوصا فى غزوة الفتح، هى اعتماد عنصر المباغته.

و قد توفر هذا العنصر أيضا فى اختيار شهر رمضان المبارك، و هو شهر الصوم و العبادة، للقيام بحملة واسعة و كبيرة، لأن ذلك كان من الأمور التى يقلّ احتمالها فى حسابات الناس عادة، حيث يتوقعون إخلاد الناس للراحة فى هذا الشهر، و عكوفهم على العبادة، و عزوفهم عن الأسفار، حتى لا يضطروا لقضاء الصوم فى أيام فطر الناس.

و بذلك يصح اعتبار هذا التوقيت من العناصر التى ساعدت على مباغتة القوم، و مفاجأتهم كما هو ظاهر ..

۲- ثم إن لشهر رمضان أثره الإيحائى فى نفوس أهل الإيمان، من حيث أنه يهيئهم للعيش فى كنف اللّه، و الشعور بحضوره، و يؤكد علاقتهم به تبارك و تعالى. فكيف إذا انضم إلى ذلك أن حركتهم هذه إنما هى باتجاه بيت اللّه، و حرمه، و أقدس البقاع و أشرفها؟ و يقودهم و يرعاهم أفضل الأنبياء و أكرمهم و أشرفهم؟!.

و لعل أهم ما فى الأمر: أن ذلك يحقق درجة كبيرة من التمازج العملى فيما بين المعانى و القيم الإيمانية، و بين حركة الإنسان فى الحياة، و يعطى هذه الحركة معناها الروحى، و يتجلى ذلك فيها بعمق، و بوضوح، و يمنح الإنسان قدرة أكبر على الشعور بهذا التمازج، و تتفاعل مشاعره و أحاسيسه معه، و تحت و طأته.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲

الأحلاف فى الجاهلية و الإسلام:

قالوا: كانت خزاعة فى الجاهلية أصابت رجلا من بنى الحضرمى، و اسمه مالك بن عباد- و حلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رزن- و كان هذا الحضرمى قد خرج تاجرا، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه، و أخذوا ماله.

فمر رجل من خزاعة على بنى الديل بعد ذلك فقتلوه، فوقعت الحرب بينهم، فمر بنو الأسود بن رزن، و هم: ذؤيب، و سلمى، و كلثوم على خزاعة، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم.

و كان قوم الأسود منخر بنى كنانة يودون فى الجاهلية ديتين لفضلهم فى بنى بكر، و نودى دية.

فبينا بنو بكر و خزاعة على ذلك بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فحجز بالاسلام بينهم، و تشاغل الناس به، و هم على ما هم عليه من العداوة فى أنفسهم.

فلما كان صلح الحديبية بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و بين قريش، و وقع الشرط: «و من أحب أن يدخل فى عقد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فليدخل، و من أراد أن يدخل فى عقد قريش فليدخل»، دخلت خزاعة فى عقد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

حلف خزاعة:

و قالوا أيضا: و كانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم، و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك عارفا، و لقد جاءته خزاعة يومئذ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳

بكتاب عبد المطلب فقرأه عليه أبى بن كعب و هو:

«باسمك اللهم. هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سرواتهم و أهل الرأى، غائبهم مقر بما قاضى عليه شاهدهم، إن

بيننا و بينكم عهود اللّه و عقوده، و ما لا ينسى أبدا، اليد واحدة، و النصر واحد ما أشرف ثبير، و ثبت حراء مكانه، و ما بل بحر صوفة. و لا يزداد فيما بيننا و بينكم إلا تجددا أبد الدهر سرمدا».

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ما أعرفنى بخلقكم على ما أسلمتم عليه من الحلف! فكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة. و لا حلف فى الإسلام» «۱».

و فى الإمتاع: أن نسخة كتاب الحلف هى:

«باسمك اللهم. هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم و رجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة، تحالفوا على التناصر و المواساة ما بلّ بحر صوفة، حلفا جامعا غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ، و الأصاغر على الأصاغر، و الشاهد على الغائب، و تعاهدوا و تعاقدوا أوكد عهد، و أوثق عقد، لا ينقض و لا ينكث، ما أشرقت شمس على ثبير، و حنّ بفلاة بعير، و ما أقام الأخشبان، و عمر بمكة إنسان، حلف أبد، لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شدّا، و ظلام الليل مدا ..

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۰ عن فتح البارى ج ۷ ص ۵۹۲ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۱ و ۷۸۲ و شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج ۲ ص ۳۴۵ و مكاتيب الرسول ج ۳ ص ۱۳۰ و ۲۳۴ و ۲۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴

و أن عبد المطلب و ولده و من معهم و رجال خزاعة متكافئون، متظاهرون متعاونون، فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب، و على خزاعة النصرة لعبد المطلب و ولده و من معهم على جميع العرب، فى شرق أو غرب، أو حزن أو سهل. و جعلوا اللّه على ذلك كفيلا، و كفى باللّه جميلا».

فجاؤوا بعهدهم هذا إلى النبى «صلّى اللّه عليه و آله» فى الحديبية، فقرأه له أبى بن كعب، فقال رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله»: ما أعرفنى بحقكم و أنتم على ما أسلفتم عليه من الحلف «۱».

سبب حلف خزاعة:

و ذكروا عن سبب عقد هذا الحلف:

أنه لما مات المطلب بن عبد مناف، و ثب أخوه نوفل على ساحات و أفنية كانت لعبد المطلب، و اغتصبه إياها، فضطرب عبد المطلب لذلك، و استنهض قومه، فلم ينهض معه أحد منهم، و قالوا له: لا ندخل بينك و بين عمك.

فكتب إلى أخواله بنى النجار، فجاءه منهم سبعون راكبا، فأتوا نوفلا، و قالوا له: و رب هذه البنية، لتردنّ على ابن أختنا ما أخذت، و إلا ملأنا منك السيف، فرده.

ثم حالف خزاعة بعد أن حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۰ و ۷۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۰ و راجع: تاريخ الأمم و الملوك (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۲ ص ۹ و ۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۵

و نقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات عديدة، نقتصر منها على ما يلى:

حلف أهل الباطل:

قد اتضح مما تقدم: أن نوفلا كان متعديا على عبد المطلب غاصبا لحقه، و أن عبد المطلب حين لم ينهض معه أحد من قومه اضطر إلى الاستعانة بأخواله من بنى النجار، ثم حالف خزاعة، ليمتنع بهم إن تعرض له احد بظلم، لكى يدفع عن نفسه، و يعيش مرهوب الجانب عزيزا مكرما ..

و لكن نوفلا الذى ظلم عبد المطلب، و لم يتراجع عن موقفه إلا تحت وطأة التهديد باستعمال السيف، قد حالف بنى أخيه عبد شمس، ليتقوى بهم على مواصلة سيرته و نهجه، و هم لم يجدوا فى التحالف معه على ذلك أى حرج أو مانع ..

و شتان بين من يحالف جماعة ليتقوى بهم على إحقاق الحق، و بين من يحالف الآخرين ليتقوى بهم على إشاعة نهجه الإنحرافى و الظالم ..

لا حلف فى الإسلام:

و من خلال المعادلة المشار إليها آنفا ندرك صحة ما يرمى إليه قوله «صلّى اللّه عليه و آله»: «كل حلف فى الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة.

و لا حلف فى الإسلام».

فإن المقصود بالحلف الذى فى الجاهلية، و يزيده الإسلام شدة، هو الحلف الهادف إلى نصرة الحق، و المتضمن للتعاون، و التناصر، و المواساة، و دفع الظلم .. فإن الإسلام يشدد على الاستمرار فى هذا الاتجاه، و يؤكد على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶

الالتزام بمضمون كل حلف فيه هذه المزايا، و يدعو إلى دخول جميع الناس فى هذا الالتزام ..

و لكن الإسلام لا- يرضى بنشوء حلف فيما بين المسلمين ضد أى فريق آخر منهم أنفسهم، لأن معنى هذا هو: إقرار الإسلام حالة الإنقسام فيما بين أهل الصف الواحد، و أتباع النهج و الدين الواحد، فى حين أن دعوة الإسلام تقوم على اعتبار المسلمين يدا واحدة على من سواهم «۱»، و يريد لهم:

«أن يكونوا بمثابة أسرة واحدة متكاملة العناصر، لهم قيّم واحد، و هو النبى «صلّى اللّه عليه و آله» أو الإمام «عليه السلام»، و قد روى عنه «صلّى اللّه عليه و آله» قوله: أنا و على أبوا هذه الأمة «۲».

---

(۱) راجع: كتاب الأم للشافعى ج ۴ ص ۲۳۹ و ۳۰۲ و ج ۷ ص ۳۶۷ و ۳۷۰ و مختصر المزنى ص ۲۵۸ و ۲۷۲ و المجموع للنووى ج ۱۹ ص ۳۶۴ و ۳۶۵ و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۲۵ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۸۰ و الأمالى للشيخ الطوسى ص ۲۶۳ و البحار ج ۹۳ ص ۸۱ و ج ۹۷ ص ۳۲ و الغدير ج ۸ ص ۱۷۱ و ميزان الحكمة ج ۲ ص ۱۳۴۰ و ۱۳۴۱ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۸۹۵ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۹۲ و المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۹۹ و صحيح ابن خزيمة ج ۴ ص ۲۶ و شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۱۹۳ و المعجم الأوسط ج ۶ ص ۳۰۵ و المعجم الكبير ج ۲۰ ص ۲۰۶ و كنز العمال ج ۱ ص ۹۹ و السير الكبير للشيبانى ج ۲ ص ۴۸۲.

(۲) راجع: معانى الأخبار ص ۵۲ و ۱۱۸ و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۸۵ و (ط أخرى) ج ۱ ص ۹۱ و البرهان (تفسير) ج ۱ ص ۳۶۹ عن الفائق للزمخشرى، و عن ابن شهر آشوب. و الميزان (تفسير) ج ۴ ص ۳۵۷ عنه و عن العياشى. و من لا يحضره الفقيه ج ۴ ص ۲۳۵ و علل الشرائع ج ۱ ص ۱۲۷ و الأمالى للصدوق-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷

و تتشارك سائر العناصر فى بناء الحياة فى أخوة مسؤولة، متعاونة، و متكافلة،

- ص ۶۵ و ۴۱۱ و ۷۵۵ و كمال الدين و تمام النعمة ص ۲۶۱ و روضة الواعظين للفتال النيسابورى ص ۳۲۲ و خاتمة المستدرك للنورى ج ۵ ص ۱۴ و الغارات للثقفى ج ۲ ص ۷۱۷ و ۷۴۵ و مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمى ص ۴۶ و ۴۷ و كنز الفوائد ص ۱۸۶ و المناقب لابن شهر آشوب ج ۲ ص ۳۰۰ و العمدة لابن البطريق ص ۳۴۵ و سعد السعود للسيد ابن طاووس ص ۲۷۵ و الصراط المستقيم ج ۱ ص ۲۴۲ و ۲۴۳ و المحتضر لحسن بن سليمان الحلى ص ۳۵ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ۴۷ و البحار ج ۱۶ ص ۹۵ و ۳۶۴ و ج ۲۳ ص ۱۲۸ و ۲۵۹ و ج ۲۶ ص ۲۶۴ و ۳۴۲ و ج ۳۶ ص ۶ و ۹ و ۱۱ و ۱۴ و ۲۵۵ و ج ۳۸ ص ۹۲ و ۱۵۲ و ج ۳۹ ص ۹۳ و ج ۴۰ ص ۴۵ و ۵۳ و ج ۶۶ ص ۳۴۳ و ج ۷۱ ص ۱۱۶ و ج ۱۰۸ ص ۳۲۰ و ۳۷۶ و ج ۱۰۹ ص ۱۰ و ج ۱۱۰ ص ۳۶ و كتاب الأربعين للماحوزى ص ۲۳۸ و شرح الزيارة الجامعة للسيد عبد اللّه شبر ص ۴۳ و المراجعات ص ۲۸۶ و مستدرك سفينة البحار ج ۱ ص ۴۰ و ۴۱ و ج ۲ ص ۳۹۳ و ج ۹ ص ۲۶۴ و ج ۱۰ ص ۴۴۵ و نهج السعادة ج ۷ ص ۱۵۶ و ۱۵۸ و الإمام على «عليه السلام» لأحمد الرحمانى ص ۷۶ و ۷۸۷ و مسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج ۱ ص ۸۰ و ۲۲۱ و درر الأخبار ص ۲۴۴ و ۲۷۲ و تفسير أبى حمزة الثمالى ص ۱۵۹ و ۲۰۰ و ۴۱۳ و تفسير الإمام العسكرى «عليه السلام» ص ۳۳۰ و ۳۳۱ و ۶۴۵ و التفسير الصافى ج ۱ ص ۱۵۰ و ج ۴ ص ۱۶۵ و ۱۶۶ و ج ۵ ص ۵۲ و التفسير الأصفى ج ۲ ص ۹۸۴ و تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۲۳۷ و ۲۳۸ و تفسير كنز الدقائق ج ۱ ص ۲۸۶ و ج ۴ ص ۳۵۷ و مفردات غريب القرآن ص ۷ و إختيار معرفة الرجال ج ۱ ص ۲۳۳ و بشارة المصطفى لمحمد بن على الطبرى ص ۹۷ و ۲۵۴ و نهج الإيمان لابن جبر ص ۶۲۵ و ۶۲۹ و تأويل الآيات لشرف الدين الحسينى ج ۱ ص ۷۴ و ۱۲۸ و ينابيع المودة ج ۱ ص ۳۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸

و منسجمة على قاعدة: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ «۱»، تقوم على أساسين اثنين هما: الحق و المواساة، كما اتضح من مؤاخاته «صلى اللّه عليه و آله» بين المسلمين. و قد ذكرنا ذلك فى جزء سابق من هذا الكتاب.

مرتكزات حلف عبد المطلب و خزاعة:

و إذا تأملنا فى مضمون حلف عبد المطلب مع خزاعة، فإننا نجده قائما على نفس المرتكزات التى قامت عليها المؤاخاة فيما بين المسلمين حسبما قدمناه فى هذا الكتاب ..

فإن كانت المؤاخاة قد قامت على دعامتين هما: الحق و المواساة. فإن حلف عبد المطلب و خزاعة أيضا قد قام على نفس هاتين الدعامتين، لأنه جاء لحماية الحق، و تأكيد الالتزام به، و الانتصار له، و التناصر فيه، و التعاون على حفظه، و الالتزام بالمواساة فيه.

كما أنه صرح أو أشار إلى حيثيات تؤكد على هذا المسار، و تبين معالمه، و توضح آفاقه.

فهو- كما صرحت الروايات-:

۱- حلف جامع غير مفرق.

و هو يقوم على:

۲- التكافؤ فيما بين أفراده و شرائحه، فالكل متكافئون ..

۳- و التناصر .. إلى حد يكون فيه النصر واحدا، لا تمييز فيه بين كبير و صغير.

---

(۱) الآية ۱۰ من سورة الحجرات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۹

۴- و التعاون حتى إن اليد واحدة.

۵- و المواساة.

۶- و أساس هذا الحلف عهود اللّه و عقوده ..

۷- و هو يخضع لرعاية اللّه تبارك و تعالى، فهو سبحانه الكفيل و الضامن و غير ذلك من لمحات و إشارات يجدها فيه المتأمل الخبير، و الناقد البصير.

قريش تنقض العهد:

و قد نقضت قريش عهدها الذى عقدته مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى الحديبية.

و قالوا: إن سبب ذلك هو: أنه لما دخل شعبان على رأس اثنين و عشرين شهرا من صلح الحديبية، كلمت بنو نفاثة و بنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال و السلاح على عدوهم من خزاعة، و ذكروهم القتلى الذين أصابت خزاعة منهم.

و أرادوا أن يصيبوا منهم ثأر أولئك النفر الذين أصابوا منهم فى بنى الأسود بن رزن، و ناشدوهم بأرحامهم، و أخبروهم بدخولهم فى عقدهم، و عدم الإسلام، و دخول خزاعة فى عقد محمد و عهده.

فوجدوا القوم إلى ذلك سراعا، إلا أن أبا سفيان بن حرب لم يشاور فى ذلك و لم يعلم «۱».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۳ ص ۴۵۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۰ و ۲۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰

و يقال: إنهم ذاكروه فأبى ذلك «۱».

فأعانوا بالسلاح و الكراع و الرجال، و دسوا ذلك سرّا لئلا تحذر خزاعة، و خزاعة آمنون غارون لحال الموادعة، و لما حجز الإسلام بينهم.

ثم اتعدت قريش و بنو بكر و بنو نفاثة أن يأتوا إلى (الوتير)، و هو موضع أسفل مكة، و هو منازل خزاعة، فوافوا للميعاد فيهم رجال من قريش، من كبارهم، متنكرون منتقبون؛ منهم: سهيل بن عمرو، و صفوان بن أمية، و عكرمة بن أبى جهل، و حويطب بن عبد العزى، و شيبة بن عثمان- و أسلموا بعد ذلك- و مكرز بن حفص، و أجلبوا معهم أرقاءهم.

و رأس بنى بكر نوفل بن معاوية الديلى- و أسلم بعد ذلك-.

فبيتوا خزاعة ليلا، و هم غارون آمنون- و عامتهم صبيان، و نساء، و ضعفاء الرجال- فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا إلى أنصاب الحرم.

فقال أصحاب نوفل بن معاوية له: يا نوفل، إلهك، إلهك. قد دخلت الحرم!

فقال كلمة عظيمة: لا إله لى اليوم، يا بنى بكر، لعمرى إنكم لتسرقون الحاج فى الحرم، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم، و لا يتأخر أحد منكم بعد يومه عن ثاره؟!

فلما انتهت خزاعة إلى الحرم دخلت دار بديل بن ورقاء، و دار مولى لهم يقال له: رافع الخزاعيين، و انتهوا بهم فى عماية الصبح.

و دخلت رؤساء قريش منازلهم، و هو يظنون أنهم لا يعرفون، و أنه لا

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱

يبلغ هذا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و أصبحت خزاعة مقتّلين على باب بديل و رافع.

و قال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث: قد رأيت الذى صنعنا بك و بأصحابك، و من قتلت من القوم، و أنت قد حصدتهم تريد قتل من بقى، و هذا ما لا نطاوعك عليه، فاتركهم.

فتركهم، فخرجوا.

و ندمت قريش، و ندموا على ما صنعوا، و عرفوا أن هذا الذى صنعوه نقض للذمة و العهد الذى بينهم و بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و جاء الحارث بن هشام، و عبد اللّه بن أبى ربيعة إلى صفوان بن أمية، و إلى سهيل بن عمرو، و عكرمة بن أبى جهل، فلاموهم بما صنعوا من عونهم بنى بكر على خزاعة، و قالوا: إن بينكم و بين محمد مدة، و هذا نقض لها «۱».

و قيل: إنهم قتلوا منهم عشرين رجلا «۲».

و قيل: إن سبب نقض العهد ليس هو سعى بنى نفاثة لأخذ ثأرهم القديم من خزاعة، بل السبب هو: أن شخصا من بنى بكر، و هو أنس بن زنيم الديلى، هجا رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله»، و صار يتغنى به، فسمعه غلام من

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۱ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۴ و ۵۵۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۲ و ۷۸۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۷ و زاد المسير ج ۳ ص ۲۷۲ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۴.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۸ و زاد المسير ج ۳ ص ۲۷۲ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲

خزاعة، فضربه فشجه، فثار الشر بين الحيين، مما كان بينهم من العداوة.

فطلب بنو نفاثة من أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال و السلاح على خزاعة، فأمدوهم بذلك، فبيتوا خزاعة و هم غارون آمنون .. و قاتل معهم جمع من قريش الخ .. «۱».

و اعتزلت بنو مدلج، فلم ينقضوا العهد «۲».

كما أن أبا سفيان لم يشاور فى ذلك و لم يعلم «۳».

و قال الطبرسى: «لما مضت سنتان من القضية (يعنى عمرة القضاء) قعد رجل من كنانة يروى هجاء رسول اللّه، فقال له رجل من خزاعة: لا تذكر هذا.

قال: و ما أنت و ذاك؟!

فقال: لإن أعدت لأكسرن فاك!

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ عن الإمتاع، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۲ و ۷۸۳ و راجع: فتوح البلدان ج ۱ ص ۴۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۷ و الجامع لأحكام القرآن ج ۸ ص ۸۷.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ عن الإمتاع، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۲ و ۷۸۳ و راجع: تفسير الميزان ج ۵ ص ۳۷ و تفسير العياشى ج ۱ ص ۲۶۳ و الكافى ج ۸ ص ۳۲۷ و شرح أصول الكافى ج ۱۲ ص ۴۵۵ و البحار ج ۱۹ ص ۱۷۲ و التفسير الصافى ج ۱

ص ۴۸۰ و التفسير الأصفى ج ۱ ص ۲۲۸ و تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۵۲۹ و تفسير كنز الدقائق ج ۲ ص ۵۶۴.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۵ و تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ۲۳ ص ۴۵۳ و (ط دار الكتب العلمية) ج ۲۵ ص ۲۸۴ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۱۱ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۰ و ۲۷۱ و جامع الأحاديث و المراسيل ج ۲۰ ص ۱۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳

فأعادها، فرفع الخزاعى يده، فضرب بها فاه.

فاستنصر الكنانى قومه، و الخزاعى قومه. و كانت كنانة أكثر، فضربوهم حتى أدخلوهم الحرم، و قتلوا منهم. و أعانتهم قريش بالكراع و السلاح.

فركب عمرو بن سالم إلى رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله»، فخبره الخبر» «۱».

و ستأتى قصة عمرو بن سالم.

و لكننا قبل ذلك نشير: إلى بعض الأمور التى ترتبط بما تقدم، فنقول:

سبب نقض العهد واحد:

قد يبدو للوهلة الأولى من ملاحظة النصوص المتقدمة أن ثمة اختلافا حول سبب إقدام قريش على نقض العهد.

و لكن الحقيقة هى: أن مجموع تلك النصوص يشير إلى أمر واحد مترابط و منسجم، و هو: أن أحد بنى كنانة، و لعله من بنى نفاثة، صار يروى هجاء رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله»، فأنذره الخزاعى، فلم يرتدع، فضربه الخزاعى، فاستنصر الكنانى قومه، فطلبوا النصر من قريش، فنصروهم و جرت الأمور بعد ذلك وفق ما فصّلته الرواية الأولى.

إستغلال الضغائن:

و قد لو حظ: أن بنى نفاثة حين انتصروا لصاحبهم، إنما حركهم إلى ذلك أحقادهم على خزاعة، و تربصهم بها، لترات لهم عندها فى حوادث

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۴ و ۱۲۵ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۴

جرت قبل البعثة النبوية الشريفة حسبما تقدم بيانه ..

و لكنهم حين يطلبون المساعدة من قريش تراهم يلجأون إلى تذكيرها بما تعتبره ميزة و فضلا، و هو: أن بنى نفاثة لم يسلموا، و أنهم دخلوا فى عقد قريش ضد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

ثم يحتجون لهم على استحقاق خزاعة للعقوبة: بأنها قد دخلت فى عقد محمد و عهده .. فكان هذا و ذاك من موجبات مسارعة قريش للمشاركة فى توجيه تلك الضربة القاسية لخزاعة ..

فحقد قريش على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و على الإسلام و أهله قد دعاها إلى المشاركة فى جريمة قتل الصبيان، و النساء، و الضعفاء ..

و نقض العهد و الغدر بالآمنين، و اجتياحهم، و أخذهم على حين غرة.

و اللافت هنا: أن الذين يستجيبون لهذه المحركات، لا لنداء الضمير و الوجدان و العقل و الشرف و الشهامة و الرجولة هم- على حد تعبير الرواية- «رجال من قريش، من كبارهم»!! ..

مع أن هؤلاء هم الذين يفترض فيهم أن يكونوا أبعد الناس عن التصرفات الرعناء، و عن الانقياد للنزوات الطائشة. و يتوقع منهم أن يزنوا الأمور بموازين فيها شيء من بعد النظر و الاتزان، و حساب العواقب.

و لكن الأمور قد جرت فى غير هذا الاتجاه، كما رأينا ..

الغدر بالضعفاء، و بالصبيان و النساء:

و إن الغدر قبيح من كل أحد، لأنه ينافى الرجولة، و ميثاق الشرف، و الشهامة، و أعظم منه قبحا: أن يغدر القوى بالضعيف، فكيف إذا كان هذا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۵

الضعيف هو الصبيان، و النساء، و الضعفاء من الرجال؟!

و كيف إذا كان الغادر هم كبار القوم، و المدّعون للشرف، بل لمقام الأشرفية و الرئاسة فيهم؟!

و كيف إذا كان هؤلاء الكبار المشاركون هم أنفسهم الذين أعطوا العهود و المواثيق و تعهدوا بالوفاء؟!.

بل إن بعضهم كان هو المفاوض فى تلك العهود، و المتولى لإبرامها، و المشرف على نصوصها، و الموقع عليها و أعنى به سهيل بن عمرو!!

إنه غدر بالآمنين الذين يستندون فى أمنهم إلى عهد و عقد و ميثاق، معقود مع نفس هؤلاء الغادرين بأشخاصهم و أعيانهم، فليس هو أمن الغفلة و التقصير فى الاحتياط، و لم يكن الغادر ممن يحسن الاحتياط معه و منه ..

القسوة .. لماذا؟!:

و لا نجد تفسيرا معقولا لهذه القسوة من قريش، و من كبارها على النساء و الصبيان، و ضعفاء الرجال، فهم يبيحون لأنفسهم قتلهم، لا على سبيل الصدفة و الاتفاق، بل عن سابق تخطيط و تدبير، و سعى للإستفراد بهم و استئصالهم قبل أن يتنبه الآخرون لما يحدث ..

بل نحن نستغرب: أن يقدم حتى بنو نفاثه على أمر كهذا. و هم الذين يدّعون أن قتل النساء كان عيبا فى الجاهلية .. فكيف بالضعفاء، و الصبيان؟!.

فضلا عن أن يمعنوا فى ملاحقتهم حتى ألجأوهم إلى الحرم!! ثم لاحقوهم حتى فى الحرم نفسه، إلى دار بديل بن ورقاء، و رافع الخزاعى!!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۶

حرمة الحرم لدى قريش:

و إذا كانت قريش ترى: أن عزها و مجدها و فخرها هو فى رعايتها لحرمة الكعبة و الحرم، فما بال الكبار فيها قد رضوا بهتك حرمة الحرم، و شاركوا هم فى ذلك، و لم نسمع من أحد منهم كلمة ملامة لأحد من أولئك المعتدين على الأرواح، و على قدس المقدسات؟! حتى بعد أن حصل ما حصل ..

و كيف يمكننا تفسير موقف قريش من قضية القتال فى يوم يشك فى أن يكون هو أول الشهر الحرام و هو شهر رجب، أو آخر الشهر

الـذى قبله، حيث شـنعت على رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله»، و أثارت عاصـفة من الشـكوى و التظلم من أجل ذلك، رغم أن هذا القتال قـد كان مع الظالمين و المعتـدين، و الذين يصدون عن سبيل اللّه. قال تعالى: يَسْـئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ. قُلْ: قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَـدٌّ عَنْ سَبِيـلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْـجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْـدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَـةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْـلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَـتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْـتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَـدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كـافِرٌ فَأُولئِـكَ حَبِطَتْ أَعْمـالُهُمْ فِى الـدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ «۱».

ثم إنها و على أعلى المسـتويات فيها يعتدى كبارها على قوم بينها و بينهم عهد و ميثاق. فيغدرون بهم، و يختارون قتل خصوص النساء و الصبيان و الضعفاء منهم، حتى فى حرم اللّه تبارك و تعالى ..

---

(۱) الآية ۲۱۷ من سورة البقرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۷

بـل إن هـذا التعـدى لاـ ينحصـر بهتـك حرمـة الحرم، بـل يتجاوزه إلى التصـريح بالإلحاد، و إنكار أصل الألوهيـة، و ذلك حين يقول أصحاب نوفل: إلهك إلهك!! قد دخلت الحرم.

فيقول: لا إله لى اليوم.

هل ندموا حقا؟!

و بعد .. فإننا لم نستطع فهم ما يرمى إليه قولهم: ندمت قريش و ندموا على ما صنعوا، و عرفوا أن هذا الذى صنعوه نقض للذمة و العهد الذى بينهم و بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و ذلك لأن قرائن الأحوال تشهد بعدم صحة هذا الكلام:

أولاـ لأـن رجـال قريش قـد تنكروا و تنقبوا حين جـاؤوا لمساعـدة بنى بكر، مع أن بنى بكر كانوا حلفاءهم، و قـد دخلوا فى عقـدهم، فعليهم نصـرهم علنا، و لا ضـرورة للتنكر و التنقب إن لم يكونوا يريـدون تعمية الأمور، لكى لا يظهر للناس أنهم قد نقضوا عهدهم مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..

ثانيا: إن بنى نفاثة حين كلموا قريشا فى نصـرهم على خزاعة قد ذكروا لها أنهم داخلون فى حلفهم ضدّ محمد «صـلى اللّه عليه و آله»، و خزاعة داخلة مع النبى فى الحلف و العقد ضدهم.

فهم إذا ملتفتون إلى هـذا العقـد و العهد، مدركون أن المهاجم متحالف مع قريش، و أن المقصود بالهجوم متحالف مع المسـلمين فى عهد الحديبية.

فما معنى ادّعاء الروايات و رواتها أن قريشا بعد أن ارتكبت جريمتها

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۸

فى حق خزاعة «عرفوا أن هذا الذى صنعوه نقض للذمة و العهد الذى بينهم و بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..؟.

ثالثا: إن هناك روايات تقول: إنهم كلموا أبا سفيان، فأبى ذلك «۱».

فلماذا لا يرضى أبو سفيان بنصر حلفائه؟! و هو الحاقد على خزاعة بسبب ميلها إلى رسول اللّه و تحالفها معه «صلى اللّه عليه و آله».

ألا يـدل امتناعه هـذا على أنه يرى فى ذلك ضـررا بالغا، و دخولا فى أمر خطير، من حيث أنه نقض للعقـد و العهـد القائم بينهم و بين المسلمين؟!

رابعا: ما معنى قول هؤلاء الرواة أنفسـهم: إنه بعد انتهاء الهجوم و حصول المجزرة «دخلت رؤساء قريش منازلهم، و هم يظنون: أنهم لا

يعرفون، و أنه لا يبلغ هذا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..»؟!

أليس ظنهم هذا يؤدى بهم إلى إدراك أن بلوغ هذا الأمر لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سوف يؤدى إلى نشوء مشكلة خطيرة لهم معه؟!

و لا مبرر لاعتبار ذلك مشكلة إلا لأنهم يدركون أن ما فعلوه له مساس مباشر بالعقود التى تحكم فيما بينهم و بينه «صلى اللّه عليه و آله» ..

بنو نفاثة يسرقون الحاج:

و اللافت هنا: هذا المنطق الخسيس الذى اعتمده نوفل بن معاوية لتحريض بنى بكر على الإمعان فى قتل النساء و الصبيان و الضعفاء، و توقعه ذلك منهم حتى فى داخل الحرم .. فإنه قال لهم: «إنكم لتسرقون الحاج فى

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۹

الحرم، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم»؟!

فإذا كان هؤلاء يسرقون الحجاج و هم فى حرم اللّه تبارك و تعالى، فهل يتوقع منهم احترام المقدسات، و الوقوف عند حدود اللّه سبحانه، و الالتزام بأمره و نهيه؟!

و إذا كان هذا هو منطق رئيس بنى بكر، و تلك هى أوامره لمن هم تحت إمرته، و هذه هى توقعاته منهم!!

و إذا كان يدفعهم بهذا المنطق إلى متابعة جرائمهم لاستئصال الأبرياء، من النساء و الصبيان و الضعفاء!!

و إذا كان يصور لهم: أن هؤلاء الصبيان الذين قد لا يعرفون شيئا مما يدور حولهم، بل إنهم غير قادرين على إدراك معنى الشر، بالإضافة إلى النساء، و الضعفاء- يصورهم على أنهم هم أعداؤهم الذين يريد منهم أن يعملوا فيهم سيوفهم إلى حد الاستئصال.

و إذا كان نفس هذا الرئيس ينكر وجود الإله لمجرد تبرير اندفاعه للتنفيس عن حقده على هذا النوع من الناس.

و إذا كان الرئيس هو الذى يفترض فيه أن يكون الأكثر وعيا و إحساسا بالمسؤولية ..

فما الذى نتوقعه من همج رعاع، و جهلة أغبياء، و أشرار أشقياء، يمتهنون سرقة الحاج فى حرم اللّه تعالى، و عند بيته المحرم؟!

و هذا يدلنا على مدى معاناة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، الذى جاءهم من عند اللّه بأصفى و أفضل التعاليم، التى هى محض الخير، و كل العطاء، و حقيقة البر و الرحمة، و النور الأنور، و الطهر الأصفى، و النبل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۴۰

و الوفاء، و التضحية و الفداء، و سائر المعانى الإنسانية فى أرقى الدرجات، و أفضل الحالات.

بديل بن ورقاء و ما جرى:

و قد قرأنا فى النصوص المتقدمة: أن خزاعة أصبحت مقتلة على باب بديل بن ورقاء و رافع الخزاعيين ..

و سنقرأ فيما يلى: أن بديلا قد عاش هذه المحنة، و تجرع غصتها، و لمس بشاعتها فى بيته و على باب داره، أكثر من أى إنسان آخر ..

فما بالنا نرى هذا الرجل بالذات رفيقا لأبى سفيان حين خرج من مكة يترقب الأخبار، ليعرف حقيقة تحركات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فيما يرتبط بهذا الحدث؟ فلماذا لا يكون لبديل موقف سلبى و غاضب من قريش و رموزها؟

و يمكن أن نجيب عن هذا السؤال بما يلى:

أولا: إن أبا سفيان- كما تدّعيه بعض الروايات- أبى أن يستجيب لطلب بنى بكر فيما يرتبط فى توجيه الضربة لخزاعة «۱».

أو أنه لم يشاور فى هذا الأمر، و لم يعلم، و لكنه حين علم لم يرض، و لم يغضب كما تقدم و سيأتى «۲».

---

(۱) تقدمت مصادر ذلك فى النص المتقدم.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۵ و تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ۲۳ ص ۴۵۳ و (ط دار الكتب العلمية) ج ۲۵ ص ۲۸۴ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۱۱ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۰ و ۲۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۴۱

أو أنه كان فى الشام و لم يكن فى مكة حين الإعتداء على الخزاعيين «۱».

و هذا معناه: أن لا يجد بديل بن ورقاء أى مانع من الإبقاء على علاقته به، و يكون همزة وصل، لو حصل فى المستقبل ما يحتاج إلى تفاوض، أو تدخل لمنع حدوث الأسوأ ..

ثانيا: إنه إذا كانت خزاعة تعيش فى دائرة الخطر، و لم يكن يمكنها الحصول على الأمن المطلوب إلا عن طريق المداراة و المصانعة، بانتظار الوقت الذى تتمكن فيه من تجاوز المحنة، أو كان هذا الأمر يختص ببديل بن ورقاء فقط، فإن هذه المداراة تصبح مقبولة إذا بقيت فى حدود المعقول، و ليس فى ذلك أية غضاضة أو وهن على بديل و لا على خزاعة، و ذلك ظاهر لا يخفى.

بين الثأر .. و القصاص:

و قد تقدم: أن نوفل بن معاوية صار يقرّع بنى بكر و يقول لهم:

«تسرقون الحاج فى الحرم، و لا تدركون ثاركم»!!

و معلوم: أن مفهوم الثأر يعتمد على تبلور حالة من الحنق الشخصى فى اندفاع ساحق و مدمر، مع إغفال أى حساب آخر سوى إرضاء نزعة الحقد الأسود بهذا البطش الأرعن و غير المسؤول، الذى لا يبالى بالضحية التى تكون فى موقع البراءة و الطهر فى أكثر الأحيان ..

و خير شاهد على هذه الرعونة هو: انتقام بنى بكر حتى من الصبيان و النساء، و الضعفاء، و ذلك ثأرا لأناس قتلوا قبل عشرات السنين.

أى قبل

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۲۶ عن مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۷ و عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۷ و الأنوار العلوية للنقدى ص ۱۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۴۲

ولادة كثير من هؤلاء الضحايا بسنوات كثيرة بلا ريب ..

فالثأر يهدف إلى التدمير و الإبادة و الاستئصال حتى للبرىء ..

و قد قال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث بن معاوية: «و أنت قد حصدتهم، تريد قتل من بقى»؟

و إذا كان الحاكم هو منطق الأحقاد و الضغائن، لا الأخلاق و القيم و المبادئ و الشرع، أو العقل، فلا بد من أن ينتج هذا السلوك حرصا على مقابلة الإساءة بالإساءة، و التدمير و الاستئصال حتى للأبرياء بمثله، و يحول الوحدة إلى تشتت و تفرق، و الجماعة و العصبة إلى تمزق، و يتحول اهتمام المجتمع من العمل على لم الشعث، و التعاون على البر و التقوى، ليصبح تعاونا على الإثم و

العدوان و على معصية اللّه و رسوله.

و هذا هو الفرق بين الثأر و القصاص.

فإن القصاص إجراء تربوى إصلاحى، يهدف إلى إرساء قواعد القسط و العدل، و إلى جعل الحياة أكثر صفاء و نقاء، بل أكثر حيوية و قوة و اندفاعا، على قاعدة: وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ «۱».

و فى القصاص حفاظ على النفوس، و محاصرة للجريمة، و خنق لها فى مهدها، و قطع دابرها، و إعفاء آثارها ..

و القصاص معناه: حصر الجريمة فى مصدرها و هو المجرم نفسه، ثم استئصاله و استئصالها به، و تطهير المحيط منه و منها.

و القصاص يرسى قواعد الأمن المجتمعى، و يبعد الناس عن العيش فى

---

(۱) الآية ۱۷۹ من سورة البقرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۴۳

أجواء التآمر، و الكيد و التربص شرا بالآخرين و ينمى حالة الثقة و التعاون فيما بين الناس.

و القصاص يهيئ الأجواء لإشاعة مفهوم الكرامة للإنسان، و يؤكد قيمته، و يحدّ من الطموح للتعدى عليه و هتك حرمته ..

و بالقصاص يعطى العدل قيمته و معناه، و ينصب أمام أعين الناس مثلا و قيما و معانى إنسانية لتكون موضع طموحهم، و غاية و منتهى آمالهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۴۵

الفصل الثانى: إلى المدينة: خبر و شكوى

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۴۷

النبى صلّى اللّه عليه و آله يخبر بالغيب عن نقض العهد:

روى: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال لعائشة صبيحة كانت وقعة بنى نفاثة و خزاعة بالوتير: «يا عائشة، لقد حدث فى خزاعة أمر».

(أو قال: لقد حرت فى أمر خزاعة) «۱».

فقالت عائشة: يا رسول اللّه، أترى قريشا تجترئ على نقض العهد الذى بينك و بينهم، و قد أفناهم السيف؟

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ينقضون العهد لأمر يريده اللّه تعالى».

فقالت: يا رسول اللّه، خير؟

قال: «خير» «۲».

و عن ميمونة بنت الحارث: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بات عندها ليلة، فقام ليتوضأ إلى الصلاة، فسمعته يقول فى متوضئه: «لبيك، لبيك، لبيك- ثلاثا- نصرت، نصرت، نصرت- ثلاثا-».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۱ و ۲۰۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۲۸۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۴۸

قالت: فلما خرج قلت: يا رسول اللّه، سمعتك تقول فى متوضئك:

«لبيك، لبيك- ثلاثا- نصرت، نصرت- ثلاثا» كأنك تكلم إنسانا، فهل كان معك أحد؟

قال: «هذا راجز بنى كعب يستصرخنى، و يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل».

قالت ميمونة: فأقمنا ثلاثا ثم صلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الصبح بالناس، فسمعت الراجز ينشد:

يا رب إنى ناشد محمداحلف أبينا و أبيه الأتلدا فذكرت الرجز الآتى «۱».

لماذا عائشة دون سواها؟!:

إننا لا نريد أن نثير أى سؤال ذا طابع تشاؤمى حول سبب مبادرة النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى إخبار عائشة دون سواها بهذا الأمر الغيبى الخطير، الذى سوف يظهر صدقه، و تتجلى دلائله و براهينه فى وقت قصير ..

و قد كان بإمكانه «صلى اللّه عليه و آله» أن يذكر هذا الغيب فى ملأ من الناس، ليصبح أكثر شيوعا، و ليسهم- من ثم- فى تثبيت إيمان الناس،

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۲ عن الطبرانى فى المعجم الكبير، و فى المعجم الصغير، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۶۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و ۷۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و راجع: فتح البارى (ط دار المعرفة) ج ۷ ص ۴۰۰ و المعجم الصغير ج ۲ ص ۷۳ و المعجم الكبير ج ۲۳ ص ۴۳۴ و دلائل النبوة للأصبهانى ص ۷۳ و الإصابة ج ۴ ص ۵۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۴۹

و الربط على قلوبهم ..

و إنما نريد هنا أن نشير فقط: إلى أن تخصيص عائشة بهذا الخبر الغيبى الخطير، من شأنه أن يجعلها أكثر حرصا على رواية هذا الحدث، و إشاعته، ما دام أنها ترى فيه تأكيدا على دورها المميز، و حضورها الفاعل.

ثم هو يوحى بأنها كانت بحاجة لمزيد من الدلائل و الشواهد على رعاية الغيب لمسيرة الرسالة و الرسول، ليحيا من حيى عن بينة، و يهلك من هلك عن بينة ..

و غنى عن القول: أن هذا التبرير أو ذاك يبقى فى دائرة التظنى أو الاحتمال، و لا يجد ما يلغيه أو ما يؤكده بصورة قاطعة و يقينية، فما علينا إذا أوكلنا أمر ذلك إلى المزيد من التأمل و التدبر أى جناح ..

حرت فى أمر خزاعة:

و أما بالنسبة لما زعمه الواقدى: من أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «لقد حرت فى أمر خزاعة» «۱»، فهو مرفوض جملة و تفصيلا لأسباب عديدة، نذكر منها:

أولا: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يتحير فى هذا الأمر و لا فى سواه، فإن التكليف الإلهى واضح لديه، و هو واضح هنا أيضا لكل أحد، إذ لا بد له من التعاطى مع ناكثى العهود بما يوجبه الشرع و الدين .. و هو «صلى اللّه عليه و آله» مسدد بالوحى، عارف بأمر اللّه،

و هو عقل الكل، و إمام الكل، و مدبر الكل، فلم يكن ليخفى عليه وجه الصلاح، و لا حكم

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۰

اللّه فى هذا الأمر.

ثانيا: إذا كان لا بد من الحيرة، فلا بد من أن تكون حيرة فى أمر قريش، و بكر بن وائل، لا فى أمر خزاعة. فإن خزاعة قد نكبت و ظلمت، فلا بد من التفكير فى طريقة كف الظالم عن ظلمه، و ردع الباغى عن بغيه بعد أن لم ينتفعوا بالآيات و النذر، و لم يستجيبوا لنداء العقل، و لم يلتزموا بما يوجبه عليهم معنى الرجولة و الشهامة، و غير ذلك من معانى كانوا يزعمون أن لها دورا و موقعا فى حياتهم، و فى قراراتهم، و حركتهم، و إقدامهم، و إحجامهم.

سلب الألطاف الإلهية:

إن الشرك و الكفر من أعظم الذنوب التى لا يبقى معها أىّ أهلية للطف الإلهى، و لكن عدم الأهلية هذا لا يفرض حجب الألطاف بصورة قاطعة و نهائية .. فقد تكون هناك عوامل أخرى توجب التفضل الإلهى على فاقد الأهلية، بسبب ابتلائه بالشرك .. فمن كان سخيا، أو حليما، أو بارا بوالديه، أو بغيرهما من ذوى رحمه، ربما يتفضل اللّه تعالى عليه ببعض العنايات و التوفيقات، حفظا لتلك الخصال، أو مكافأة على بعض الأفعال، أو لطفا بغيره من أهل الحاجة و الاستحقاق ..

و قد ورد: أن بعض خصال الخير التى تكون فى غير المؤمنين إنما جعلها اللّه فيهم لأجل حفظ أهل الإيمان.

فقد روى عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» أنه قال: إن اللّه تبارك و تعالى أعار أعداءه أخلاقا من أخلاق أوليائه، ليعيش أولياؤه مع أعدائه فى دولاتهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۱

و فى رواية أخرى: و لو لا ذلك لما تركوا وليا للّه إلا قتلوه «۱».

و قد أتى «صلى اللّه عليه و آله» بأسارى، فأمر بقتلهم باستثناء رجل منهم، فقال الرجل: بأبى أنت و أمى يا محمد، كيف أطلقت عنى من بينهم؟!

فقال: أخبرنى جبرئيل عن اللّه عز و جل أن فيك خمس خصال يحبها اللّه و رسوله: الغيرة الشديدة على حرمك، و السخاء، و حسن الخلق، و صدق اللسان، و الشجاعة.

فلما سمعها الرجل أسلم الخ .. «۲».

و هناك قضية أخرى تدخل فى هذا السياق، و قد تكون نفس هذه القضية، و قد تكون غيرها فراجعها «۳».

و فى المقابل، ربما يكون لبعض الموبقات، التى يرتكبها المشرك أو

---

(۱) راجع: البحار ج ۶۸ ص ۳۷۸ عن الكافى ج ۲ ص ۱۰۱ و شرح أصول الكافى ج ۲ ص ۲۹۲ و مجمع البحرين ج ۳ ص ۲۷۷ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۹۱.

(۲) البحار ج ۶۶ ص ۳۸۳ و ج ۶۸ ص ۳۸۴ و ۳۸۵ عن الأمالى للصدوق ص ۱۶۳ و (ط مؤسسة البعثة) ص ۳۴۵ و الخصال للصدوق ص ۲۸۲ و روضة الواعظين للفتال النيسابورى ص ۳۷۷ و ۳۸۴ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۲۰ ص ۱۵۵ و (ط دار الإسلامية) ج ۱۴ ص ۱۰۹ و مشكاة الأنوار لأبى الفضل على الطبرسى ص ۴۱۷.

(۳) البحار ج ۶۸ ص ۳۹۰ و ج ۴۱ ص ۷۳ و ۷۵ و الأمالى للصدوق ص ۹۳ و ۹۴ و (ط مؤسسة البعثة) ۱۶۷ و ۱۶۸ و مستدرک الوسائل ج ۸ ص ۴۴۲ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۷۶ و الخصال ج ۱ ص ۹۶ و مشكاة الأنوار لأبى الفضل على الطبرسى ص ۴۰۹ و الجواهر السنية للحر العاملى ص ۱۳۵ و مستدرک سفينة البحار ج ۸ ص ۴۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۲

الكافر، أثر فى تأكيد حجب جميع أشكال و درجات التوفيق، و إيكال هذا المجرم إلى نفسه بصورة تامة و نهائية، لينتهى به الأمر إلى أن يؤثر ذلك حتى على مستوى إدراكه، أو على سلامة هذا الإدراك، أو يوقع هذا المجرم فى بحر من الغفلة، و الجهل، و الجهالة التى قد تصل إلى حد الغواية التامة عن طريق الرشد، فى أبسط مراتبه، و أدنى حالاته ..

و هذا هو ما حصل لقريش بالفعل، كما ربما يفيده قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لعائشة: «ينقضون العهد لأمر يريده اللّه» حيث كان لا بد من حسم أمر الطغيان القرشى، لينتعش الشعور بالعزة لأهل الإيمان، و يتأكد سقوط عنفوان الشرک، و يعيش رموزه حالة الذل و الخزى الأمر الذى من شأنه أن يفسح المجال أمام دعوة الحق و الإيمان لتأخذ طريقها إلى قلوب المستضعفين، الذين كانوا بأمس الحاجة إليها.

و كان الطريق إلى ذلك هو ترک قريش لتتمادى فى ممارسة دورها وفق ما يحلو لها، و ترتكب حماقاتها، و تظهر على حقيقتها، و يتجلى خزيها لكل أحد، لتنال جزاء أعمالها بعيدا عن أى لبس أو شبهة، أو تأويل خادع.

النبى صلّى اللّه عليه و آله .. و نصر بنى كعب:

و قالوا: إن عمرو بن سالم الخزاعى خرج فى أربعين راكبا من خزاعة يستنصرون رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و يخبرونه بالذى أصابهم، و ما ظاهرت عليهم قريش، و معاونتها لهم بالرجال، و السلاح، و الكراع، و حضور صفوان بن أمية، و عكرمة، و من حضر من قريش. و أخبروه بالخبر، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» جالس فى المسجد بين أظهر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۳

الناس، و رأس خزاعة عمرو بن سالم، فلما فرغوا من قصتهم، قام عمرو بن سالم، فقال:

يا رب إنى ناشد محمداحلف أبينا و أبيه الأتلدا

قد كنتم ولدا و كنا والداثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

إن قريشا أخلفوک الموعداو نقضوا ميثاقک المؤكدا

و زعموا أن لست أدعو أحداو هم أذل و أقل عددا

هم بيّتونا بالوتير هجداو قتلونا ركعا و سجدا

و جعلوا لى فى كداء رصدافانصر رسول اللّه نصرا أيدا

و ادع عباد اللّه يأتوا مددافيهم رسول اللّه قد تجردا

أن سيم خسفا وجهه تربدافى فيلق كالبحر يجرى مزبدا

قرم لقرم من قروم أصيدا

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «حسبک يا عمرو، أى: و دمعت عيناه».

أو قال: «نصرت يا عمرو بن سالم».

فما برح حتى مرت عنانة (أى سحابة) من السماء فرعدت، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب» «۱».

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۲ و ۲۰۳ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۲۳۴ و دلائل النبوة ج ۵ ص ۷ و عن: الطبرانى فى الكبير و الصغير، عن ميمونة بنت الحارث، و البزار بسند جيد عن أبى هريرة، و ابن أبى شيبة فى المصنف عن-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۴

و فى المنتقى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لما كان بالروحاء نظر إلى سحاب منصب، فقال: إن هذه السحابة لتستهل (لينتصب) الخ .. «۱».

و روى بسند جيد عن عائشة قالت: لقد رأيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» غضب مما كان من شأن بنى كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان.

و قال: «لا نصرنى اللّه- تعالى- إن لم أنصر بنى كعب» «۲».

- عكرمة، و البيهقى عن ابن إسحاق، و محمد بن عمر عن شيوخه، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و راجع السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد على صبيح) ج ۴ ص ۸۵۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۲۷ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۰۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۳ ص ۵۲۰ و أسد الغابة ج ۴ ص ۱۰۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۵ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۱۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۵ عن إعلام الورى، و راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۴.

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۶۴ و المعجم الصغير ج ۲ ص ۷۴ و المعجم الكبير ج ۲۳ ص ۴۳۴ و دلائل النبوة للأصبهانى ص ۷۴.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۳ و فى هامشه عن: مسند أبى يعلى ج ۷ ص ۳۴۳ (۲۴/ ۴۳۸۰)، و ذكره الهيثمى فى المجمع ج ۶ ص ۱۶۴ و عزاه لأبى يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عنهما. و قد وثقهما ابن حبان، و بقية رجاله رجال الصحيح، و ذكره ابن حجر فى المطالب العالية (۴۳۵۶) و راجع: مجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ص ۱۶۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۵

و عن ابن عباس: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لما سمع ما أصاب خزاعة، قام- و هو يجر رداءه- و هو يقول: «لا نصرت إن لم أنصر بنى كعب مما أنصر منه نفسى» «۱».

و فى نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «و الذى نفسى بيده، لأمنعنهم مما أمنع منه نفسى، و أهلى، و بيتى» «۲».

و يتابع المؤرخون، فيقولون: فلما فرغ الركب قالوا: يا رسول اللّه، إن أنس بن زنيم الديلى قد هجاك، فهدر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دمه «۳».

فبلغ أنس بن زنيم ذلك، فقدم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» معتذرا عما بلغه فقال قصيدة منها:

أ أنت الذى تهدى معد بأمره بل اللّه يهديهم و قال لك اشهد

فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر و أوفى ذمة من محمد إلى آخر القصيدة ..

و بلغت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قصيدته و اعتذاره. و كلمه

---

(۱) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۳ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۸ و ۲۶۱.

(۲) المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۷۴ (۹۷۳۹) و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۳ عنه و عن الواقدى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۱.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۸۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۰ ص ۲۳ و أسد الغابة ج ۱ ص ۹۰ و ۱۲۰ و ج ۴ ص ۱۰۵ و الإصابة ج ۱ ص ۲۷۱ و الأعلام ج ۲ ص ۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۶

نوفل بن معاوية الديلى فيه، و قال له:

أنت أولى الناس بالعفو، و من منا لم يعادك و لم يؤذك؟ و نحن فى جاهلية، لا ندرى ما نأخذ و ما ندع، حتى هدانا اللّه بك من الهلكة، و قد كذب عليه الركب، و كثّروا عندك.

فقال: دع الركب، فإنّا لم نجد بتهامة أحدا من ذى رحم و لا بعيدا كان أبر بنا من خزاعة.

فأسكت نوفل بن معاوية.

فلما سكت قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: قد عفوت عنه.

فقال نوفل: فداك أبى و أمى «۱».

نوفل يضيع الحق:

و نقول:

إن كلام نوفل لم يكن منصفا و لا دقيقا، فلاحظ ما يلى:

۱- إنه يبدو: أن كلام نوفل بن معاوية كان يهدف إلى تصغير ذنب أنس من جهة، و إلى تضييع الحق من جهة أخرى.

فما قاله يؤدى إلى أن يصبح عفو رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن مرتكب هذا الجرم العظيم، الذى يرمى إلى إلحاق الوهن بالإسلام، من خلال الجرأة على نبيه، يصبح عفوه عن جرم كهذا غير ذى أهمية، بل هو سيجعل ذلك واجبا إنسانيا إلى حد يكون معه النبى «صلى اللّه عليه و آله»

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۹ و ۷۹۰ و ۷۹۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۸۳ و راجع: الإصابة ج ۱ ص ۲۷۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۰ ص ۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۷

نفسه فى موقع الاتهام فى نبله، و فى أخلاقه الحميدة، و فى سجاياه الكريمة، و حقيقة التزامه بالقيم، و رعايته للمثل العليا، و للمعانى الإنسانية.

فإذا كان «صلى اللّه عليه و آله» فاقدا لمثل هذه الفضيلة- و العياذ باللّه- فإن تحلّيه بما هو أسمى منها يصير موضع شك و ريب، و يدعو إلى تفسير بعض ما يصدر عنه بطريقة أخرى، تبعده عن أن يكون ناشئا عن خلق رضىّ، و عن نفس تعيش معنى السماحة، و النبل، و سائر المعانى الإنسانية الفاضلة و الرقيقة.

۲- إن كلام نوفل قد تضمن المساواة بين الوفى و الغادر، و بين المؤذى عن جهل، و بين من يخطط للإيذاء، و بين من يعادى الشخص لأمور شخصية، و فى أمور جزئية، و بين من يعادى المبادئ و القيم، و يسعى لإطفاء نور اللّه عن علم، و هذا من نوفل: إما ظلم واضح، أو جهل فاضح.

و فى كلتا الحالتين يفترض برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أن يتصدى لدفع الظلم و رفع الجهل.

۳- إن نوفل بن معاوية يدّعى: أن الأخبار التى بلغت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» تشتمل على أكاذيب، و لكنه لم يقدم أى دليل او إشارة تثبت صحة هذه الدعوى.

مع العلم: بأن هذا التكذيب ليس له ما يبرره، فإن الشهادة على النفى من شخص واحد لا يمكن أن تعارض الشهادة على الإثبات، خصوصا إذا كانت شهادة الإثبات تصدر عن جماعة كبيرة من الناس. كانت الشهادة تتناول حقبة زمنية واسعة لا مجال للاطلاع على تفاصيلها.

فإن فعل الهجاء قد يغيب عنه شخص، و يحضره أشخاص آخرون،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۸

و هم قد يقلون و قد يكثرون. فكيف أجاز نوفل بن معاوية لنفسه أن يقيم هذه الشهادة العجيبة أمام سيد عقلاء العالم المؤيد بالوحى، و يحظى بالتسديد و اللطف الإلهى؟!

۴- إن هذه الشهادة تستبطن درجة من الاتهام لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأنه يتسرّع باتخاذ قراراته فى حق الأشخاص إلى حد أنه يبادر إلى إهدار دماء الناس استنادا إلى أكاذيب يزجيها إليه ركب زائر ..

۵- إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد بيّن: أن نوفلا- لم يكن صادقا فيما قدمه من تبريرات، و قد صرح له: بأن الوقائع قد جاءت لتثبت خلاف مزاعمه، فأسكت نوفل و لم يدر ما يقول ..

۶- لقد رأينا: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يتراجع عن قراره بإهدار دم أنس بن رزين، و لم يعر لمزاعم نوفل أى اهتمام، و إنما عفا عنه بعد أن أكذب نوفلا فيما زعم، فجاء العفو عن ابن زنيم تكرما من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لا انصياعا لمنطق نوفل.

غضب النبى صلّى اللّه عليه و آله لبنى كعب:

و قد كان غضب النبى «صلى اللّه عليه و آله» لبنى كعب شديدا، حتى إن عائشة لم تره قد غضب إلى هذا الحد منذ زمان. و لكنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يغضب لنفسه، و لا لعشيرته، و لا لفوات منفعة، و لا كان غضبه حنقا غير مسؤول، يخرجه عن حدود المقبول و المعقول، بل كان غضبا للّه تعالى، و انتصارا للمظلوم من ظالمه، و لأجل المنع من العدوان على القيم الإنسانية، و المثل العليا ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۵۹

إن هذا الغضب واجب شرعى و أخلاقى و عقلى، ناشئ عن الشعور بالمسؤولية، و فى سياق مراعاة الحكم الشرعى، و الإصرار على تطبيق القيم الإنسانية بأمانة و بدقة ..

و غنى عن القول: أن هذا الغضب لم يخرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن جادة الحق، و الإنصاف، و الاعتدال.

بل هو من أجل إرغام الخارجين عن هذه الجادة على الرجوع إليها ..

نصرت يا عمرو بن سالم:

قد لا حظنا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يصر على الجهر بتصميمه على نصرة المظلومين من خزاعة، و هو يستخدم فى بياناته لهذا النصر صيغة فعل الماضى، و كأنه يخبر عن حصول هذا الأمر فيما مضى من الزمان، حتى أصبح كأنه تاريخ يحكى، فيقول لعمرو بن سالم: «نصرت يا عمرو بن سالم» و لم يقل: ستنصر، أو نحو ذلك.

و يقول فى إخباره الغيبى بما حصل: «لبيك، لبيك، لبيك. نصرت، نصرت، نصرت». و لم يقل: سوف أنصرك ..

و قد تحقق مضمون هذه التلبية، و نصر «صلى اللّه عليه و آله» بنى كعب أجمل نصر، و أتمّه و أوفاه ..

لا نصرنى اللّه إن لم أنصر بنى كعب:

و لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى تأكيد تصميمه على نصر بنى كعب، بأسلوب قد يفاجئ الكثيرين، و هو الطلب إلى اللّه أن يحجب عنه نصره، إن لم يقم بهذا الواجب ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۰

غير أننا نقول:

إن هذا الطلب يمكن تفسيره: بأن من يتخلى عن واجبه الشرعى لا يستحق اللطف و النصر الإلهى، هذا إن اقتصر الأمر على المعاملة وفقا لمبدأ المقابلة بالمثل ..

فى حين أن من يتخلف عن واجبه الشرعى يستحق الطرد من ساحة الرضا الإلهى، ليصبح من يفعل ذلك فى معرض غضبه تبارك و تعالى ..

و بما أن هذا الأمر لا يظن صدوره من أى إنسان مؤمن باللّه ملتزم بأوامره و نواهيه، فيرد السؤال عن معنى أن يجعل أعظم و أفضل و أكرم الأنبياء نفسه فى دائرة احتمال التخلف عن هذا الواجب، و مخالفة التكليف الإلهى.

و يمكن أن نجيب بما يلى:

أولا: قد يقال: إن ذلك جار على طريقة هضم النفس، حيث إن المفروض هو: أن يتعامل «صلى اللّه عليه و آله» مع نفسه بغض النظر عن اللطف الإلهى، و عن العصمة .. و هذا أمر شائع و معروف ..

فهذه الكلمة تشبه قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: ما أنا فى نفسى بفوق أن أخطئ، و لا آمن ذلك من فعلى، إلا أن يكفى اللّه بلطف منه «۱».

---

(۱) راجع: الكافى ج ۸ ص ۲۹۳ و (ط مطبعة الحيدرى) ص ۳۵۶ و البحار ج ۲۷ ص ۲۵۳ و ج ۴۱ ص ۱۵۴ و ج ۷۴ ص ۳۵۸ و ۳۵۹ و نهج البلاغة (بتحقيق عبده) (ط دار المعرفة) ج ۲ ص ۲۰۱ و (ط دار التعارف بيروت) ص ۲۴۵ خطبة ۲۱۶. و نهج السعادة ج ۲ ص ۱۸۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۱ ص ۱۰۲ و ميزان الحكمة ج ۲ ص ۱۵۲۸ و شرح أصول الكافى ج ۱۲ ص ۴۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۱

و إذا نظرنا إلى الأمور من حيثية أخرى فسنجد: أن اللّه تعالى الذى يعامل الناس العاديين من مقامه الربوبى، فيعتمد منطق الرحمة، و الرفق، و الغفورية، و التوابية، و الترغيب، و الترهيب و غير ذلك .. يعامل أنبياءه «عليهم السلام» من موقع الألوهية، فيضع لهم النقاط على الحروف بكل صراحة و حزم، فيقول لواحد من هؤلاء الأنبياء: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ «۱».

و يقول: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ «۲» ..

ثانيا: إنه «صلى اللّه عليه و آله» يريد أن يعطى القاعدة للناس؛ ليعرفوا:

أن الحكم الإلهى الذى يجريه على كل البشر، هو أن نفس ترك نصرة المظلوم يستتبع فقدان النصر الإلهى فى موضع الحاجة إليه و له هذا الأثر، بغض النظر عن أية خصوصية أخرى.

فهو «صلى اللّه عليه و آله» قد استخدم أفضل أسلوب بيانى تطبيقى، يجسد الفكرة للآخرين بصورة حية و واقعية، و يسهل إدراكها و فهمها على كل الناس.

ثالثا: إن الواجب عليه «صلى اللّه عليه و آله» هو مجرد النصر لبنى كعب، بحيث يرتفع الظلم عنهم، و لا يجب عليه أن ينصرهم مما

ينصر منه نفسه و أهل بيته، فإن هذه المرتبة أعلى و أشد من تلك المرتبة، فالذى تعهد

---

(۱) الآية ۵۶ من سورة الزمر.

(۲) الآيات ۴۴- ۴۶ من سورة الحاقة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۲

بالقيام به يزيد على الدرجة التى تجب عليه، فاحتاج إلى تأكيد هذا الالتزام بهذا النحو من المبادرة و التضحية بالنصر الإلهى حين الاحتياج إليه.

و على هذا الوجه لا يكون حجب النصر الإلهى عنه دليلا على غضب اللّه، بل يكون لأجل أنه قد رضى بارتهان نصر كان اللّه قد ادّخره له، بإعطاء درجة من نصر لم تكن مطلوبة منه، و لا كانت واجبة عليه ..

السحابة تستهل بنصر بنى كعب:

و عن حديث استهلال السحابة بنصر بنى كعب نقول:

قد يروق للبعض أن يضع قوله «صلى اللّه عليه و آله» هذا فى سياق التفاؤل بالمطر، الذى تحيا به البلاد و العباد ..

غير أن هذا التفسير يبقى غير دقيق، إن لم نقل: إنه يفقد هذه الكلمة مغزاها، و مرماها بدرجة كبيرة ..

و لعل الأقرب إلى الاعتبار أن نقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» يريد الإشارة إلى أمور:

أحدها: أن هذا النصر منسجم مع طبيعة الحياة و مقتضياتها، و هو مما يتطلبه كل شىء حتى هذا المطر العارض الذى لم ينزل بعد ..

ثانيها: الإشارة إلى شدة قرب هذا النصر، فإن بشائره المؤذنة بقرب نزوله حاضرة كحضور بشائر و أمارات نزول المطر، كظهور السحب، و الرعد و نحوه.

ثالثها: التأكيد على حتميته، كحتمية نزول المطر من تلك السحابة ..

رابعها: أنه نصر داهم و غامر، كالمطر الداهم و الغامر ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۳

خامسها: إن هذا النصر نازل من السماء، و هو هبة إلهية، تماما كالمطر النازل، الذى هو عطاء إلهى.

دخل بيت عائشة أم ميمونة؟!:

و يزعم الواقدى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لعمرو بن سالم:

ارجعوا، و تفرقوا فى الأودية. و قام «صلى اللّه عليه و آله» و دخل على عائشة و هو مغضب، فدعا بماء، فدخل يغتسل، قالت عائشة: فأسمعه يقول، و هو يصب الماء: لا نصرت إن لم أنصر بنى كعب «۱».

و نقول:

إن نفس هذه القضية قد ذكرت للنبى «صلى اللّه عليه و آله» مع ميمونة، لا مع عائشة «۲».

و لربما يروق للباحث أن يرجح هذه الرواية و هى رواية ميمونة، لأنه اعتاد أن يرى هنا و هناك عمليات سطو على الأدوار، و على الفضائل و الكرامات، و على المواقف. يصل ذلك إلى حد الاختلاف و وضع الحديث على لسان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أو على لسان على «عليه السلام» أو غيرهما، فى سبيل تأييد شخص، أو فئة، أو تأكيد نهج فريق بعينه، يؤسفنا

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۲.

(۲) راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۰۱ و ۱۲۵ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۵، و تفسير مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۶۸ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۹۱ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۷۹ و الجامع لأحكام القرآن (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۸ ص ۸۷ و (ط دار الكتب العلمية) ج ۸ ص ۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۴

أن نقول: أن عائشة كانت و كذلك أبوها، و من هو فى خطهما و نهجهما أحد أركانه!!

هذا عدا ما يراه الباحث من تعمد سلب الفريق الآخر المناوئ لهؤلاء الكثير من الإمتيازات، أو التشكيك بها، أو تجاهلها، أو التعتيم عليها.

ثم هو يرى: ما يبذل من جهد لتلميع صورة هذا أو ذاك من الناس، و تأويل مواقفه السيئة، أو التشكيك بها، أو نسبتها إلى غيره، أو ما إلى ذلك ..

و ذلك كله يهيئ الأجواء لانطلاق احتمال أن تكون قد حصلت عملية سطو هنا أيضا لنفس الأسباب التى دعت إلى نظائر لها شوهدت فى الكثير من المواقع و المواضع .. و فى هذا الكتاب أمثلة عديدة تدخل فى هذا السياق ..

ابن ورقاء أول المخبرين:

ذكر المؤرخون: قدوم بديل بن ورقاء على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليخبره بما جرى على خزاعة، و بالمجزرة التى ارتكبت فى بيته و على باب داره فى حق الصبيان، و النساء و الضعفاء «۱».

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۳ عن ابن إسحاق. و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۷ و ۷۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۱ و ۱۰۲ و ۱۲۵ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۹۲ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۷۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۵ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۱۹ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۵ و زاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ۱ ص ۱۱۴۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۲ و السيرة النبوية لابن كثير-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۵

و ذكروا أيضا: لقاءه أبا سفيان فى عسفان، حين كان أبو سفيان متوجها إلى المدينة، و بديل عائد منها «۱».

و لكن محجن بن وهب يدّعى: أن بديل بن ورقاء لم يدخل مكة من حين انصرف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من الحديبية، حتى لقيه فى الفتح بمرّ الظهران. قال محمد بن عمر: و هذا أثبت «۲».

و نحن لا ندرى لماذا يطلق الواقدى دعواه: بأن ما رواه محجن بن وهب أثبت مما رواه ابن إسحاق و غيره.

و لا شك فى أن هذه المبادرة من بديل بن ورقاء كانت محاطة منه و ممن معه بنطاق من السرية التامة، لأن اكتشاف قريش لهذا الأمر سوف يعرض بديلا و رفاقه لخطر عظيم، قد عاينوا بعض مظاهره و مستوياته حين حصر

- ج ۳ ص ۵۳۰ و شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۳۱۶ و (ط دار الكتب العلمية) ص ۳۱۱ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۶۸ و عن إعلام الورى.

(۱) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۵ و ۷۸۶ و ۷۹۱ و ۷۹۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۲ و

راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۱ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۹۲ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۷۹ و الثقات ج ۲ ص ۳۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۵ و ۳۲۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۰ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۶۸.

(۲) دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۴ عن الواقدى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۶

الخزاعيون فى دار بديل، و سقط منهم كثير من الأبرياء قتلى فى داخل تلك الدار، و على بابها ..

و لذلك لم يستطع أبو سفيان معرفة حقيقة الأمر إلا من خلال النوى الذى وجده فى بعر إبلهم .. و لكنه لم يتيقن هذا الأمر، فسكت عليه.

على أن ذكر التفاصيل الدقيقة لما جرى فى عسفان بين أبى سفيان و بين بديل، يقرب احتمالات الصحة، و يوهن احتمال الوهم من الراوى ..

فإذا كانت رواية ذلك قد وردت بأكثر من طريق، و فى أكثر من مصدر، فإن حظوظ الحكم بصحة الرواية تصير أكبر و أوفر ..

و أخيرا نقول:

إننا لسنا بحاجة إلى التذكير: بأن من الممكن تعدد المخبرين لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فيخبره عمرو بن سالم، و يخبره أيضا بديل بن ورقاء ..

و قد لا يعلم أى منهما بمسير الآخر خصوصا فى مثل تلك الظروف الصعبة ..

عينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تدمعان:

ورد فى بعض النصوص: ما يدل على مدى تأثر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حين أخبره عمرو بن سالم بما جرى على خزاعة، حتى لقد دمعت عيناه «صلى اللّه عليه و آله».

و غنى عن البيان: أن هذا التأثر إن دل على شىء، فإنما يدل على: كمال معنى الإنسانية فيه «صلى اللّه عليه و آله»؛ و على حقيقة التوازن فى ميزاته و فى خصائصه «صلى اللّه عليه و آله»، فلم تكن لتطغى خصوصية على أخرى، أو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۷

تستأثر بدورها إلى حد الإلغاء، بل كان لكل خصوصية موقعها، و دورها الذى يخدم و يقوى، و يسدد خصوصيات أخرى فى أداء وظيفتها على أكمل وجه و أتمه ..

و لأجل هذا التوازن الدقيق فى الشخصية الإنسانية التى يريدها اللّه تبارك و تعالى كان المؤمنون أشداء على الكفار رحماء بينهم .. و كان المؤمن قويا شجاعا و كان رقيقا و رحيما و رؤوفا. و كان حازما، حليما. و لا يمكن أن يكون مؤمنا كاملا من دون أن يستجمع هذا الصفات، و يعيشها، و يتفاعل معها بصورة صحيحة و متوازنة ..

فلا غرو إذا رأينا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يجاهد الكفار و يغلظ عليهم فى حين تذهب نفسه عليهم حسرات.

ثم هو يتلقى سيوفهم، و رماحهم و سهامهم، و يردها عن نفسه ما وسعه ذلك، ثم هو يدعو لهم و يقول: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ..

و من جهة أخرى: إن هذه الرقة التى نراها من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حتى إن عينيه لتدمعان و هو يسمع ما جرى على خزاعة، لم تكن هى المرتكز لموقفه من القتلة و المجرمين، بل لم يكن لها أى تأثير فيه، بل كان المرتكز و المؤثر فى ذلك هو

التكليف الشرعى، و طلب رضا اللّه تعالى، و إنزال القصاص العادل بالمعتدين و الظالمين، من دون أى تعد عليهم، أو ظلم لهم، أو تجاوز للحد الشرعى و الإنسانى فى التعامل معهم.

قام و هو يجر رداءه:

و حين تتحدث الروايات المتقدمة: عن أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد بلغ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۸

به الغضب حدا جعله يقوم و هو يجر رداءه، فإنها تكون قد تجاوزت حدود المعقول و المقبول، بالنسبة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، إذ ليس لنا أن نصوره «صلى اللّه عليه و آله» بصورة من أخرجه غضبه عن طوره، إلى حد أنه لم يلتفت إلى ردائه ليسويه على نفسه، و يضعه بالصورة التى يفترض أن يكون عليها ..

فإذا كان «صلى اللّه عليه و آله» بهذه المثابة من الانفعال، فكيف يمكن أن نطمئن إلى أنه كان يتخذ قراراته برويّة و تعقل، و تدبر و تأمل؟! فلعل غضبه الشديد قد جعله غافلا عن بعض الأمور التى لا بد من مراعاتها فى تلك القرارات!

كما أن نسبة أمثال هذه الأمور له «صلى اللّه عليه و آله» لا تنسجم مع الاعتقاد بعصمته، و بتسديد اللّه له، و تأييده بالوحى .. و مع ما هو معروف عنه «صلى اللّه عليه و آله» من رويّة و اتزان.

إلا أن يقال: إن المنهى عنه هو جر الرداء خيلاء و تكبرا، و أما إظهارا لشدة الغضب للّه تبارك و تعالى، و شريطة أن لا يترتب على ذلك أى محذور آخر، فما ذكرناه آنفا ليس بقبيح، بل قد يكون محبوبا إلى اللّه تبارك و تعالى ..

النبى صلّى اللّه عليه و آله يأمر مخبريه بالتفرق فى الأودية:

و قالوا: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال لعمرو بن سالم و أصحابه «ارجعوا و تفرقوا فى الأودية».

فرجعوا و تفرقوا، و ذهبت فرقة إلى الساحل بعارض الطريق، و لزم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۶۹

بديل بن ورقاء فى نفر من قومه الطريق «۱».

و نقول:

إن ما قام به عمرو بن سالم و أصحابه، من إخبار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بما جرى .. ليس من الأمور التى يمكن لقريش و بنى بكر أن يتجاوزوها من دون اكتراث أو اهتمام .. بل هو بالنسبة إليهم و إليها قضية حاسمة و مصيرية، تجعلهم بين خيارى: البقاء و الفناء، و الحياة و الموت.

و هم يرون: أنهم إذا استطاعوا إخفاء ما جرى عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أو التخلص من المسؤولية عنه و من تبعاته، فقد أفلحوا فى الإبقاء على حالة الهدنة القائمة فيما بينهم و بين المسلمين .. و لعلهم يقدرون فى وقت ما على استعادة بعض القوة لمواجهة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و ربما يحلمون بأن ينتهى الأمر بحسم الأمور لمصلحتهم ..

و أما إن ظهر نكثهم للعهد، و استمرت التحولات فى هذا الاتجاه، فسيخسرون المعركة مع المسلمين، لأنهم لم يهيئوا لها ما يمنحهم و لو خيطا من الأمل ضعيفا بأى نصر، مهما كان هزيلا و ضئيلا ..

بل إنهم ليدركون: أن قدراتهم قد تضاءلت عما كانت عليه بدرجة كبيرة و خطيرة، كما أن قدرات أهل الإسلام قد تنامت و كبرت، بل تضاعفت، و لا سيما بعد كسر شوكة اليهود فى خيبر و سواها، ثم ما جرى فى مؤتة ..

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۳ عن ابن عقبة و الواقدى، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۷ ص ۱۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۲. و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷۰

بل إن قدرات كثيرة قد أضيفت إلى قدرات المسلمين، حتى تضاعفت عما كانت عليه من قبل ..

و ذلك كله يشير إلى: أن اكتشاف قريش، و حلفائها لهذه النشاطات التى قام بها عمرو بن سالم و بديل بن ورقاء، سوف يدفعها للانتقام السريع و الهائل و المريع من هؤلاء، و من كل من يلوذ بهم، أو ينتمى إليهم، و من دون أية رحمة أو شفقة ..

و على هذا الأساس نقول:

إنه لم يكن من الحكمة فى شىء أن يعود بديل بن ورقاء و عمرو بن سالم و أصحابهما إلى مكة ظاهرين معلنين، و كان التخفى و التستر على هذا الأمر ضرورة لا بد منها، و لا غنى عنها لحفظ حياتهم، و حياة كل من يلوذ بهم ..

و قد جاء التوجيه النبوى الكريم منسجما مع هذه الحقيقة حيث أبلغهم أن عليهم أن يتفرقوا حين عودتهم فى الأودية و الشعاب، و أن يسلكوا طرقا مختلفة، حتى إذا تمكنت قريش و حلفاؤها من العثور على بعض منهم فى بعض الأودية و المسالك، فإنها قد لا تظن أنهم يعودون من مهمة تعنيها و تتعلق بما حدث.

و حتى لو راودها احتمال من هذا القبيل، فقد لا يخطر على بالها: أن يكون لهؤلاء شركاء فى مهمتهم هذه.

و لو خطر ذلك أيضا على بالها، و سألت عنه، فإن إنكار هذه الشراكة سوف يحد من دائرة الخطر و يؤكد لها احتمال أن يكون قد حصل شىء من ذلك بمبادرة شخصية، و ربما تكون إزالة أساس هذا الاحتمال أيسر مما لو شوهدت جماعة كثيرة تمخر عباب تلك المنطقة، لأن ذلك سوف يقوى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷۱

احتمال وجود أمر مهم دعا رجالات القرار لاتخاذ قرار بشأنه، و هذه الجماعة بصدد تنفيذه.

و هذا ما يفسر لنا عدم قدرة أبى سفيان على التمادى فى توجيه الأسئلة لبديل بن ورقاء حينما لقيه بعسفان، فلجأ إلى فت أبعار الإبل، ليرى نوى تمر يثرب فيها، و بعد ذلك لم يتمكن من الجزم بصحة ما دار فى خلده، فآثر السكوت، و انصرف عن استقصاء هذا الأمر ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷۳

الفصل الثالث: أبو سفيان فى المدينة: تدليس و خداع

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷۵

عروض النبى صلّى اللّه عليه و آله و رفض قريش:

عن ابن عمر، و حزام بن هشام الكلبى، و محمد بن عبّاد بن جعفر: أن قريشا ندمت على عون بنى نفاثة، و قالوا: محمد غازينا.

فقال عبد اللّه بن أبى سرح: إن عندى رأيا، إن محمدا لن يغزوكم حتى يعذر إليكم، و يخيّركم فى خصال كلها أهون عليكم من غزوه.

قالوا: ما هى؟

قال: يرسل إليكم أن دوا قتلى خزاعة، و هم ثلاثة و عشرون قتيلا، أو تبرؤوا من حلف من نقض الصلح، و هم بنو نفاثة، أو ينبذ إليكم على سواء، فما عندكم فى هذه الخصال؟

فقال القوم: أحر بما قال ابن أبى سرح- و قد كان به عالما-.

قال سهيل بن عمرو: ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حلف بنى نفاثة.

فقال شيبة بن عثمان العبدرى: حفظت أخوالك، و غضبت لهم.

قال سهيل: و أى قريش لم تلده خزاعة؟

قال شيبة: و لكن ندى قتلى خزاعة، فهو أهون علينا.

و قال قرظة بن عبد عمرو: لا و اللّه لا يودون و لا نبرأ من حلف بنى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷۶

نفاثة، و لكنا ننبذ إليه على سواء.

و قال أبو سفيان: ليس هذا بشىء، و ما الرأى إلا جحد هذا الأمر، أن تكون قريش دخلت فى نقض عهد، أو قطع مدة، و إنه قطع قوم بغير رضى منا و لا مشورة، فما علينا.

قالوا: هذا الرأى لا رأى غيره «۱».

و قال عبد اللّه بن عمر: إنّ ركب خزاعة لمّا قدموا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أخبروه خبرهم، قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»:

«فمن تهمتكم و ظنتكم»؟

قالوا: بنو بكر.

قال: «أكلّها»؟

قالوا: لا، و لكن بنو نفاثة قصرة، و رأس القوم نوفل بن معاوية النفاثى.

قال: «هذا بطن من بنى بكر، و أنا باعث إلى أهل مكة، فسائلهم عن هذا الأمر، و مخيرهم فى خصال ثلاث».

فبعث إليهم ضمرة- لم يسم أباه محمد بن عمر- يخيرهم بين إحدى خلال، بين أن يدوا قتلى خزاعة، أو يبرؤوا من حلف بنى نفاثة، أو ينبذ إليهم على سواء.

فأتاهم ضمرة رسول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأناخ راحلته

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۴ عن ابن عائذ، و الواقدى، و مسدد فى مسنده بسند صحيح، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۷ و ۷۸۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷۷

بباب المسجد، فدخل و قريش فى أنديتها، فأخبرهم أنه رسول رسول اللّه و أخبرهم بالذى أمره رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» به.

فقال قرظة بن عبد عمرو الأعمى: أما أن ندى قتلى خزاعة، فإن نفاثة فيهم عرام، فلا نديهم حتى لا يبقى لنا سبد و لا لبد، و أما أن نتبرأ من حلف نفاثة فإنه ليس قبيلة من العرب تحج هذا البيت أشد تعظيما له من نفاثة، و هم حلفاؤنا، فلا نبرأ من حلفهم، أو لا يبقى لنا سبد و لا لبد، و لكن ننبذ إليه على سواء.

فرجع ضمرة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك من قولهم.

و ندمت قريش على رد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و بعثت أبا سفيان فذكر قصة مجيئه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»

كما سيأتى «۱».

مساع فاشلة لأبى سفيان:

روى محمد بن عمر عن حزام بن هشام عن أبيه: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «لكأنكم بأبى سفيان قد جاء يقول: جدّد العهد، وزد فى الهدنة (ليشد العقد و يزيد فى المدة). و هو راجع بسخطه» «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۴ و ۲۰۵ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۲ و المطالب العالية ج ۴ ص ۲۴۳ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۶ و ۷۸۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۰.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۵ عن عبد الرزاق عن نعيم، مولى ابن عباس و عن ابن أبى شيبة عن عكرمة، و عن الواقدى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۲ و (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۳ و السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد على-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷۸

و روى: أن الحارث بن هشام، و عبد اللّه بن أبى ربيعة مشيا إلى أبى سفيان بن حرب، فقالا: هذا أمر لا بد له من أن يصلح، و اللّه لئن لم يصلح هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد فى أصحابه.

فقال أبو سفيان: قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها و أفظعتها و خفت من شرها.

قالوا: و ما هى؟

قال: رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة مليا، ثم كأن ذلك الدم لم يكن، فكره القوم الرؤيا «۱».

و فى نص آخر زعموا: أنه لما بلغ أبا سفيان ما فعلت قريش بخزاعة- و هو بالشام- أقبل حتى دخل على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: يا محمد، احقن دم قومك الخ .. «۲».

- صبيح) ج ۴ ص ۸۵۵ و (ط دار المعرفة) ص ۲۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۳ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۶۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۸ ص ۶۴ و جامع البيان للطبرى ج ۲ ص ۸۴ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۱ و زاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ۱ ص ۱۱۴۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۲.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۵ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۵ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۹.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۰۱ و ۱۲۶ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۷، و عن المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۷۷ و راجع: تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۹۲-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۷۹

و قال أبو سفيان لما رأى ما رأى من الشر: هذا- و اللّه- أمر لم أشهده، و لم أغب عنه، لا يحمل هذا إلا علىّ، و لا و اللّه ما شوورت فيه، و لا هويته حين بلغنى، و اللّه، ليغزونا محمد إن صدقنى ظنى، و هو صادقى، و ما بد من أن آتى محمدا فأكلمه أن يزيد فى الهدنة، و يجدد العهد.

فقالت قريش: قد و اللّه أصبت.

و ندمت قريش على ما صنعت من عون بنى بكر على خزاعة، و تحرجوا أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يدعهم حتى يغزوهم.

فخرج أبو سفيان، و خرج معه مولى له على راحلتين، فأسرع السير، و هو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه

و آله»، فلقى بـديل بن ورقاء بعسـفان، فأشـفق أبو سـفيان أن يكون بـديل جاء رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» بل كان اليقين عنده، فقال للقوم: أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها؟

قالوا: لا علم لنا بها.

فعلم أنهم كتموه، فقال: أما معكم من تمر يثرب شيء تطعمونا؟ فإن لتمر يثرب فضلا على تمور تهامة.

قالوا: لا.

- و تاريـخ مدينة دمشق (ط دار الكتب العلمية) ج ۷۳ ص ۸۸ و (ط دار الفكر) ج ۷۹ ص ۱۵۰ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۶۹ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۷۹ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۱ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۰

فأبت نفسه أن تقرّه حتى قال: يا بديل: هل جئت محمدا؟

قال: لا ما فعلت، و لكن سرت فى بلاد بنى كعب و خزاعة من هذا الساحل، فى قتيل كان بينهم، فأصلحت بينهم.

فقال أبو سفيان: إنك- و اللّه- ما علمت بر واصل.

ثم قايلهم أبو سـفيان حتى راح بديل و أصحابه، فجاء أبو سفيان منزلهم ففت أبعار أباعرهم، فوجد فيها نوى من تمر عجوة كأنها ألسنة الطير، فقال أبو سـفيان: أحلف باللّه لقد جاء القوم محمدا «۱». الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۱ ۸۰ مساع فاشلة لأبى سفيان: ..... ص : ۷۷

و كـان القوم لما كانت الوقعـة خرجوا من صـبح ذلك اليوم فساروا ثلاثا، و خرجوا من ذلك اليوم فساروا إلى حيث لقيهم أبو سـفيان ثلاثا، و كانت بنو بكر قـد حبست خزاعـة فى دارى بـديل و رافع ثلاثـة أيام يكلمون فيهم، و ائتمرت قريش فى أن يخرج أبو سـفيان، فأقام يومين. فهذه خمس بعد مقتل خزاعة.

و أقبل أبو سـفيان حتى دخل المدينـة، فـدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى «صـلى اللّه عليه و آله»، فأراد أن يجلس على فراش رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فطوته دونه.

فقال: يا بنية!! أرغبت بهذا الفراش عنى أو بى عنه؟

قالت: بل هو فراش رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أنت امرؤ مشرك

---

(۱) المغازى للواقـدى ص ۷۸۵ و ۷۸۶ و ۷۹۱ و ۷۹۲ و سـبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۶ و السـيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۲ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و أشـار إلى ذلك فى: مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۱ و ۱۰۲ و تاريـخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۹- ۲۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۱

نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

قال: يا بنية لقد أصابك بعدى شر.

فقالت: بل هـدانى اللّه للإسـلام. و أنت يا أبت سيد قريش و كبيرها، كيف يسـقط عنك الـدخول فى الإسـلام، و أنت تعبـد حجرا لا يسمع و لا يبصر؟

فقام من عنـدها، فأتى رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» و هو فى المسـجد، فقال: يا محمد!! إنى كنت غائبا فى صـلح الحديبية، فاشدد

العهد، و زدنا فى المدة.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «فلذلك جئت يا أبا سفيان»؟

قال: نعم.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «هل كان من قبلكم من حدث»؟

قال: معاذ اللّه، نحن على عهدنا و صلحنا يوم الحديبية، لا نغير و لا نبدل.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «فنحن على مدتنا و صلحنا يوم الحديبية لا نغير و لا نبدل».

فأعاد أبو سفيان على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» القول، فلم يرد عليه شيئا «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۲ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و راجع: مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۶۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۱ و ۱۰۲ و ۱۲۶ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۷، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۲ و ۷۹۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۲ و ۲۶۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۹ ص ۱۵۰ و ۱۵۱ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۱ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۲

فذهب إلى أبى بكر فكلمه، و قال: تكلم محمدا، أو تجير أنت بين الناس.

فقال أبو بكر: جوارى فى جوار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

زاد ابن عقبة: و اللّه، لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم.

فأتى عمر بن الخطاب، فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر.

فقال: أنا أشفع لكم عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»!! فو اللّه، لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه اللّه، و ما كان منه متينا فقطعه اللّه، و ما كان منه مقطوعا فلا وصله اللّه.

فقال أبو سفيان: جوزيت من ذى رحم شرا «۱».

فأتى عثمان بن عفان فقال: إنه ليس فى القوم أحد أقرب رحما منك، فزد فى المدة، و جدد العهد، فإن صاحبك لا يرده عليك أبدا.

فقال عثمان: جوارى فى جوار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

فأتى عليا «عليه السلام»، فقال: يا على، إنك أمس القوم بى رحما، و إنى جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا، فاشفع لى إلى محمد.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۲ و ۷۳ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و راجع: مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۱ و ۱۰۲ و ۱۲۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۱ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۳.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۳ و (ط المعرفة) ص ۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۳ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث) ج ۴ ص ۳۲۱ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۳

فقال: ويحك يا أبا سفيان! و اللّه لقد عزم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فأتى سعد بن عبادة، فقال: يا أبا ثابت، أنت سيد هذه البحيرة، فأجر بين الناس، و زد فى المدة.

فقال سعد: جوارى فى جوار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و ما يجير أحد على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فأتى أشراف قريش و الأنصار، فكلهم يقول: جوارى فى جوار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ما يجير أحد على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فلما أيس مما عندهم، دخل على فاطمة الزهراء «عليها السلام» و الحسن «عليه السلام» غلام يدب بين يديها، فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تجيرى بين الناس؟

فقالت: إنما أنا امرأة، و أبت عليه «۱».

(و فى نص آخر: قالت: إنما أنا امرأة.

قال: قد أجارت أختك- يعنى: زينب- أبا العاص بن الربيع، و أجاز ذلك محمد.

قالت: إنما ذاك إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخ ..) «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۳ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۴ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۱ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۳ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۳.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۳ و (ط دار-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۴

فقال: مرى ابنك هذا- أى الحسن بن على «عليهما السلام»- فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر.

قالت: و اللّه ما بلغ ابنى ذلك، أن يجير بين الناس، و ما يجير أحد على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

(و فى نص آخر: ما يدرى ابناى ما يجيران من قريش) «۲».

(زاد فى الحلبية قوله: «قال: فكلمى عليا ..

فقالت: أنت تكلمه.

فكلم عليا فقال: يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يفتئت على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بجوار») «۳».

- المعرفة) ص ۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۴ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و ۱۲۶ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۶۸ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۷ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۷۵ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۳۶۳.

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۶ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۸.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۳ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۶ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۰ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۰ و السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد على صبيح) ج ۴ ص ۸۵۶ و عيون الثر ج ۲ ص ۱۸۴ و راجع: الإرشاد ج ۱ ص ۱۳۳ و البحار ج ۲۲ ص ۷۷ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۲ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۴۷.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۳ و (ط دار المعرفة) ص ۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۵

فقال لعلى «عليه السلام»: يا أبا الحسن!! إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى.

قال: و اللّه ما أعلم شيئا يغنب عنك شيئا، و لكنك سيد بنى كنانة.

قال: صدقت، و أنا كذلك.

قال: فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك.

قال: أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا؟

قال: لا و اللّه، و لكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان فى المسجد، فقال: أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس، و لا و اللّه ما أظن أن يخفرنى أحد.

ثم دخل على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فقال: يا محمد، إنى قد أجرت بين الناس.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة»!!

ثم ركب بعيره و انطلق «۱».

و كان قد احتبس و طالت غيبته، و كانت قريش قد اتهمته حين أبطأ أشد التهمة، قالوا: و اللّه إنّا نراه قد صبأ، و اتبع محمدا سرّا، و كتم إسلامه.

فلما دخل على هند امرأته ليلا، قالت: لقد احتبست حتى اتهمك

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۳ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۶ و ۱۲۷ و ج ۲۲ ص ۷۷ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۴ و ۷۹۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۷۷ و الأنوار العلوية للنقدى ص ۲۰۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۶

قومك، فإن كنت مع الإقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل.

ثم دنا منها، فجلس مجلس الرجل من امرأته.

فقالت: ما صنعت؟

فأخبرها الخبر، و قال: لم أجد إلا ما قال لى على.

فضربت برجلها فى صدره و قالت: قبحت من رسول قوم، فما جئت بخير «۱».

فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند إساف و نائلة، و ذبح لهما، و جعل يمسح بالدم رؤوسهما (كذا) و يقول: لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبى، إبراء لقريش مما اتهموه به.

فلما رأته قريش، قاموا إليه، فقالوا: ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد، أو زيادة فى مدة ما نأمن به أن يغزونا محمد؟

فقال: و اللّه، لقد أبى على.

و فى لفظ: لقد كلمته، فو اللّه ما رد على شيئا، و كلمت أبا بكر فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو (و فى رواية أعدى العدو) و قد كلمت علية أصحابه، فما قدرت على شىء منهم، إلا أنهم يرموننى بكلمة واحدة، و ما رأيت قوما أطوع لملك عليهم منهم له.

إلا أن عليا لما ضاقت بى الأمور قال: أنت سيد بنى كنانة، فأجر بين الناس، فناديت بالجوار.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۳ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۵ و

شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۷

(و عند الحلبى: ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم. و قد أشار على بشيء صنعته، فو اللّه، لا أدرى أيغنى عنى شيئا أم لا) «۱».

فقال محمد: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة»!!

لم يزدنى.

قالوا: رضيت بغير رضى، و جئت بما لا يغنى عنا و لا عنك شيئا، و لعمر اللّه ما جوارك بجائز، و إن إخفارك عليهم لهين، ما زاد على من أن لعب بك تلعبا.

قال: و اللّه ما وجدت غير ذلك «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و راجع: الإرشاد ج ۱ ص ۱۳۳ و البحار ج ۲۲ ص ۷۷ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۴۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۷ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۴ ص ۳۲۰ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۱ و السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد على صبيح) ج ۴ ص ۸۵۷ و (ط دار المعرفة) ج ۴ ص ۲۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و زاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ۱ ص ۱۱۴۷.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۷ و ۲۰۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۳ و راجع: الإرشاد ج ۱ ص ۱۳۴ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۹۲ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۸۰ و الثقات ج ۲ ص ۴۰ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۶۹ و المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۷۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۶ و ۱۲۷ و ج ۲۲ ص ۷۸ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۸، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و البداية و النهاية (ط دار إحياء التراث العربى)-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۸

و نقول:

إن لنا هنا وقفات هى التالية:

ترتيب الأحداث:

و قد يظن البعض: أن ثمة تناقضا بين الروايات المتقدمة، فإنها تارة تقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أرسل إلى قريش يخيرها بين أمور ثلاثة .. فاقترح أبو سفيان عليهم أن يجحدوا حصول أى شيء يمكن فهمه على أنه نقض للعهد ..

و تارة تقول: إن أبا سفيان خرج إلى المدينة بعد خمس ليال فقط من العدوان على خزاعة. فأى ذلك هو الصحيح؟!

غير أننا نقول:

إنه لا تناقض بين تلك الروايات، و لكن الأمور قد اختلطت على المؤرخين، فقدموا المتأخر، و أخروا المتقدم. فاقتضى ذلك إضافة بعض البيانات التوضيحية منهم، فأوجب ذلك الخلل، و بدا أن ثمة تناقضا و اختلافا بين المرويات.

و الحقيقة هى: أنه لو أعيد كل نص إلى موضعه لاستقام السياق و انحل الإشكال بصورة تلقائية ..

و الذى نراه: هو أن أبا سفيان خرج إلى المدينة بعد خمسة أيام من

- ج ۴ ص ۳۲۲ و (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۳ ص ۴۲ و السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد على صبيح) ج ۴ ص ۸۵۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۸۹

المجزرة، و سار إلى عسفان .. فالتقى ببديل بن ورقاء و صحبه، و جرى بينه و بينهم ما جرى .. ثم تابع سيره إلى المدينة، و حاول تعمية الأمور و المكر بالمسلمين بحجة: أنه لم يحضر الحديبية، و يريد التأكيد على العهد الذى أبرم فيها، و يزيد من مدته، فواجه ما لم يكن له بالحسبان، و عاد يجر أذيال الخيبة و الخسران.

ثم جاءت وفود خزاعة فأخبروا النبى «صلى اللّه عليه و آله» بما جرى عليهم، فوعدهم النصر، و أخبرهم: أنه سيرسل إلى قريش يخيرها بين ثلاثة أمور.

ثم أرسل «صلى اللّه عليه و آله» رسولا إلى قريش يعلمهم ببوار مكرهم، و افتضاح أمرهم، و يضعهم أمام تلك الخيارات المتقدمة .. فكان اقتراح أبى سفيان يقضى بالإصرار على جحد أية مسؤولية لهم تجاه ما حصل.

سؤال و جوابه:

و لكن السؤال الذى يحتاج إلى إجابة هو: كيف استطاع بديل بن ورقاء و صحبه أن يسافروا إلى المدينة و يعودوا منها، و يلتقى بهم أبو سفيان فى عسفان فى غضون أيام يسيرة قد تتجاوز أصابع اليد الواحدة بيسير، فى حين أن المدينة تبعد عن مكة ما يقارب الأربع مائة كيلومتر .. و تحتاج ربما إلى ضعف هذا العدد من الأيام لقطعها ذهابا و إيابا ..

و يمكن أن يجاب: بأن أبا سفيان قد خرج من مكة- حسب زعمهم- باتجاه المدينة بعد خمسة أيام من المجزرة. و لكن لا شيء يدل على طبيعة سيره،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۰

و كم بقى حتى وصل إلى عسفان؟ و هل تلوّم فى طريقه من المنازل المختلفة بضعة أيام؟ أم أنه أسرع السير و واصله؟ فهذا ما لا تذكره الروايات.

فيحتمل إذن: أن يكون قد سار ببطء، بحيث لم يصل إلى عسفان حتى مرت عدة أيام، تكون هى و الخمسة أيام الأولى التى أقامها فى مكة بعد حصول المجزرة كافية لذهاب الركب إلى المدينة و عودته منها على جناح السرعة، خوفا من افتضاح أمرهم ..

على ماذا ندمت قريش؟!:

إن ندم قريش على عون بنى نفاثة لا يخفف من قبح الجريمة التى ارتكبتها، و لا يبرر أى إجراء تخفيفى فى عقوبتها، لأن هذا الندم لم يكن لأجل إقرارها ببشاعة و فظاعة الجريمة، و قبح نقض العهد، بل هو ندم يؤكد إصرارها على ذلك كله و التزامها به، و يحمل فى ثناياه منطق التأييد، و الرضى، و عدم التورع عن العودة إلى مثله حينما تسنح الفرصة، و تأمن من عواقبه و تبعاته السيئة عليها ..

فهو ندم قبيح، و مرفوض، و يوجب لها المزيد من الخزى، و المهانة، و السقوط. إنه ليس ندما، بل لجاج و إصرار، و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ..

إنه ندم حقيقته الخوف من انتقام المظلومين، و أن يدان أهل الحق من الظالمين، و أهل الباطل ..

و خير دليل على إصرار هؤلاء على باطلهم و سيرهم الدائب فى خط الجحود و الإنكار للحق، هو موقفهم الرافض للخيارات العادلة التى وضعها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمامهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۱

أبو سفيان ينقض العهد:

زعموا: أن أبا سفيان لم يعلم بما تعاقد بنو نفاثة و زعماء من قريش عليه، و بما صنعوه فى خزاعة قبل وقوعه، و لم يشاوروه فى ذلك «۱».

و زعموا: أنه كان فى الشام آنئذ «۲».

و قيل: شاوروه، فأبى عليهم «۳».

و لنفترض: أن أبا سفيان لم يرض بنقض العهد، و لم يشارك فيما جرى، فإن ذلك لا يعفيه من المسؤولية لأكثر من سبب.

فأولا: قد تقدم: أن بعض الروايات تصرح: بأنه هو صاحب الرأى الذى يقول: إن اللازم هو إنكار حدوث أى شىء على خزاعة، و جحد هذا الأمر و إبطاله من أساسه. و هذه خيانة عظيمة، و إهدار لدماء الناس، و استخفاف بها ..

و ثانيا: إنه قد سعى بكل جهده للتستر على هذا الأمر حينما جاء إلى المدينة ليوثق العهد من جديد ..

و أنكر لدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أن يكون قد حصل أى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۳ ص ۴۵۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۰ و ۲۷۱.

(۲) راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۲۶ و مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۷۷ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۷ و الأنوار العلوية للنقدى ص ۱۹۹.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۱ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۲

حدث يوجب نقض العهد، و بذلك يكون قد أصبح شريكا فى هذا الأمر، خصوصا و أنه قد اتخذ سبيل المكر بالنبى «صلى اللّه عليه و آله» و عمل على خديعته. فهو إن كان لم يبدأ بالغدر، و لكنه قد حمى الغدرة الفجرة، المستحلين لحرم اللّه، و القتلة لعباد اللّه.

الخيارات العادلة:

و عن الخيارات التى وضعها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمام ناقضى العهد نقول:

ألف: إن الخيار الأول هو: أن يبدوا قتلى خزاعة. فإن ذلك من أوليات الحقوق الثابتة و المعترف بها لمن يعانون من عدوان كهذا، حتى فى المجتمع الجاهلى. بل إن القتل حين يكون عدوانيا، و عن سابق عمد و إصرار، لا يكتفى معه بالمطالبة بالدية، بل يرتقى الأمر إلى المطالبة بالقصاص من القاتل .. فكيف إذا كانت هناك عهود و مواثيق لا بد من مراعاتها و الوفاء بها؟!

فالمطالبة بالدية يمثل إرفاقا كبيرا، و تبرعا بالعفو عن جرم كبير و خطير، يراد محاصرة آثاره، و منعه من التوسع و الانتشار، لو أريد الإصرار على خيار القصاص أو أريد الاستفادة من حق إسقاط الالتزامات، و اعتبار العهد فى حكم المنتهى ..

ب: و الخيار الثانى هو: إفساح المجال أمام العدالة لتأخذ مجراها، و ذلك بالتخلى عن الحلف مع أولئك المعتدين و المجرمين، لينالوا جزاءهم ..

و هو خيار متوافق مع سنة العدل و الإنصاف، و مشوب بالرفق و الإحسان لقريش أيضا، من حيث إنه يظهر تصديقها فيما تدّعيه، و

يغض

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۳

النظر عن ملاحقتها، و مجازاتها على ما اقترفته.

و ذلك يمثل درسا عمليا لها فى الوفاء بالإلتزامات، و عدم الإنسياق وراء دعوة النزوات و الشهوات .. كما أنه يقدم العبرة للناس، كل الناس، فى أخذ الحق للمظلوم من الظالم، و قصاص المعتدى .. و كفى ذلك رادعا لهم عن الانسياق وراء بنى نفاثة فى ارتكاب جرائم مماثلة، قد يرون أن الظروف تسمح لهم بارتكابها، و ذلك ظاهر لا يخفى.

ج: و أما الخيار الثالث و الأخير: فيقوم على فرضية الإصرار على العدوان، و على مناصرة الظالمين و المجرمين .. حيث لا بد من الردع المؤثر و قطع دابر الفساد و الإفساد، فإن آخر الدواء الكىّ، و من الإحسان للإنسانية استئصال الغدة السرطانية التى تفتك بالوجود الإنسانى كله ..

سياسات يعرفها الجميع:

و قد قرأنا فى النصوص المتقدمة: أن عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح يستبق الأمور، و يخبر أهل مكة بما ستأتيهم به الرسل عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حتى لقد حدد لهم الخيارات التى سيعرضها «صلى اللّه عليه و آله» عليهم ..

و هذا معناه: أن سياسات الإسلام المشوبة بالعفو و الرفق و الرحمة، و الإنصاف، و المتمثلة بأقوال و أفعال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد أصبحت معروفة، حتى لدى أعدائه.

و مما يدخل فى هذا السياق أيضا يقين بنى نفاثة بأن محمدا لن يسكت على نقض العهد، و ظلم الأبرياء. كما أن قريشا خافت أن يعلم رسول اللّه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۴

«صلى اللّه عليه و آله» بما حدث، لأن عواقب ذلك ستكون غير مرضية لها ..

آراء لا يحسدون عليها:

و حين عرض ابن أبى سرح الخيارات التى يتوقع أن تأتى بها الرسل من عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. أدلى أصحاب المواقع، و أرباب الرأى الحصيف بآرائهم السخيفة و الوضيعة، التى تعبر عن ذهنيتهم و توجهاتهم، و آفاق تفكيرهم، و منطلقاتهم. فيلاحظ:

ألف: أن سهيل بن عمرو قد عبر عن رأى يظهر طبيعة نظرة أهل الشرك للعهود و المواثيق، و مدى هشاشتها، و سقوط محلها و قيمتها عندهم و ضعف تأثيرها فى التزاماتهم، فقال: «ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حلف بنى نفاثة».

ب: و عبر شيبة بن عثمان عن سوء الظن الذى كان يهيمن على مجتمع أهل الشرك، فلم يكن يثق أحد منهم بأحد، و لا يطمئن لسلامة نواياه، الأمر الذى يضعف من درجة اعتماد بعضهم على البعض الآخر، و يحد بصورة كبيرة من إقدامهم على أى عمل يصب فى مصلحة الآخرين، فضلا عن أن يضحى فى سبيلهم، أو يؤثرهم على نفسه.

ثم هو يشير إلى: أن منطلقاتهم حتى فى مواقفهم المصيرية هى مصالحهم الشخصية و أهواؤهم و تعصباتهم القبليّة، و مشاعرهم العرقية. فقضاياهم الكبرى تتقزم و تتحجم لتصبح فى مستوى الشخص، لا من حيث مزاياه الإنسانية، بل بلحاظ مزيته البشرية، و فى خصوص طبيعة موقعه النسبى ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۵

ج: أما موقف قرظة بن عمرو، فيعبر عن حمية الجاهلية التى تختزنها نفوسهم، و التى تهيمن و تطغى على مشاعرهم، و على أحاسيسهم.

د: ثم يأتى موقف أبى سفيان، الذى يدل على أن تلك النفوس أصبحت قاحلة جرداء، لا تمر فى أجوائها أى نسمة من نسمات الخير، و لا- تجد فيها أى أثر للهدى و الصلاح .. بل هى تضج و تعج بخصال ضربت جذورها فى أعماق الباطل، و انطلقت أغصانها فى آفاقه، فكانت ثمارها شرا و جهالة، و غواية، و ضلالة.

تحديد المتهم بدقة:

ثم يذكر الحديث السابق: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد طلب من ركب خزاعة تحديد مرتكب الجريمة بدقة، و لم يكتف بعناوين فضفاضة و عامة.

فحين قالوا: إنهم يتهمون بنى بكر، قال لهم: أكلهم؟

قالوا: لا، و لكن بنو نفاثة فقط، و على رأسهم فلان ..

و بذلك يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد استبعد المنطق العشائرى الجاهلى، الذى يأخذ البرىء بذنب المجرم. رغم أن الذين قتلهم بنو نفاثة هم من الصبيان و النساء، و الضعفاء من الرجال ..

عرام بنى نفاثة:

و قد وصفت الروايات المتقدمة بنى نفاثة: بأن فيهم عراما، أى: حدة و شدة، أو شراسة و أذى ..

فهو يخشى- إن ودى القتلى الأبرياء الذين سقطوا تحت وطأة البغى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۶

و الغدر، و نكث العهود- أن يتعرض للأذى من أناس فيهم حدة و شراسة.

و هذا التضييع لحق هؤلاء ظلم آخر يحيق بأولئك الضحايا على يد جلاديهم، و قتلتهم.

بنو نفاثة يعظمون الحرم:

و قد زعم صاحب ذلك الرأى أيضا: أنه ليس فى العرب قبيلة أشد تعظيما لبيت اللّه تبارك و تعالى من بنى نفاثة ..

مع أن بنى نفاثة أنفسهم، و فى نفس هذه الواقعة التى أوصلت الأمور إلى هذا الحد، قد هتكوا حرمة الحرم، و قتلوا النساء، و الصبيان، و الضعفاء فيه. و حين حاول الناس لفت نظر زعيمهم و قائدهم نوفل بن معاوية نفسه إلى أنه يهتك حرمة الحرم لأن قتل أولئك الأبرياء قد أصبح فى داخله، و قالوا له: إلهك، إلهك. تفوه بما يدل على إلحاده، فقال: لا إله لى اليوم ..

فإذا كان هو فعلا أشد الناس تعظيما للبيت و الحرم، فما الذى ننتظره من سائر القبائل التى لا تعظم البيت إلى هذا الحد؟!

الخبر اليقين:

و قد أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالغيب، حين قال لهم: لكأنكم بأبى سفيان قد جاء يقول: جدد العهد، و زد فى المدة الخ ..

و نقول:

إن قضية مكة، و التصدى بحزم لممارسات رموز الشرك فيها، لم يكن تقبّله بالأمر السهل على الناس، بل كان يحتاج إلى جهد كبير

لإقناع الناس بصحة ذلك التصدى، و صوابيته.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۷

و لهذا الإقناع طرقه، و أساليبه المختلفة، و لكن أقواها و أعلاها تلك الإخبارات الغيبية التى يخضع لها العقل، و تتفاعل فى أجوائها المشاعر و الأحاسيس، و يعيش القلب معها السكينة و الطمأنينة ..

و قد بيّن «صلى اللّه عليه و آله» فى هذا الإخبار الغيبى المشار إليه أعلاه تفاصيل ما يجرى بصورة تامة و دقيقة، فصرح باسم القادم، و هو أبو سفيان. و ذكر لهم ما يسعى إليه أبو سفيان، بل هو صرح بعين الألفاظ و العبارات التى سوف يستخدمها، فقال: قد جاء يقول: جدد العهد، و زد فى المدة.

ثم بيّن لهم نتيجة سعى ذلك الرجل، و أنه سيرجع، و هو يجر أذيال الخيبة، و يحمل معه سخطه و مرارته ..

رؤيا هند بنت عتبة:

و عن رؤيا هند بنت عتبة نقول:

قد عرفنا أن للرؤيا فى المنام دورا فى هداية الناس، و فى إقامة الحجة عليهم، و فى لفت نظرهم لأمور يحتاجون إليها، و ليست الرؤيا مجرد تخيلات عابرة، ليس لها أثر ..

و قد جاءت رؤيا هند لتحذر مشركى مكة من مغبة هذا البغى الذى يمارسونه، و تريهم بعض اللمحات عن المصير الذى ينتظرهم، إن استمروا فى اللجاج و العناد، و السعى لإطفاء نور اللّه تبارك و تعالى.

أبو سفيان هو المسؤول:

إن أبا سفيان الذى يدّعى: أنه لم يشهد ما جرى لخزاعة، قد أقر: بأنه لم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۸

يغب عما جرى ..

و هذا معناه: ليس فقط أنه كان على علم بما جرى .. بل هو قد شارك فى التخطيط و التآمر، حتى لو سلمنا: أنه كان فى الشام حين ارتكاب المجزرة الرهيبة كما ورد فى بعض النصوص «۱».

إذ لا شىء يمنع من التخطيط و الإتفاق على شىء، على أن يتم التنفيذ فى وقت يحدد بعد أيام، حيث يكون المستهدفون بالمؤامرة فى غفلة من ذلك كله ..

و إذا كان أبو سفيان حاضرا فلا نجد مبررا لتجاهله، و عدم استشارته، فيما عقدوا العزم عليه.

مع ملاحظة: أن لفعلهم هذا خطورة بالغة على الهدنة التى كانت بينهم و بين النبى «صلى اللّه عليه و آله»، لأجل الحلف الذى كان له مع خزاعة.

خصوصا و أن ذلك لا يعفى أبا سفيان من المسؤولية من اتخاذ موقف تجاه ما يحدث، سواء علم أم لم يعلم. و قد اعترف هو نفسه بذلك فقال: «لا يحمل هذا إلا على».

و هذا أمر طبيعى: فإن من يؤسس نهجا، و يسن سنّة للناس ليعملوا بها، فإذا عمل بها الناس، فليس له أن يقول لهم: أنا برىء مما تشركون ..

و قد أقر الشرع هذا المنطق أيضا، فقد روى عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أنه قال: من سن سنة حسنة فله أجرها، و أجر من

عمل بها. و من

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۲۶ و عن مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۷۷ و عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۷ و الأنوار العلوية للنقدى ص ۱۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۹۹

سن سنة سيئة، فعليه وزرها و وزر من عمل بها «۱».

---

(۱) راجع: الفصول المختارة للمفيد ص ۱۳۶ و روضة الطالبين للنووى ج ۱ ص ۷۳ و حاشية رد المختار ج ۱ ص ۶۲ و نيل الأوطار ج ۷ ص ۱۹۲ و مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۲۲۹ و الإختصاص ص ۲۵۱ و منية المريد ص ۱۴۵ و البحار ج ۲ ص ۲۴ و ج ۷۱ ص ۲۰۴ و مستدرك سفينة البحار ج ۵ ص ۱۸۴ و مسند أحمد ج ۴ ص ۳۵۷ و ۳۵۹ و ۳۶۱ و ۳۶۲ و صحيح مسلم ج ۳ ص ۸۷ و سنن النسائى ج ۵ ص ۷۶ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۱۷۶ و فتح البارى ج ۱۳ ص ۲۵۶ و تحفة الأحوذى ج ۹ ص ۶۸ و مسند أبى داود ص ۹۳ و مسند ابن الجعد ص ۹۰ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۳ ص ۳ و ۴ و صحيح ابن خزيمة ج ۴ ص ۱۱۲ و جزء الحميرى ص ۲۵ و صحيح ابن حبان ج ۸ ص ۱۰۱ و المعجم الأوسط ج ۴ ص ۳۴۳ و ۳۸۴ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۳۱۵ و ۳۲۹ و ۳۳۰ و ۳۴۶ و رياض الصالحين للنووى ص ۱۴۳ و اللمع فى أسباب ورود الحديث ص ۶۸ و كنز العمال ج ۱۵ ص ۷۸۰ و فيض القدير ج ۱ ص ۶۷۲ و كشف الخفاء ج ۲ ص ۲۵۵ و ۲۵۶ و التبيان ج ۱ ص ۱۸۷ و ج ۳ ص ۵۰۲ و تفسير مجمع البيان ج ۱ ص ۱۸۶ و ج ۳ ص ۳۲۲ و تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۷۳ و تفسير الميزان ج ۱۲ ص ۲۳۰ و ج ۱۷ ص ۷۰ و ج ۱۹ ص ۴۷ و أحكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۵۰۷ و ج ۳ ص ۱۸۸ و مفردات غريب القرآن للراغب ص ۲۶۳ و ۵۲۱ و الجامع لأحكام القرآن ج ۲ ص ۸۷ و ج ۶ ص ۱۴۰ و ج ۱۹ ص ۹۹ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۵۷۲ و ج ۴ ص ۳۶۵ و البرهان للزركشى ج ۲ ص ۱۴۴ و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۶۰ و ج ۶ ص ۲۰۱ و تفسير الثعالبى ج ۳ ص ۲۰۱ و الفصول فى الأصول للجصاص ج ۳ ص ۱۹۸ و أصول للسرخسى ج ۱ ص ۱۱۴ و ۳۸۱ و التعديل و التجريح ج ۱ ص ۱۳ و ۴۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۳ ص ۵۴۴ و الإستغاثة ج ۱ ص ۲۰ و النصائح الكافية ص ۱۲۰ و النهاية فى غريب الحديث ج ۱ ص ۱۰۶ و لسان العرب ج ۸ ص ۶ و مجمع البحرين ج ۱ ص ۱۶۴ و تاج العروس ج ۵ ص ۲۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۰

و قال تعالى فى إشارة إلى ذلك: وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ «۱».

تجديد العهد، و زيادة المدة:

و قد كان طلب أبى سفيان من النبى «صلى اللّه عليه و آله» تجديد عهد الحديبية، و الزيادة فى المدة، هو الخدعة التى أعدها هذا الرجل، و من ورائه قريش، للتملص و التخلص من تبعات الجريمة التى ارتكبوها فى حق صبيان و نساء و ضعفاء خزاعة ..

و ذلك بتقدير: أن يكون ذلك الطلب يشير إلى الرغبة فى تأكيد العهد، و من تكون لديه هذه الرغبة، فلا يعقل أن يكون قد نقض ما يسعى إلى تقويته!!

و يعزز ذلك و يقويه: طلب الزيادة فى المدة، لأن ذلك يبعّد احتمال نقض العهد أيضا. فإن ناقض العهد لا يعترف بوجوده، و قريش تعترف بالعهد، و ببقائه، بل هى ترغب فى إطالة أمده ..

و هذا كله يدخل فى سياق الإيحاء ببراءة قريش مما جرى لخزاعة. و هو أحد مظاهر جحود ما ظهر من نقضها للعهد، بالمشاركة فى العدوان على خزاعة.

و هو عين الرأى الـذى طرحه أبو سـفيان، و استبشـرت به قريش، حينما ائتمروا فيما بينهم حول كيفيـة الرد على الخيارات التى عرضـها النبى «صلى

---

(۱) الآية ۱۳ من سورة العنكبوت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۱

اللّه عليه و آله» عليهم ..

و قـد كان لا بـد من رد أبى سـفيان خائبا ليفهم: أن أساليب المكر و الإحتيال لا تجدى فى إماتة الحق، و إحياء الباطل. و هذا ما جرى له فعلا.

أساليب استخبار اتية فاشلة:

و حين التقى أبو سـفيان ببـديل بن ورقاء و صـحبه، و ظن أنهم راجعون من المدينـة، بادر إلى التعامل وفق سـجيته الماكرة، التى تظهر الود و الصـفاء، و تبطن الخبث و الحقـد و البغضاء، فبادر إلى طرح السؤال عن أخبار المدينة على بديل، و كأن عودته منها أمر مفروغ عنه ..

فلما أنكر بـديل أن يكون له علم بشـىء منها بادر بطرح سؤال آخر أكثر صـراحة من سابقه، على أمل أن تأخـذهم المفاجأة، و تهيمن عليهم هزة مشاعريـة تسـتثير أريحيـة الكرم فيهم، فيبادرون إلى الإجابـة بكلمـة نعم، رغبـة منهم فى البذل و العطاء. و اكتساب الحمد و الثناء.

فسألهم إن كان لديهم شىء من تمر يثرب يطعمونه إياه. و لكنه وجدهم أيضا متيقظين لحيلته، راصدين لحركته. حين أجابوه بالنفى .. فاضطر إلى الجهر بنواياه، و الكشف عن خفاياه و خباياه، فقال لبديل:

هل جئت محمدا الخ ..

و جاءه الجواب بالنفى أيضا، مصحوبا بتبرير معقول و مقبول، لا سبيل إلى رده، و لا مجال للمناقشة فيه ..

فلم يكن أمامه خيار سوى السـكوت، و انتظر أبعار إبلهم ليتفحّصـها بعد رحيلهم، ليستدل منها على ما يريد .. فوجد فيها بعض ما يشى بصدق

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۲

ما كان يخشاه ..

و لكن ذلـك أيضـا يبقى غير كـاف لحسم الأمور لـديه، لإمكان التأويل و التفسـير، و التوجيه و التبرير. فباء بـذلّ الخيبـة، و ذاق مرارة الفشل الذى سيكون له ما بعده، من خيبات تتلاحق، و فشل يتوالى ..

أبو سفيان فى المدينة:

و إن ما واجهه أبو سـفيان فى المدينة كان غاية فى الروعة، فقد ذاق طعم الذل و الخزى مرة بعد أخرى، و تجرع مرارة الخيبة و الفشل كرّات و مرّات لم يعرف لها مثيلا فى حياته كلها .. و قد تجلى هذا الذل فى مظاهر مختلفة، نذكر منها:

۱- أنه قـد بـدأ فيما ظن أنه أهونها عليه .. ألا و هو أن يوسّط ابنته لـدى رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله»، و كأنه يريد أن يسـتفيد من العنصـر النسوى، و النسبى، و العاطفى، و التأثير الأنثوى، على قرار رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» ظنا منه: أنه «صـلى اللّه عليه و آله»

كغيره من أهل الدنيا، الذين يمارسون العمل فى الصالح العام بعد وضعه فى بوتقة المصالح الشخصية، و صهره و استخلاص نتائجه لحساب الفرد و شهواته و أهوائه، و من يلوذ به من قريب أو عشير ..

مع أن الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» قد قدم لهم الدليل تلو الدليل على أنه يضحى بالنفس و بالمال و الولد، و بكل شىء فى سبيل الصالح العام، و بتعبير أدق: فى سبيل اللّه، و المستضعفين.

و لعل أبا سفيان حين لجأ إلى ابنته قد ظن أيضا: أن ظهور ضعفه لديها،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۳

سوف يغنيه عما بعده من مواقف ذليلة، اختار هو وضع نفسه فيها ..

كما أنه سيكون قادرا بعد ذلك على لملمة ما انتشر من هيبته، و الظهور على الناس من جديد بورقة التين، التى قد تستر شيئا من عيوبه و قبائحه، و تغطى على بعض ما هو مشين و مهين من واقعه.

و لكنه لم يجد لدى ابنته ما يشجعه على طرح الموضوع معها، لأن الظاهر هو أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان قد أعطى تعليماته بهذا الخصوص كما أظهره قوله السابق و هو يخبر بالغيب عن أبى سفيان «و هو راجع بسخطه»، فالحدود كانت قد وضعت، و الثغرات ضبطت، و الصلاحيات حددت .. فلم يبق مجال لأحد أن يفكر فى اختراقها ..

و لو أن أحدا سولت له نفسه أن يفعل ذلك، فسوف ينال جزاءه العادل الذى حددته الشريعة، و بيّنه لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

۲- ثم جرب حظه مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» مباشرة، فطلب منه أن يجدد العهد و يزيد فى المدة، و كان المبرر الذى ساقه لطلبه هذا هو: أنه لم يكن حاضرا فى صلح الحديبية ..

و كأنه يريد بهذا الطلب و بذلك التبرير أن يمرر لعبته على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و إلا، فإن غيبته عن الحديبية لا توجب أى وهن أو ضعف فى العهد ليحتاج إلى التقوية و التوثيق ما دام أن الوقائع طيلة السنوات التى مرت على عقد الهدنة قد أثبتت التزام النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالعهد، و استمر جميع أهل مكة على الالتزام بمراعاته، و تنفيذ بنوده.

و إنما يحتاج العهد إلى التقوية و التجديد فيما لو تعرض للنقض و التمرد على أحكامه، و رفض إجرائها ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۴

و هذا ما ينكره أبو سفيان، بل هو لا يجرؤ على الاعتراف بشىء مما يدخل فى هذا السياق ..

و لذلك سأله رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إن كان قد حدث فى مكة ما يوجب وهن العهد، أو نقضه، فأنكر أبو سفيان أن يكون قد حصل شىء من ذلك.

فأسقط رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حجته، و وضعه أمام خيارين كل منهما صعب:

أحدهما: أن يعترف بما جرى لخزاعة، و هذا معناه: الدخول فيما أراد أن يهرب منه، حيث لا بد من أن يرضى بتحمل جميع تبعات ما جرى، و يضطر إلى إعطاء الديات و الرضى بقصاص المجرم و غير ذلك.

ثانيهما: أن يظهر للناس بصورة الرجل التافه، أو الجاهل، أو المبتلى بالخرف أو ما شاكل .. و قد أصر على رفض الخيار الأول و لم يفلح فى التملص من تبعات الخيار الثانى ..

خيار الهروب إلى الأمام:

فكانت النتيجة التى انتهى إليها هى اللجوء إلى خيار ثالث ظن أنه يبلغه إلى ما يريد، ألا و هو أن يطلب من بعض أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يجير بين الناس ..

و بـذلك يكون قد حصل على ما يحسم الأمر فيما يرتبط بما فعله بنو نفاثة و قريش ببنى خزاعة، لأنه سيصـبح قادرا على ادّعاء أن هذه أمور شخصية، ليس فيها أى نقض للعهد ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۵

و الأمـور الشخصـية يحكم بهـا عقلاء القوم و يحسم الأمـر فيهـا نفس أصـحاب العلاقـة بمـا هم أفراد. و الجوار يحفظ هؤلاء الأفراد و يحميهم من الانتقام ..

و بذلك يكون قد أخرج قريشا من دائرة الصراع، و نفى أية مسؤولية لها فيه، و أبعد النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن أن يكون له الحق بالمطالبة بديات أو بقصاص، ما دام أن المسألة فردية، و لا شىء أكثر من ذلك.

و بـذلك يكون قـد أخرج النبى «صـلى اللّه عليه و آله»، و اضـطره إلى إمضـاء هـذا الجوار، فـإذا ظهر أن أحـدا قـد ارتكب جرما، فإن الجوار الذى شمله سوف يمنع من إجراء أى حكم عليه ..

و لو أريد فعل شـىء من ذلك؛ فإن إقناع الناس بأن هذا مما لا تصح الإجارة منه سـيكون صـعبا، و سـيحدث بلبلة كبيرة، و يسىء إلى الذهنية العامة، و ربما يحدث إرباكا ضارا، و يترك آثارا سلبية لا مجال لتلافيها ..

على أن هـذا الموقف من شأنه أن يظهر أبا سـفيان على أنه رجل سـلام، يريد حقن الدماء، و يملك مشاعر إنسانية، و من لا يسـتجيب لطلبه هذا فإنه يكون متهما فى ذلك كله.

فطلـب مـن أبى بكر أن يجير بيـن النـاس، و كـذلك مـن عمر، و مـن عثمـان و مـن سـعد بن عبـادة، و على «عليه السـلام»، و أشـراف المهاجرين و الأنصار.

و كان يسمع منهم جميعا رفضا لهذا الأمر أكيدا، و شديدا.

فتوسل بالزهراء «عليها السـلام»، ثم توسل بالسـبطين الحسن و الحسـين «صـلوات اللّه و سـلامه عليهما»، فلم يجده هذا التوسل نفعا، بل كان الجواب دائما هو الرفض الأكيد، و الشديد ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۶

التدبير الصارم:

و نحن لاـ نشـك فى أن رفض جميع هؤلاء الـذين سـبقت أسـماؤهم إنمـا هو بسـبب أن الجميع كان قـد عرف حـدّه، و ألزمه الشـرع بالوقوف عنده، أو لم يترك له أى سبيل يستطيع أن ينفذ منه.

و قد ظهر ذلك من إخبار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لهم بالغيب الإلهى: بأن أبا سفيان سيرجع بسخطه، فلم يعد أحد ليجرؤ على قبول شـىء يأتيه به أبو سفيان، لأنه يعرف أن الوحى سوف يفضح أمره، و أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لن يقبل بأى شىء يطلبه أبو سفيان .. ما دام أن هذا القبول سيكون ضد القرار الإلهى بإرجاع أبى سفيان ساخطا ..

فلم يعد الإصرار يشبه أبدا ما جرى فى غزوة بدر من تطاول على مقام النبوة، و من سعى لانتهاك حرمة الحكم الشرعى الإلهى فى أمر الأسرى ..

و كـذلك مـا جرى فى أحـد و فى سواها من مواقف و تحركات تـدخل فى هـذا السـياق، فإن الأمور قـد جرت فى سـياق اسـتطاع أن يفضح هؤلاء فى مواقفهم.

و رأى الناس بأم أعينهم فى أكثر من مناسـبة عـدم صـحة ما يدّعيه هؤلاء الناس لأنفسـهم من شـجاعة و إخلاص و التزام .. و قد تجلى ذلك بصورة واضحة و فاضحة فى الخندق، و خيبر، و قريظة و غير ذلك ..

و قد عولجت تصرفات و تحركات هؤلاء الناس بصورة استطاعت أن تزيد من فضيحتهم، و ظهور خطل رأيهم، و حقيقة ما يسعون إليه

..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۷

مواقف مزعومة، بل موهومة:

و قد زعمت النصوص المتقدمة: أن أبا بكر قد قال لأبى سفيان: و اللّه، لو أن الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم ..

و أن عمر بن الخطاب قال: أنا أشفع لكم عند رسول اللّه؟! فو اللّه لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، و ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه اللّه، و ما كان منه متينا فقطعه اللّه، و ما كان منه موصولا فلا وصله اللّه.

فقال أبو سفيان: جوزيت من ذى رحم شرا.

و نحن نشك فى صحة هذه المزاعم:

أولا: ليس فى كلام أبى سفيان ما يشير إلى أنه يطلب شفاعته عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فما معنى قول عمر له: «أنا أشفع لكم عند رسول اللّه»؟!

ثانيا: لم يصرح أبو سفيان بأن الشفاعة كانت لهم فلعله يقصد الجوار لمن يتقاتلون فيما بينهم من العرب، فإن دخولهم فى جوار المسلمين يمنع الطرف المعتدى من مواصلة عدوانه.

ثالثا: قد تقدم: أن أبا سفيان يعبر عن عمر (كما ورد فى بعض النصوص دون بعضها الآخر): أنه أدنى العدو، و هى كلمة تشير إلى أن عمر كان أقرب إلى قريش من سائر صحابة النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..

رابعا: إن ما نعرفه عن هذين الرجلين هو سعيهما فى المواقع الحساسة إلى التخفيف من الوطأة على قريش، و حفظ موقعيتها.

كما أن قريشا كانت تهتم بسلامتهما قدر الإمكان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۸

فلا حظ ما يلى:

۱- فى بدر يستشير النبى «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه فى أمر الحرب، فيقول أبو بكر كلاما من شأنه أن يضعف عزائم المسلمين: «إنها قريش و خيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، و ما ذلت منذ عزت» أو نحو ذلك.

و كذلك قال عمر بن الخطاب «۱».

۲- و سيأتى أنه حاول منع النبى «صلى اللّه عليه و آله» من غزو مكة، و قال: «قلت: يا رسول اللّه، هم قومك، حتى رأيت أنه سيطيعنى» «۲».

۳- و فى حرب أحد: ضرب ضرار بن الخطاب الفهرى عمر بن الخطاب بالقناة حين هزم المسلمون، و قال له: يا ابن الخطاب إنها نعمة

---

(۱) راجع: البحار ج ۱۹ ص ۲۱۷ و ۲۷۴ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۸ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۰۵ و الدر المنثور ج ۳ ص ۱۶۶ عن دلائل النبوة للبيهقى، و تفسير القمى ج ۱ ص ۲۵۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۱۲ و عن عيون الأثر ج ۱ ص ۳۲۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۲۶ و صحيح مسلم كتاب الجهاد و السير، باب غزوة بدر ج ۵ ص ۱۷۰ و (ط أخرى) ج ۳ ص ۱۴۰۳، و مسند أحمد ج ۳ ص ۲۱۹ بطريقين، و عن الجمع بين الصحيحين، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۶۳، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۳۹۴ و تفسير أبى حمزة الثمالى ص ۱۸۱ و تفسير مجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۴ ص ۴۳۲ و التفسير الصافى ج ۲ ص ۲۷۴ و التفسير الأصفى ج ۱ ص ۴۲۵ و تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۱۲۴ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۲۵ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۱۱۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۸ و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۱۴ ص ۵۰۶ و (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۵۴۲ و كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ۱۰ ص ۵۲۹ و (ط دار الفكر) ج ۱ ص ۲۱۰۴ و جامع الأحاديث و المراسيل ج ۲۱ ص ۴۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۰۹

مشكورة، ما كنت لأقتلك «۱».

فما هذا الغزل الظاهر بين ضرار و عمر؟!

و قد ذكر ابن سلام: أن هذه كانت يدا له عند عمر يكافئه عليها حين استخلف «۲».

۴- سعى أبى بكر لتخليص أسرى بدر من القتل، رغم إصرار النبى «صلى اللّه عليه و آله» على قتلهم، حتى لقد نزلت الآيات فى ذلك.

و هو أمر لا بد من أن تشكره عليه قريش مدى الحياة «۳».

قال الواقدى عن الأسرى: إنهم قالوا: لو بعثنا لأبى بكر، فإنه أوصل قريش لأرحامنا، و لا نعلم أحدا آثر عند محمد منه. فبعثوا إلى أبى بكر، فأتاهم، فكلموه.

فقال: نعم، إن شاء اللّه، لا آلوكم خيرا.

و انصرف إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و جعل يلينه، و يفثؤه، و يقول: يا رسول اللّه، بأبى أنت و أمى، قومك فيهم الآباء و الأبناء،

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۸۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۷۴ و ج ۱۵ ص ۲۰ عنه، و عن ابن إسحاق، و البلاذرى، و طبقات الشعراء لابن سلام ص ۶۳ و راجع:

البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۰۷ عن ابن هشام، و البحار ج ۲۰ ص ۱۳۵ و ۱۳۸ و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيروانى ص ۳۳۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۲۷۴ و ج ۱۵ ص ۲۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۴ ص ۳۹۳ و ۳۹۷ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۰۰ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۲ ص ۶۲۸.

(۲) طبقات الشعراء لابن سلام ص ۶۳.

(۳) مصادر ذلك كثيرة، فراجع هذا الكتاب: غزوة بدر، فصل الغنائم و الأسرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۰

و العمومة، و الإخوان و بنو العم، و أبعدهم عنك قريب فامنن عليهم، منّ اللّه عليك، أو فادهم يستنقذهم اللّه بك من النار، فتأخذ منهم ما أخذت قوة للمسلمين، فلعل اللّه يقبل بقلوبهم إليك ..

ثم قام فتنحى ناحية، و لم يجب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم عاد إليه، فقال له مثل مقالته الأولى، و قال أيضا: لا تكن أول من يستأصلهم، يهديهم اللّه خير من أن تهلكهم. فسكت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و تنحى أبو بكر ناحية، ثم عاد إليه، فأعاد عليه نفس الكلام «۱».

۵- ما معنى: أن يهنئ أبو سفيان عمر بن الخطاب بانتصار المشركين فى أحد، و يقول له: أنعمت عينا، قتلى بقتلى بدر «۲».

و ما معنى قول أبى سفيان لعمر آنئذ: إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب، فيقول عمر: إنها «۳».

۶- إن خالد بن الوليد رأى عمر بن الخطاب فى أحد، و كان خالد فى كتيبة خشناء، فما عرف عمر أحد غيره، قال خالد: فنكبت عنه، و خشيت

---

(۱) راجع: المغازى ج ۱ ص ۱۰۷- ۱۰۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۷۳ و ۱۷۴ و إمتاع الأسماع للمقريزى ج ۹ ص ۲۴۴.

(۲) المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۶۶ و تفسير القرآن للصنعانى ج ۱ ص ۱۳۶ و إمتاع الأسماع للمقريزى ج ۱ ص ۱۷۱.

(۳) تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۱۲ و الأوائل لأبى هلال العسكرى ج ۱ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۳۱ و إمتاع الأسماع للمقريزى ج ۱ ص ۱۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۱

إن أغريت به من معى أن يصمدوا له، فنظرت إليه موجها إلى الشعب «۱».

۷- إن عمر قد أخبر أبا سفيان: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يزال على قيد الحياة، رغم أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد نهى عن ذلك. فقال أبو سفيان لعمر: أنت أصدق عندى من ابن قميئة و أبر «۲».

فلماذا كان عمر أبرّ بأبى سفيان من ابن قميئة، مع أن عمر كان فى صفوف المحاربين له، و ابن قميئة كان يحارب معه، و تحت لوائه؟!

و فى مقام وضع اللمسات الأخيرة على حقيقة موقف هذين الرجلين، نقول:

قد يكون مما يثير الشبهة أيضا: توافق أبى بكر و عمر فى حديثهما عن الذر المقاتل للمشركين، و العنف الذى أظهراه فى خصوص هذه الواقعة، فى حين اكتفى كل من عداهما، و منهم فاطمة و على «عليهما السلام» بالرد بالقول: بأن جوارهم جوار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أو أنه لا يجير على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أحد ..

مع أننا لا نشاهد لدى هذين الرجلين طيلة حياتهما مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أى نشاط قتالى مميز، أو أى أثر لنكاية كانت لهما فى

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۲۹۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۲۳.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۴۰ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۴ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۴۴ و ۲۴۵ و سيرة ابن إسحاق ج ۳ ص ۳۰۹ و تاريخ الأمم و الملوك (ط الإستقامة) ج ۲ ص ۲۰۵ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۶۰ و الثقات ج ۱ ص ۲۳۲ و راجع: شرح الأخبار ج ۱ ص ۲۸۰ تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۱۴ و ۴۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۲

المشركين. رغم حضورهما جميع المشاهد معه «صلى اللّه عليه و آله».

بل ظهر منهما الكثير من موارد الضعف، و الوهن، و قد فرا فى مواطن كثيرة، مثل أحد، و قريظة، و خيبر، و حنين. و ذات السلاسل و غير ذلك.

و قعدا عن مبارزة الأبطال مثل عمرو بن عبدود، و مرحب.

جوارى جوار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و تقدم: أن أبا سفيان أصرّ على الحصول على جوار من أحد صحابة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و أجابه المسلمون بأن أحدا لا يجير على النبى «صلى اللّه عليه و آله»، أو أن جوارهم جوار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و هذا يدل على أنهم فهموا: أن مطلوب أبى سفيان هو الجوار الملزم لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و المقيد لحركته، فهو المستهدف بهذا الجوار، و المطلوب هو منعه به عن إجراء مقاصده حين يقتضى الأمر ذلك ..

و ذلك يشير إلى مدى وقاحة هذا الرجل، و قلة حيائه و رعونته، حتى لقد أحرج بهذا الأمر أولئك الذين عملوا على منع القتل عن أسرى بدر حسبما قدمناه، فما ظنه أبو سفيان أكسير الغلبة ظهر له أنه هو إكسير الهزيمة و الخذلان، و الخزى و الخسران ..

و قد اكد للناس سوء نوايا أبى سفيان فى طلبه هذا أمران:

أحدهما: أنه حيث أجيب بتلك الأجوبة لم يبادر إلى توضيح مراده لأحد كان هناك، و لم يقل لهم أنهم قد أخطأوا فى فهم مقصوده.

الثانى: أنه لو كان يقصد حقن دماء الناس حقيقة لكان قد طلب من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۳

النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه أن يجعل الناس فى جواره، فإن ذلك يكفى لمنع المعتدين من مواصلة عدوانهم. فلماذا يدعو الآخرين ليجيروا الناس من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟! أليس لأجل أنهم اقترفوا ما يستحقون به العقوبة منه «صلى اللّه عليه و آله» و يريد ان يخرجهم من و رطتهم تلك بهذه الطريقة؟! و إذا صح هذا الأمر فلماذا لا يعترف لنا بهوية المجرم و بحقيقة جرمه؟

ثم إنه إذا كان يعتقد: أن الجوار على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يعطى من يفعل ذلك و جاهة و عظمة، كما هو الحال عند سائر الناس، فهو فى وهم كبير، لأن هذا الأمر لا يجرى فيما بين الأنبياء «عليهم السلام»، و بين المؤمنين، لأنه يستبطن الإعلان عن وجود خلل إيمانى لدى من يفعل ذلك، من حيث إنه يخطّئ نبيه فى تصرفاته، و يراه ظالما فى موقفه ممن يجيره منه، أو يرى أن ذلك النبى يعمل عملا مرجوحا، و يترك ما ينسجم مع العفو و الكرم، و حسن الشيم، و مع النبل و الشمم ..

و لأجل هذا أو ذاك يبادر إلى الحد من قدرته على التصرف، و محاصرة قراراته، ليمنعه من الغلط و الشطط ..

و هذا الأمر مرفوض من الناحية الإيمانية، لأنه تشكيك بالعصمة، أو اتهام للنبى «صلى اللّه عليه و آله» فى ميزاته و صفاته، و أنها لا تصل إلى حد الكمال.

و لو كان أبو سفيان يفهم معنى الإيمان، و يدرك ما له من تبعات و آثار و مسؤوليات لما أقدم على هذا الأمر المشين و المهين ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۴

هل تجير الزهراء عليها السلام؟!:

و لم يكن أبو سفيان يرى للسيدة الزهراء «عليها السلام» ما يميزها عن غيرها أكثر من كونها امرأة كسائر النساء، و لم يكن يرى لجوار النساء قيمة و أثرا .. و لكنه حين سدت فى وجهه المذاهب لجأ إليها على أمل أن تستجيب لطلبه بسبب ما توهمه منها من غفلة عما يتنبه له الرجال المتمرسون، و الدهاة المجربون، أو لعدم قدرتها- بزعمه- على إدراك الأمور و تقديرها بسبب قلة معرفتها بالسياسات، و بأعراف الناس.

فإذا استجابت لطلبه، فإنها سوف تحرج أباها، و قد يوافق على طلبها من وجهة نظر عاطفية، بسبب موقعها منه «صلى اللّه عليه و آله» من ناحية النسب، و من ناحية المكانة و الكرامة ..

و قد فوجئ برفضها القائم على أساس البرهان، حيث قالت له: «إنما أنا امرأة». أى: و لا يحق للمرأة أن تتصدى لأمر كهذا بزعمك فلماذا تريد أن تدفعنى إلى أمر لا تؤمن أنت به؟!

قد أجارت أختك:

و لكن أبا سفيان يستدرك الأمر، و يقدم تبريرا لتصرفه هذا حين احتج عليها بإجارة زينب لزوجها أبى العاص بن الربيع، و قد قبل «صلى اللّه عليه و آله» ذلك منها.

فجاءه جواب الزهراء المعصومة «عليها السلام» ليفند قوله، و يؤكد له أنها «عليها السلام» تدرك الفرق بين ما فعلته زينب، و بين هذا الذى يطلبه هو منها، فقالت كلمة واحدة، كانت حاسمة و نهائية و هى: إنما ذاك إلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۵

رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

إنها تريد أن تقول: إن زينب حين أجارت أبا العاص بن الربيع، فإنما أرادت أن تمنع الناس من التعرض لأبى العاص، إلى أن يبت النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى أمره، و يصدر عليه حكمه. و لم ترد أن تمنع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من إجراء حكم اللّه تعالى فى حقه.

و هذا بالذات هو نفس ما فعلته أم هانى حين أجارت بعض من أهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دمهم، و لم تكن تعلم بذلك. كما أنها لم تعرف أن الذى يريد تنفيذ أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو أخوها على «عليه السلام».

فأرادت حفظ نفس أولئك الأشخاص من سائر أفراد الجيش إلى أن يرى فيهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رأيه، و يصدر عليهم حكمه كما سيأتى.

أما أبو سفيان فيريد منها أن تجير الناس، ليمنع بذلك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من مجازاة المعتدى، و لتطلّ بذلك دماء الأبرياء من صبيان و نساء، و ضعفاء خزاعة .. و شتان ما بين الأمرين.

أخت الزهراء عليها السلام:

و علينا أن لا ننسى: أن تعبير أبى سفيان عن زينب: بأنها أخت الزهراء «عليها السلام» إنما جاء وفق ما كان متداولا بين الناس، من التعبير عمن تنشأ فى بيت كافلها بعد أن مات ابوها الحقيقى، فإنها تنسب إلى ذلك الكافل بعبارات البنوة، و تضاف إلى أبنائه بتعابير الأخوة .. حيث يكون المقصود هو البنوة بالتربية، و كذلك الأخوة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۶

مرى ابنك:

و لعل ما ذكرناه آنفا حول طلب أبى سفيان من فاطمة «عليها السلام» أن تجير بين الناس، يغنى عن التعليق على طلب أبى سفيان منها «عليها السلام» أن تأمر ابنها الحسن «عليه السلام»، الذى كان بعمر الخمس سنوات، أن يجير بين الناس، فإن الكلام هنا هو نفسه الكلام هناك.

غير أننا نقول: إن علينا أن نضيف هنا ما يلى:

أولا: إن أبا سفيان يغرى فاطمة بالإقدام على هذا الأمر بمنطق أن ذلك يجعل ولدها سيد العرب إلى آخر الدهر.

نعم، و هذا هو منطق أهل الدنيا، الذين يقيسون الأمور بمقاييس السمعة، و الشهرة، و السيادة، و المال، و الجاه، و ما إلى ذلك ..

و ذلك هو منطق أبى سفيان، لأنه من أهل الدنيا. و أما منطق العقل و الدين، و الشرع، و رضا اللّه تعالى و القيم الإنسانية، و المشاعر النبيلة، و المبادئ و الخصال الحميدة، و نحوها. فهو الذى تلتزم به فاطمة «عليها السلام»، و تؤمن به، و تنطلق فى مواقفها منه. لأنها من أهل الدين و الشرع، و القيم الإنسانية، و العقل و الأخلاق الفاضلة، و المزايا النبيلة ..

ثانيا: إن الإمام الحسن «عليه السلام» كان كبيرا فى نفسه وفق مقاييس أهل العقل و الحكمة و الإيمان، و قد بايعه النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى بيعة الرضوان، و أشهده على كتاب ثقيف، و أخرجه يوم المباهلة بأمر من اللّه، و جعله شريكا فى الدعوة، و يتحمل مسؤولية إثباتها .. و غير ذلك ..

و لكن هذه لم تكن نظرة أبى سفيان إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، بل هو ينظر إليه على أنه طفل كسائر أطفال الناس، و يريد أن يستفيد منه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۷

كوسيلة يصل من خلالها إلى مآربه، فيحرج به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يثير الشبهات و الإشكالات حول صحة و سلامة ما يتخذه «صلى اللّه عليه و آله» من مواقف ..

و لأجل ذلك خاطبته الزهراء «عليها السلام» بما ينسجم مع نظرته هذه، و قالت له: ما بلغ ابنى أن يجير بين الناس.

ثم تقدمت خطوة أخرى فى بيانها، لتاكيد بطلان منطق أبى سفيان فقالت: «ما يدرى ابناى ما يجيران من قريش».

فإن هذه الكلمة أيضا قد صدرت وفق منطق أبى سفيان الذى يعتبر الحسنين «عليهما السلام» مجرد طفلين صغيرين، لا يحملان فى نفسيهما أية ميزة على غيرهما.

فهما فى نظره لا- يملكان من التعقل ما يكفى لإدراك معنى ما يتفوهان به، فهما إذن غير قادرين على إدراك معانى الكلمات، فضلا عن أن يقصدا معانيها، ليصبح لتلك المعانى تحقق فى مقام التخاطب، يصلح لترتيب الآثار عليه، و المطالبة به، و الإشارة إليه. فهو من قبيل القضية السالبة بانتفاء موضوعها.

هما صبيان:

قال الحلبى: «قول فاطمة فى حق ابنيها: إنهما صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا، من أن شرط من يؤمّن أن يكون مكلفا.

و أما قولها: و إنما أنا امرأة، فلا يوافق عليه أئمتنا، من أن للمرأة و العبد أن يؤمّنا؛ لأن شرط المؤمّن عند أئمتنا أن يكون مسلما، مكلفا، مختارا. و قد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۸

أمّنت زينب بنت النبى «صلى اللّه عليه و آله» زوجها أبا العاص ابن الربيع، و قال «صلى اللّه عليه و آله»: قد أجرنا من أجرت.

و قال: المؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أدناهم ..».

إلى أن قال: «إن أم هانى أجارت، و إنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لها:

أجرنا من أجرت يا أم هانى.

لكن سيأتى: أن هذا كان تأكيدا للأمان الذى وقع منه «صلى اللّه عليه و آله» لأهل مكة، لا أمان مبتدأ» «۱».

و نقول:

أولا: إننا نعتقد: أن جواب الزهراء «عليها السلام» الذى يشير إلى أن الحسنين «عليهما السلام» لا يجيران، و بالنسبة لنفسها أيضا، قد جاء على سبيل الجرى على ما كان يراه أبو سفيان، و من هم على شاكلته، فإنه إذا كان يرى: أن المرأة لا جوار لها، و يرى: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا صبيين لا يجوز جوار هما عنده، فلماذا يريد من هذه المرأة، و من ذلك الصبى أن يجير بين الناس؟!

ثانيا: إن للجوار مسؤولياته و تبعاته، لأن المجير يتكفل بمن يجير، و يتحمل أعباء و تبعات ما صدر منه .. و لم يكن ذلك ممكنا بالنسبة لفاطمة و الحسنين «عليهم السلام»، فهناك قتلى و تعديات و ظلم و قهر.

و قريش تنكر ذلك و تجحده، و تمتنع عن الالتزام بأدنى شروط الجوار .. لأنها ترفض تحمل ديات المقتولين، أو البراءة من حلف من تعدى و نقض العهد ..

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۱۹

فما معنى: أن تتحمل فاطمة و الحسنان «عليهم السلام» هذه الديات عن أولئك المجرمين؟!

و ما معنى: حفظ مرتكب الجريمة، و صيانته عن التعرض للجزاء و القصاص العادل؟!

ثالثا: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد قبل من الحسنين «عليهما السلام» البيعة فى الحديبية «۱»، و قد كان سنهما لا يتجاوز السنتين أو الثلاث ..

و أشهد هما على كتاب ثقيف «۲».

قريش فى مأزق:

و قد بينت عبارة السيدة الصديقة فاطمة الزهراء «عليها السلام»: «ما يدرى ابناى ما يجيران فى قريش»: أن أبا سفيان يتستر على امر كان معروفا لدى الناس .. و هو أن قريشا فى مأزق، و يريد بهذا الجوار إخراجها منه. و إن استخدامه عبارات غائمة و عامة، لا يجدى فى تعمية الأمور ..

---

(۱) الإحتجاج ج ۲ ص ۲۴۵ و البحار ج ۵۰ ص ۷۸ عنه، و الإرشاد للمفيد ص ۳۶۳ و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ و ينابيع المودة ص ۳۷۵ و ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودى) ص ۱۵۰ و المعجم الكبير للطبرانى و حياة الصحابة ج ۱ ص ۲۵۰ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۴۰ و العقد الفريد ج ۴ ص ۳۸۴.

(۲) الأموال لأبى عبيد ص ۲۸۹ و ۲۹۰ و راجع: التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۷۴ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۱ ص ۲۸۴ و مكاتيب الرسول ج ۳ ص ۵۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۳۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲۰

فالمطلوب هو تحصيل جوار لفئة من قريش ترى نفسها فى دائرة الخطر، و لكن أبا سفيان يحاول أن يتذاكى عليهم، فيطلق كلامه على شكل عمومات، فيطلب من هذا أو ذاك أن يجير بين الناس. و هذه الكلمة تنطبق على القرشى و على غيره ..

كلمى عليا:

و نستطيع أن نلمح فى طلب أبى سفيان من السيدة الصديقة الطاهرة المعصومة فاطمة الزهراء «عليها السلام» أن تكلم عليا صلوات اللّه و سلامه عليه فى أمر الجوار: أن أبا سفيان كان يحسب لعلى «عليه السلام» حسابا خاصا به .. فهو يقترب فى طريقة تعامله معه من طريقة تعامله مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

فكما حاول أن يستفيد من موقع أم حبيبة زوجة الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، حاول أيضا أن يستفيد من موقع فاطمة لدى على «عليهما السلام» فطلب منها أن تكلم هى عليا ..

و لكنها رفضت طلبه، لأنه لو كان يرى أن طلبه طلب حق، أو كان فيه أى أثر للرجحان، لبادر إلى مطالبة على «عليه السلام» بل و النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالعمل بهذا الحق، و الأمر الراجح.

و لكنه أراد أن يحصل على ما يريد بأساليب الضغط العاطفى، أو من خلال المراعاة لدواعى النسب، و فى غير ذلك من أمور تقع خارج دائرة الإنصاف، و الحكمة، و التعقل، و رعاية الصالح العام، و العمل بما يرضى اللّه تبارك و تعالى، بل هى خارج دائرة الإلتزام بالمعانى الإنسانية و الأخلاقية أيضا ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲۱

سيد كنانة!! يطلب النصيحة!!:

و أول طلب وضعه أمام الإمام على «عليه السلام» هو النصيحة منه.

و لا شك فى أن هذا الطلب من أبى سفيان غريب و عجيب، لا لأن عليا «عليه السلام» يبخل بالنصيحة على أى كان من الناس .. فحاشا عليا «عليه السلام» أن يبخل بأمر كهذا ..

بل لأن هذا الرجل لا يريد النصيحة بالحق، بل يريد النصيحة التى تعزز و تقوى، و تنتج تضييعا للحق، و تزويرا للحقيقة، و ظلما آخر لأولئك الأبرياء من خزاعة، و الذين كان أكثرهم من الصبيان، و النساء، و الضعفاء.

و تقوية و نصرا لظالمهم، و مرتكب الجريمة البشعة و الفظيعة بحقهم.

و الغريب فى الأمر: أن يطلب أبو سفيان هذه النصيحة التى هى بهذه المثابة من نفس ذلك المعنى بالحفاظ على حقوق الناس، و يفترض فيه أن ينصر المظلوم، و أن يأخذ بحقه من ظالمه!!

و كانت نصيحة على «عليه السلام» تقضى: بحمله عن الكف عن هذا السعى الظالم، و القائم على الخديعة و المكر حتى لنبى اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و تتلخص الطريقة التى اعتمدها بتذكير أبى سفيان بما يعتقده لنفسه، من مكانة فى كنانة كلها، فأقر بأنه هو سيد كنانة.

ثم إنه «عليه السلام» ألزمه بمقتضيات هذه السيادة التى يعطيها لنفسه، لو كان صادقا فيما يدّعيه، و منها أن يقبل الناس جواره.

و لكن أبا سفيان كان يعرف أن هذه السيادة التى يدّعيها ليست بهذه المثابة، و لا تكفى لتحقيق الغرض الذى سعى إليه، و لكنه سأل عليا «عليه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲۲

السلام» إن كان ذلك يحقق له ما يريد، فعسى أو لعل!!

فأجابه على «عليه السلام» بما يجلب اليأس و الأسى إلى قلبه، و هو: أنه لا يرى ذلك مغنيا عنه شيئا، و لكنه لا يجد له سبيلا للخروج من حيرته غير ذلك ..

و ربما يكون الهدف من ذلك هو إفهام أبى سفيان أن ما يزعمه لنفسه من موقع و زعامة ليس سوى مجرد خيال، و وهم، و قد تغيرت الأمور، و أصبح للزعامة معايير أخرى، لا بد من مراعاتها، و الإلتزام بمقتضياتها ..

و فهم هذه الحقيقة لا بد من أن يكون مفيدا جدا لأبى سفيان، و سوف يعينه كثيرا على الخروج من أجواء الوهم و الخيال التى وضع نفسه فيها.

قريش تتهم زعيمها:

إن من الواضح: أن المشركين كانوا لا يثقون ببعضهم البعض، لأن دواعى الثقة و موجباتها عندهم مفقودة .. أما مجتمع أهل الإيمان فيعيش الثقة لأن موجباتها متوفرة فيه.

فهناك الإيمان باللّه، و الالتزام بشرائعه و أحكامه، التماسا لرضاه، و طمعا فى ثوابه، و خوفا من عقابه.

و هو يملك ثروة ثمينة جدا من المبادئ و القيم التى تحكم مسيرة الإنسان، و تهيمن على حركته و على مواقفه فى الحياة. و هناك الفضائل النفسية، و الكمالات التى يربيها و ينميها اهل الدين فى داخل نفوسهم، و يبنون من خلالها ميزاتهم، و ملكاتهم، التى تطبع شخصياتهم بطابعها ..

و هناك الإلزامات الدينية الحازمة و الحاسمة، فيما يرتبط بطبيعة تعامل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲۳

أهل الإيمان مع بعضهم، و مع الآخرين ..

نعم، إن ذلك كله ينتج درجة عالية من الاعتماد، و رؤية واضحة لمسار الأمور، فيما يرتبط بتعهدات الآخرين، و وفائهم بالتزاماتهم، و قيامهم بواجباتهم الدينية و الأخلاقية ..

و لكن ذلك كله مفقود فى مجتمع الشرك و الكفر. و تبقى الضمانة لتعهدات الأشخاص عندهم فى مهب رياح المصالح و الأهواء، و محكومة للنزوات و الأهواء و الشهوات و الميول، و لتقلبات الأمزجة الفردية ..

و لأجل ذلك نلاحظ: أن المشركين يتهمون حتى زعيمهم أبا سفيان أشد التهمة، لمجرد زيادة غيبته عن المدة التى يتوقعونها، و يقولون عنه: إنه قد صبأ، و اتبع محمدا سرّا، و كتم إسلامه.

و قد بلغت هذه التهمة من القوة و الشدة حدا اضطر معه هذا الزعيم إلى أن يحلق رأسه عند أساف و نائلة، و أن يذبح لهما، و جعل يمسح بالدم رؤوسهما (كذا)، و يقول: «لا أفارق عبادتكما، حتى أموت على ما مات عليه أبى»، إبراء لقريش مما اتهموه به.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲۵

الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. و الهدف مجهول

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲۷

استشارة أبى بكر و عمر فى أمر مكة:

عن محمد بن الحنفية- رحمه اللّه- عن أبى مالك الاشجعى قال: «خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من بعض حجره، فجلس عند بابها. و كان إذا جلس وحده لم ياته أحد حتى يدعوه، فقال: «ادع لى أبا بكر».

فجاء، فجلس أبو بكر بين يديه، فناجاه طويلا، ثم أمره فجلس عن يمينه.

ثم قال: «ادع لى عمر».

فجاء فجلس إلى أبى بكر، فناجاه طويلا، فرفع عمر صوته، فقال: «يا رسول اللّه، هم رأس الكفر، هم الذين زعموا أنك ساحر، و أنك كاهن، و أنك كذاب، و أنك مفتر»، و لم يدع عمر شيئا مما كان أهل مكة يقولونه إلا ذكره.

فأمره أن يجلس إلى الجانب الآخر، فجلس أحدهما عن يمينه و الآخر عن شماله.

ثم دعا الناس، فقال: «ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم هذين»؟

فقالوا: نعم يا رسول اللّه.

فأقبل بوجهه إلى أبى بكر، فقال: «إن إبراهيم كان ألين فى اللّه تعالى من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲۸

الدهن اللين».

ثم أقبل على عمر، فقال: «إن نوحا كان أشد فى اللّه من الحجر، و إن الأمر أمر عمر، فتجهزوا و تعاونوا».

فتبعوا أبا بكر، فقالوا: يا أبا بكر، إنّا كرهنا أن نسأل عمر عما ناجاك به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

قال: قال لى: كيف تأمرنى فى غزو مكة؟

قال: قلت: يا رسول اللّه!! هم قومك، حتى رأيت أنه سيطيعنى.

ثم دعا عمر، فقال عمر: هم رأس الكفر، حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه. و أيم اللّه، و أيم اللّه، لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة، و قد أمركم بالجهاد ليغزو مكة» «۱».

و نقول:

إننا نشك فى هذه الاستشارة، حيث سيأتى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أمر عائشة بتجهيزه، و أن أبا بكر لم يكن يعلم بشىء، حتى أخبرته ابنته.

و قد اعتذر الحلبى عن ذلك: بأن الاستشارة قد وقعت بعد أمره لعائشة بذلك «۲».

و هو اعتذار غير مقبول .. إلا إذا كانت الاستشارة صورية، تهدف إلى

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۸ عن ابن أبى شيبة، و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۹۸ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۱۴ ص ۵۰۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۲۹

تأليف أبى بكر، أو أنه أراد أن يكشف دخيلته للناس.

و قد يؤيد ذلك: ما ذكره من أنه أشار بعدم السير، و قوله: هم قومك «۱».

إذ كيف يرى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يتجهز و يأمر بذلك، ثم يشير عليه بخلاف ما عزم عليه، فهل يرى أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يفعل ما يفعل من عند نفسه؟! أم أنه يرى نفسه فوق الوحى، و فوق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

أبو بكر يفشى سرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و مع غض النظر عما تقدم، نقول:

أولا: إن هذه الرواية قد تضمنت إقدام أبى بكر على أمر غير مقبول منه تجاه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. فهو قد أفشى سرّا ائتمنه عليه.

و ذلك لأن الرواية تقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» جلس على انفراد، ثم استدعاه إليه، و ناجاه بسرّه هذا، ثم ناجى به عمر بن الخطاب، ثم دعا الناس للجلوس إليه، ثم كلمهم بكلام لا يشى بشىء من حقيقة وجهة سيره، باستثناء قوله: «تجهزوا و تعاونوا».

فما معنى: أن يخبرهم أبو بكر بأمر كتمه عنهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

و أين يقع التصرف الخاطئ هذا من موقف فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه «صلوات اللّه و سلامه عليه و عليها و على آلهما الطيبين الطاهرين» مع عائشة بنت أبى بكر، حين أقبلت فاطمة إليه، فأجلسها عن يمينه، ثم أسرّ

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۰

إليها بأمر فبكت، ثم أسرّ إليها بآخر فضحكت، فسألتها عائشة عما قال «صلى اللّه عليه و آله».

فقالت «عليها السلام»: ما كنت لأفشى سرّ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و قد استمرت على كتمان هذا السرّ حتى قبض «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

(۱) صحيح البخارى (ط مطبعة الأميرية) ج ۴ ص ۲۰۳ و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۴۲ و مسند الطيالسى ص ۱۹۶ و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۲۶ و حلية الأولياء ج ۲ ص ۳۹ و الخصائص للنسائى (ط دار التقدم بمصر) ص ۳۴ و مصابيح السنة (ط دار الخيرية بمصر) ج ۲ ص ۲۰۴ و مسند أحمد ج ۶ ص ۲۸۲ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۵۲ و صفة الصفوة (ط حيدر آباد) ج ۲ ص ۵ و طرح التثريب ج ۱ ص ۱۴۹ و المختار من مناقب الأخيار (ط دمشق) ص ۵۶ و نظم درر السمطين ص ۱۷۹ و تذكرة الخواص ص ۳۱۹ و منتخب تاريخ ابن عساكر ج ۱ (ط الترقى بدمشق) ص ۲۹۸ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۲۲۶ و جمع الفوائد ج ۲ ص ۲۳۳ و تكملة المنهل العذب المورود ج ۳ ص ۲۲۲ و الثغور الباسمة (ط بمبى) ص ۱۳ و أشعة اللمعات فى شرح المشكاة ج ۴ ص ۶۹۳ و وسيلة النجاة للمولوى ص ۲۲۸ و مرآة المؤمنين ص ۱۹۰ و أضواء على الصحيحين ص ۳۴۵ و فضائل الصحابة ص ۷۷ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۵۱۸ و مسند أبى يعلى ج ۱۲ ص ۱۱۲ و المعجم الكبير ج ۲۲ ص ۴۱۹ و عن أسد الغابة ج ۵ ص ۵۲۲ و الأوائل للطبرانى ص ۸۴ و عن المصادر التالية:

كتاب الأربعين للماحوزى ص ۳۱۴ و فتح البارى ج ۸ ص ۱۰۳ و مسند أبى يحيى الكوفى ص ۷۹ و مسند ابن راهويه ج ۵ ص ۷ و عن السنن الكبرى للنسائى ج ۵ ص ۹۶ و ۱۴۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۴۴۸ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۲۰ و كشف الغمة ج ۲ ص ۸۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۱

و من جهة أخرى، سيأتى بعد صفحات يسيرة: أن عائشة تفشى هى الأخرى سرّ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى نفس غزوة الفتح أيضا؛ فإنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لها: جهزينا و اخفى أمرك ..

فهى بمجرد أن دخل عليها أبوها و سألها قائلا: أمركن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بتجهيزه؟!

قالت: نعم.

و علينا أن نقارن بين موقف الزهراء «عليها السلام» الآنف الذكر مع عائشة نفسها!! و بين ما فعله أبو بكر و عائشة بإقدامهما على إفشاء سرّ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، رغم التفاوت الكبير بين هذا السرّ و ذاك.

فسرّ الزهراء «عليها السلام» يرتبط بأمر شخصى يعود إليه «صلى اللّه عليه و آله»، و لكن السرّ الذى أفشاه أبو بكر و عائشة يرتبط بالأمة بأسرها و بالدين كله ..

ثانيا: إذا كان «صلى اللّه عليه و آله» قد دعا عمر ليناجيه، فلماذا يرفع عمر صوته بكلام صريح بما يدور الحديث حوله؟؟ و هل رضى «صلى اللّه عليه و آله» منه ذلك؟! فإن كان قد رضيه، فما معنى المناجاة به؟!

و إن كان قد سخط ذلك و ردعه عنه، فلماذا لم يرتدع، بل استمر رافعا صوته يعدّد أقوال أهل مكة فيه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

و إن كان لم يردعه عن أمر قد سخط هذا الإعلان به فلماذا ناجاه به؟! أم أنه عدل عن إرادة كتمان ما ناجاهم به؟ و ما هو السبب فى هذا العدول؟

هل خاف من عمر؟! أم أنه أراد أن يظهر جرأة عمر، و سوء فعله؟!

ثالثا: إذا كان عمر قد ارتكب هذه المخالفة الظاهرة لمقاصد رسول اللّه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۲

«صلى اللّه عليه و آله»، فلماذا أطراه ذلك الإطراء الكبير، حتى اعتبره مثل نبى اللّه نوح «عليه السلام»؟!

رابعا: إذا كان عمر قد رفع صوته معددا أفاعيل أهل مكة، فأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالتجهز و التعاون، معتبرا أن الأمر أمر عمر، فإن الأمر سيصبح واضحا للناس، و لم يعودوا بحاجة إلى سؤال أبى بكر عما ناجاه به النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فإن الكل

سوف يفهم: أن الأمر مرتبط بأهل مكة، و أن التجهيز و التعاون هو لأجل إنجاز هذا الأمر.

لأن المفروض هو: أن موقف عمر و موقف أبى بكر متخالفان فى أمر واحد، و أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد اختار قول عمر ..

خامسا: لماذا اختار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قول عمر، و ترك ما قاله أبو بكر. مع أن أبا بكر- حسب زعم الرواية- قد أشبه إبراهيم الخليل، الذى كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مأمورا بالعمل بشريعته «عليه السلام»، فقد قال تعالى: ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۱».

سادسا: إنه إذا كان إبراهيم «عليه السلام» ألين فى اللّه من الدهن اللين، فهل لم يكن أشد فى اللّه من الحجر الصلد أيضا؟! فيضع الأمور فى مواضعها، فيشتد حين يقتضى الأمر الشدة، و يلين حين يوجب الأمر اللين؟!

و نفس السؤال يرد بالنسبة لنوح «عليه السلام» ..

---

(۱) الآية ۱۲۳ من سورة النحل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۳

و أما إذا كان إبراهيم «عليه السلام» لينا فقط، و لا يشتد حين يكون المطلوب هو الشدة، و كان نوح شديدا، و لا يلين حين يقتضى الأمر اللين، فذلك يعنى: أنهما غير متصفين بصفات أهل الإيمان، و أنهما لا يعملان بشرع اللّه، و لا يراعيان المصالح، و لا يتصفان بأدنى درجات الحكمة و العصمة، فهما لا يستحقان درجة النبوة، لأنهما يفقدان صفات أهل الإيمان من الأساس.

فهل نريد أن نمدح أبا بكر و عمر بقيمة ذم الأنبياء، و نسبة هذه النقائص إليهم؟!

ذل العرب .. و ذل أهل مكة:

و اللافت هنا: ما نسبوه إلى أبى بكر من القسم المتكرر حول أمر لا- يصح و لا- يجوز أن يدخل فى دائرة أهداف الأنبياء «عليهم السلام»، فقد قال أبو بكر: «.. و أيم اللّه، و أيم اللّه، لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة. و قد أمركم بالجهاد ليغزو مكة ..».

إن هدف الأنبياء «عليهم السلام» لا- يمكن أن يكون إذلال أحد من الناس، بل مرادهم هو إخراج الناس من ذل العبودية للأهواء و الشهوات، و من ذل عبادة الأصنام و الشرك إلى العز بالإسلام، و لا يمكن أن يريد النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذل العرب، بل هو يريد ذل الشرك، و الكفر، و الانحراف. و لا يريد ذل أهل مكة، بل يريد لهم أن يحترموا أنفسهم، و عقولهم، أن يشعروا بالكرامة الإلهية، و بالتكريم الربانى ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۴

حديث فاطمة عليها السلام كان فى عام الفتح أيضا:

عن أم سلمة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» دعا فاطمة عام الفتح، فناجاها فبكت، ثم حدثها فضحكت.

قالت: فلما توفى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سألتها عن بكائها و ضحكها.

قالت: أخبرنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أنه يموت فبكيت، ثم أخبرنى أنى سيدة نساء أهل الجنة إلا- مريم بنت عمران، فضحكت «۱».

و لكن قال فى بعض الروايات: إن ذلك كان بعد الفتح «۲».

---

(۱) الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۳۶۸ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۲۴۸ و جامع الأصول (ط السنة المحمدية بمصر) ج ۱۰ ص ۸۴ و مشكاة المصابيح ج ۳ ص ۲۶۸ و ينابيع المودة (ط إسلامبول) ص ۱۷۲ و الرصف للعاقولى (ط مكتبة الأمل الكويت) ج ۱ ص ۲۸۱ و أشعة اللمعات ج ۴ ص ۷۱۴ و تفريح الأحباب (ط دهلى) ص ۴۰۸ و مرآة المؤمنين ص ۱۹۰ و المختار من مناقب الأخيار ص ۵۶ و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ۵ ص ۹۷ و الثغور الباسمة (ط بمبى) ص ۱۳ و تيسير الوصول (ط نول كشور) ص ۵۹.

(۲) منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۵ ص ۹۸ و المعجم الكبير ج ۲۲ ص ۴۲۲ و فضائل سيدة النساء لعمر بن شاهين ص ۲۰ و تاريخ دمشق ج ۳۳ ص ۲۶۹ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۶۷۷ و تهذيب الكمال ج ۱۶ ص ۲۷۵ و شرح إحقاق الحق ج ۱۹ ص ۳۸ و ج ۲۵ ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۵

و نقول:

۱- تقدم: أن هذه الرواية قد رويت عن عائشة أيضا، و أنها هى التى حاولت استنطاق و حمل فاطمة «عليها السلام» على إفشاء سرّ النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين ناجاها، فقالت: ما كنت لأفشى سرّ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و فى بعض نصوص الحديث: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لها: إنها أول أهل بيته لحوقا به فضحكت .. و جمعت بعض الروايات بين العبارتين «۱».

و لا مانع من أن يتكرر الحدث تارة مع أم سلمة، و أخرى مع عائشة، فتسأل كل واحدة منهما الزهراء «عليها السلام» بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» و تسمع الجواب ..

كما أنه لا مانع من حدوث هذا الأمر أكثر من مرة، و أكثر من زمان.

و يحتمل أن تكون أم سلمة قد ذكرت جزءا من الجواب، و ذكرت عائشة الجزء الآخر.

و لا مانع من أن تذكر عائشة كلا الجزأين من جواب النبى «صلى اللّه

---

(۱) راجع: البداية و النهاية ج ۲ ص ۶۱ و سعد الشموس و الأقمار (ط التقدم بمصر سنة ۱۳۳۰ ه) ص ۱۰۳ و الأنوار المحمدية ص ۱۵۰ و تجهيز الجيش ص ۹۸ عن ابن عساكر، و أرجح المطالب ص ۲۴۱ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۲۰ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۲۸ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۵۲ و الخصائص (ط التقدم بمصر) ص ۳۴ و صفة الصفوة (ط حيدر آباد) ج ۲ ص ۵ و مسند أحمد ج ۶ ص ۲۸۲ و طرح التثريب ج ۱ ص ۱۴۹ و المختار فى مناقب الأخيار (ط دمشق) ص ۵۶ و نظم در السمطين ص ۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۶

عليه و آله» لفاطمة «عليها السلام»، أو احدهما فى مجالس مختلفة.

۲- إن بعض نصوص هذه الحادثة يقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد ذكر لفاطمة «عليها السلام» أن جبرئيل قد عارضه بالقرآن مرتين فى ذلك العام، ليدل بذلك على قرب وفاته «صلى اللّه عليه و آله»، و هكذا كان ..

و هذا يخالف رواية أم سلمة السابقة، التى تذكر أن هذه القضية قد حصلت عام الفتح، أى فى السنة الثامنة للهجرة، فى حين أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد توفى فى آخر السنة العاشرة، بناء على أن أول السنة هو ربيع الأول، أو فى أوائل السنة الحادية عشرة بناء على أن ابتداء السنة الهجرية هو شهر محرم.

و لكننا ذكرنا: احتمال أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد ناجى فاطمة الزهراء «عليها السلام» فى هذا الأمر أكثر من مرة، لحكمة اقتضت ذلك ..

۳- إن استثناء مريم بنت عمران ممن تكون فاطمة «عليها السلام» سيدتهن قد ورد فى بعض نصوص هذا الحديث دون سائرها .. فهل نسى الرواة هذه الفقرة؟ أم أنهم أهملوها عمدا، لعلمهم بأنها لم تكن فى الحديث من الأساس؟

إننا نرجح الاحتمال الثانى، و ذلك لما يلى:

ألف: إن الأحاديث الدالة على أن فاطمة سيدة و أفضل نساء أهل الجنة على الإطلاق، متواترة .. و قد وردت فى مناسبات كثيرة و متنوعة، و فى موارد أخرى غير مورد مسارّة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لفاطمة «عليها السلام».

ب: إن بعض نصوص الحديث قد صرحت: بأنها «عليها السلام»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۷

سيدة نساء العالمين «۱». و يدل ذلك على عدم استثناء مريم منهن.

ج: إن الروايات دلت على: أن مريم بنت عمران سيدة نساء عالمها، أما السيدة الزهراء «عليها السلام» فهى سيدة نساء العالمين، من الأولين و الآخرين «۲».

---

(۱) أرجح المطالب ص ۲۴۱ و تجهيز الجيش (مخطوط) ص ۹۶ و جامع الأحاديث للسيوطى ج ۷ ص ۷۳۴ و أشعة اللمعات فى شرح المشكاة (ط لكهنو) ج ۴ ص ۶۹۳ و وسيلة النجاة ص ۲۲۸ و عيون المعجزات ص ۵۱ و مناقب آل أبى طالب ج ۳ ص ۱۳۷ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۲۷ و أسد الغابة ج ۵ ص ۵۲۲ و ج ۸ ص ۲۶۶ و اللمعة البيضاء للتبريزى ص ۴۶ و شرح إحقاق الحق ج ۱۰ ص ۳۰ و ج ۲۵ ص ۴۸ و ج ۳۳ ص ۲۹۵ و المسانيد لمحمد حياة الأنصارى ج ۲ ص ۷۲.

(۲) مقتل الحسين للخوارزمى ص ۷۹ و أمالى الصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص ۷۸ و ۱۷۵ و ۵۷۵ و كمال الدين و تمام النعمة ص ۲۵۷ و معانى الأخبار للصدوق ص ۱۰۷ و من لا يحضره الفقيه ج ۲ ص ۵۷۳ و تهذيب الأحكام ج ۶ ص ۱۰ و روضة الواعظين ص ۱۰۰ و ۱۴۹ و شرح الأخبار ج ۳ ص ۵۲۰ و المزار لابن المشهدى ص ۸۰ و الفضائل لابن شاذان ص ۹ و المحتضر لحسن بن سليمان الحلى ص ۱۹۷ و الشرف المؤبد ص ۵۴ و مناقب الإمام على لابن المغازلى ص ۳۶۸ و الصلاة فى الكتاب و السنة للريشهرى ص ۲۰۰ و دلائل الإمامة للطبرى ص ۸۱ و ۱۴۹ عن مشكل الآثار ج ۱ ص ۵۱، و عن حلية الأولياء ج ۲ ص ۴۲، و عن ذخائر العقبى ص ۴۳. و راجع: البحار ج ۲۸ ص ۳۸ و ج ۳۷ ص ۸۵ و ج ۴۳ ص ۲۴ و ۲۶ و ۴۹ و ۷۸ و ۱۷۲ و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۲۴۶ و موسوعة أحاديث أهل البيت للنجفى ج ۹ ص ۱۱ و ميزان الحكمة ج ۱ ص ۱۵۰ و تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۳۳۸ و تفسير كنز الدقائق ج ۲ ص ۸۵-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۸

و يؤيد ذلك: الروايات الكثيرة جدا التى تقول: إنها «عليها السلام» سيدة نساء أهل الجنة «۱». فإن أكثرها لم يستثن مريم «عليها السلام» حسبما تقدم.

و أما الرواية التى ذكرت: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد قرر أنها سيدة نساء العالمين، فسألته «عليها السلام» عن موقع مريم فى هذه الحالة، فقال:

لها «صلى اللّه عليه و آله»: تلك سيدة نساء عالمها، و أنت سيدة نساء عالمك «۲»،

- و قاوس الرجال ج ۱۲ ص ۳۳۴ و بشارة المصطفى للطبرى ص ۲۷۴ و ۳۰۶ و العدد القوية ص ۲۲۷ و ينابيع المودة ج ۲ ص ۲۹۸ و اللمعة البيضاء التبريزى ص ۱۷۹.

(۱) راجع: كشف الغطاء (ط ق) ج ۱ ص ۱۸ و الأمالى للصدوق ص ۱۷۸ و كفاية الأثر ص ۱۲۴ و كتاب سليم بن قيس ص ۲۳۶ و

۴۲۷ و الإختصاص للمفيد ص ۱۸۳ و الأمالى للطوسى ص ۸۵ و ۲۴۸ و مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ۳ ص ۱۰۴ و ۱۰۵ و ۱۶۴ و العمدة لابن البطريق ص ۳۸۴ و ۳۸۸ عن صحيح البخارى ج ۵ ص ۲۹ باب مناقب فاطمة «عليها السلام» و مناقب أهل البيت للشيروانى ص ۲۲۹ و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۲۳۳ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۹۱ و صحيح البخارى (دار الفكر) ج ۴ ص ۱۸۳ و ۲۰۹ و ۲۱۹ و سنن الترمذى ج ۵ ص ۳۲۶ و فضائل الصحابة للنسائى ص ۵۸ و ۷۶ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۱۵۱ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۰۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۸۲ و راجع: إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ۱۰ و ج ۱۹ و أجزاء أخرى لتجد هذه الرواية عن عشرات المصادر بطرق مختلفة.

(۲) راجع: إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ۱۰ عن كثير من المصادر و ج ۱۹ ص ۱۹ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۲۷ و ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ۱۹۸ و فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود ج ۴ ص ۸ و مرآة المؤمنين ص ۱۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۳۹

فهى متناقضة فى نفسها، إذ لا ينسجم قوله «صلى اللّه عليه و آله» لها «عليها السلام»: إنها سيدة نساء العالمين، مع قوله لها: أنت سيدة نساء عالمك.

و هذا يؤكد: أن الصحيح هو حذف العبارة الأخيرة ليستقيم المعنى.

و ذلك ظاهر لا يخفى.

جهزينا، و أخفى أمرك:

ورووا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» مكث بعد خروج أبى سفيان ما شاء اللّه أن يمكث، ثم قال لعائشة: جهزينا، و أخفى أمرك «۱».

و قال: «اللهم خذ على أسماعهم و أبصارهم، فلا يرونا إلا بغتة، و لا يسمعون بنا إلا فجأة» «۲».

و فى نص آخر أنه قال: «اللهم خذ العيون و الأخبار على قريش، حتى نبغتها فى بلادها» «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۹ عن ابن عقبة، و ابن إسحاق، و الواقدى، و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۱.

(۲) راجع المصادر المتقدمة فى الهامش السابق.

(۳) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۱۰ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۸۰ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۵۳۷ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۷ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۴۲ و البداية-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۰

و كان قد بنى الأمر فى مسيره إليها على الاستسرار بذلك «۱».

عائشة تفشى سر النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و دخل أبو بكر على عائشة و هى تحرك بعض جهاز رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: أمر كن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بتجهيزه؟

قالت: نعم، فتجهز.

قال: فأين ترينه يريد؟

قالت: لا و اللّه ما أدرى «۲».

قال: ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فأين يريد؟

قالت: لا علم لى «۳».

و دخل عليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: يا رسول اللّه، أردت سفرا؟

- و النهاية ج ۴ ص ۳۲۳ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۵ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۵.

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹ عن الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج ۱ ص ۵۶ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۴۰۸ و لوامع الحقائق للأشتيانى ج ۱ ص ۸۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۹ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۵۳۷ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۷ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۹.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و المعجم الصغير للطبرانى ج ۲ ص ۷۳ و دلائل النبوة للأصبهانى ج ۲ ص ۶۳۵ و إمتاع الأسماع ج ۸ ص ۳۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۱

قال: نعم.

قال: فأتجهز؟!

قال: نعم.

قال: فأين تريد يا رسول اللّه؟!

قال: قريشا. و أخف ذلك يا أبا بكر «۱».

«و فى رواية: أن أبا بكر قال: يا رسول اللّه، أتريد أن تخرج مخرجا؟!

قال: نعم.

قال: لعلك تريد بنى الأصفر؟!

قال: لا.

قال: أفتريد أهل نجد؟!

قال: لا.

قال: فلعلك تريد قريشا؟

قال: نعم.

قال: يا رسول اللّه، أليس بينك و بينهم مدة؟

قال: أولم يبلغك ما صنعوا ببنى كعب؟ يعنى خزاعة» «۲».

و أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالجهاز، قال: أو ليس بيننا و بينهم مدة؟! الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى

ج۲۱ ۱۴۱ عائشة تفشى سر النبى صلى الله عليه و آله: ..... ص : ۱۴۰

قال: قال: إنهم غدروا، و نقضوا العهد، فأنا غازيهم.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۲۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و بمعناه عند الواقدى فى المغازى ج ۲ ص ۷۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۲

و قال لأبى بكر: اطو ما ذكرت لك.

فظان يظن أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يريد الشام، و ظان يظن ثقيفا، و ظان يظن هوازن «۱».

و لنا مع ما تقدم عدة وقفات نسوقها على النحو التالى:

للمباغتة و جهان:

للمباغتة و جهان: وجه سىء، و وجه حسن، فمن يريد أن يباغت عدوه ليتمكن من إهلاكه، و سحق كل قدراته، و تدمير كل نبضات الحياة لديه، يعتبر المباغتة فرصة للتخريب، و التدمير و الاستئصال، و التنفيس عن الحقد، و التشفى، و الانتقام الوحشى الذى لا يقف عند حد، فهذا الانتقام سىء و قبيح، و كذلك المباغتة التى هيأت له ..

و هناك المباغتة التى يمارسها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يريد منها أن يهيىء الجو لإلحاق هزيمة نفسية تتلاشى معها رغبة الطرف الآخر بالقتال، و يواجه أجواء الفشل و الإحباط، و يدفعه إلى السعى لإنهاء المعركة، و الخروج من أجوائها الضاغطة، فتنتج تلك المباغتة السلامة، و النجاة، و صيانة المال و العرض، و ربما يحتفظ بالكرامة و الجاه، وفق ما تسوقه إليه إرادته، و يهديه إليه عقله، و تهيئه له اختياراته.

و خير دليل على ما نقول: هذا الذى جرى فى فتح مكة، فإن عنصر المباغتة فى الفتح كان ظاهرا و واضحا كالنار على المنار و كالشمس فى رابعة

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۶ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۳

النهار، مع أن مبررات الانتقام كانت حاضرة، و القدرة عليه ظاهرة، فقد نكثوا العهد، و قتلوا الأبرياء من الصبيان، و النساء، و الرجال الضعفاء، و جحدوا ذلك و أنكروه، و سعوا إلى إبطال حق ضحاياهم بوسائل ما كرة، ظهرت بعض معالمها فيما تقدم من فصول ..

فكان لا بد من إسقاط هيمنة الظالمين، و كف أيدى العتاة المتجبرين لإفساح المجال لعباد اللّه ليتنفسوا نسيم الحرية، و ليخرجوا من أسر أولئك الطواغيت إلى كنف رعاية اللّه، و يتفيأوا ظلال شرائعه و أحكامه، حيث يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» قائدهم، و الحق رائدهم.

و هكذا كان.

مكث ما شاء اللّه:

و قد صرح النص المتقدم: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يبادر إلى دعوة الناس للتجهز للمسير بمجرد دعوة الخيبة لأبى سفيان .. بل هو قد أهمل هذا الأمر مدة تكفى إلى غياب ما جرى لأبى سفيان عن ذاكرتهم، ثم أمرهم بالتجهز و الاستعداد، فلم يفطنوا إلى الجهة التى يقصدها فى مسيره ذاك ..

و من شأن جهلهم بمقصده أن يفوت الفرصة على محبى قريش، و المتعاملين معها، فلا يتمكنون من إنذارها فى وقت مبكر لكى تأخذ حذرها و تستعد للقتال، أو أن تزداد تحصّنا و تمنّعا يقلل من تأثّرها بالحشد الذى أعده، و بالعدة التى هيأها ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۴

التجهيز لسفر مبهم:

ثم إن النص المتقدم يقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لعائشة:

جهزينا و أخفى أمرك ..

أى أنه «صلى اللّه عليه و آله» يريد منها أن تخفى أصل التجهز، و الاستعداد لسفر لم يحدده لها و لا عرّفها طبيعته، هل هو سفر للحرب؟ أو لزيارة منطقة بعينها؟ أو لأى غرض آخر ..

و الذى نريد أن نستوضحه هنا هو: أنها إذا كان المطلوب منها إخفاء نفس التجهيز له، فهذا يدل على أنه يريد سفرا لا يعرف به أحد، فهل يريد أن يسافر وحده «صلى اللّه عليه و آله» دون سائر المسلمين؟!

و ربما يمكننا أن نجيب على هذا التساؤل بتقديم أحد احتمالين، ربما يكون أحدهما أو كلاهما هو السبب.

الإحتمال الأول: أن يكون الغرض هو إخفاء هذا الأمر عن أناس بأعيانهم، لهم نوع اتصال قريب بها، لعله يخشى من أن يبادروا إلى إعلام قريش بالأجواء التى استجدت فى المدينة، تماما كما حصل فى قضية حاطب بن بلتعة الآتية، حيث بادر بالكتابة لقريش بمجرد أن علم بتهيؤ المسلمين لغزو مّا، رغم أنه لم يعلم المقصود بالغزو أصلا ..

الإحتمال الثانى: أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد اراد تقديم نموذج من معاناته، ليعرف الناس عظمة صبره و دقة ملاحظته، و صحة تدبيره الذى انتهى بذلك الفتح العظيم ..

فإنه إذا كانت زوجة الرسول لم تستطع كتمان هذا الأمر لمدة ساعة أو ساعات، حتى أفشته لأبيها، رغم توصية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۵

لها، فما بالك بسائر الناس و كيف سيتصرفون عند ما يظهر لهم طرف من هذا الأمر؟!

و ثمة احتمال ثالث يمكن أن ندرجه فى دائرة مقاصده أيضا، و هو أن يعطينا «صلى اللّه عليه و آله» درسا فى الحيطة و الحذر فى مثل هذه الأمور، حتى من أقرب الناس، و هذا درس مفيد و جليل و سديد، لا بد من التوفر على مضامينه بحرص و إتقان.

نجاح الخطة:

يظهر جليا من النصوص المتقدمة كيف أن الذين حاولوا التكهن بمقصده «صلى اللّه عليه و آله» لم يخطر على بال أحد منهم أنه يقصد مكة، بل ذهب و همهم إلى الشام، و ثقيف، و هوازن.

كما أن أبا بكر قد قلّب احتمالات عديدة، مثل أن يغزو أهل نجد، أو بنى الأصفر، و كان آخر ما زعموا أنه خطر على باله هو غزو قريش، مع استبعاد قوى منه لهذا الاحتمال، مدعّم بالاستدلال، بأنه كيف يغزوهم و بينه و بينهم مدة و عهد؟!

و من غير الطبيعى كتمان أمر عن أمة بأسرها، يستنفر منها عشرة آلاف مقاتل ليعالجوا نفس هذا الأمر المكتوم، مع كثرة الموتورين و الحاقدين فى المنطقة، و مع وفرة المنافقين المتربصين. بالإضافة إلى الذين يبحثون عما يفيدهم فى مصالحهم الشخصية، أو القبلية، أو غيرها ..

و خفاء هذا الأمر الخطير إلى هذا الحد، و فى ظروف كهذه، و فى هذا المحيط بالذات يعد من أعظم الإنجازات، و من أجلّ التوفيقات، و يدلل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۶

على التدبير الحكيم، و الضبط الدقيق للأمور من قبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

الأخذ على الأسماع و الأبصار:

لا يريد النبى «صلى اللّه عليه و آله» بدعائه اللّه بأن يأخذ على أسماع و أبصار أعدائه أن يتدخل اللّه سبحانه بإعمال إرادته التكوينية، و يفعل بهم ذلك بصورة قاهرة .. لأن هذا ظلم لهم، وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ..

بل هو يطلب منه تعالى: أن يتصرف فى خارج دائرة اختيار أولئك المشركين، فيؤيد المؤمنين بالتوفيقات و العنايات، و الألطاف الإلهية، و بالتدبيرات الصحيحة، و يفتح أبواب أفهامهم لسد الفرج، و الإمساك بالأمور بحيث لا يتمكن أحد من إيصال أى خبر عن حقيقة ما يجرى داخل المجتمع الإسلامى إلى معسكر الكفر و البغى و العدوان ..

و هذا ما حصل بالفعل ..

و لهذه المباغتة تأثيرات هامة على صعيد حسم الأمور لصالح أهل الإيمان، من حيث إن ذلك يمثل فشلا روحيا، و إحباطا كبيرا لدى الأعداء ..

و هو يفقدهم القدرة على الإعداد و الإستعداد، و إيقاظ الهمم، و شحذ العزائم، و لا يبقى لهم الفرصة لرسم الخطط القتالية، و الاستفادة من عنصر المفاجأة فى المواقع المختلفة ..

ثم إن جعل زمام المبادرة بيد أهل الإيمان من شأنه أن يجعل الأمور تسير باتجاه اتخاذ القرارات الحكيمة و المنصفة، و التدبيرات المؤثرة فى حسم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۷

الأمور بأقل قدر ممكن من الخسائر ..

حتى نبغتها فى بلادها:

و من الواضح: أن مجرد أن يراك عدوك تطأ أرضه، و تحل فى بلاده يجعله فى موقع الدفاع بصورة تلقائية، و يضطره ذلك إلى الإحساس الداخلى بأن ثمة درجة من الهزيمة و الخسارة قد حاقت به، و ذلك يؤثر على روحه، و يطامن من عنفوانه، و يخفف من عنجهيته.

كما أنه يعطيك درجة من الهيمنة على الموقف، و يبعث فيك قدرا من الطموح، و يثير فيك حالة من العنفوان و القوة ..

و لعل هذا و ذاك هو ما يفسر لنا قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»:

«حتى نبغتها فى بلادها» حسبما تقدم.

لماذا الحديث عن قريش دون بنى بكر؟!:

و يلاحظ: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد ركز حديثه على قريش، دون بنى بكر، مع أن بنى بكر هم الذين ارتكبوا الجريمة، و دعوا قريشا لمشاركتهم و معاونتهم فيها، فسارع عدد من زعمائها إلى تلبية الطلب .. فلماذا يخصصها «صلى اللّه عليه و آله» بالذكر دونهم يا ترى؟!

و نقول فى الجواب:

إن رأس الطغيان فى المنطقة العربية كلها، و حامى حمى البغى و الظلم و التعدى هو قريش .. و لولاها لم يجرؤ بنو بكر على مهاجمة خزاعة، و يكفى مانعا و رادعا عن ذلك معرفتهم بحلف خزاعة مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۸

و لذلك سعى بنو نفاثة إلى إشراك قريش فى هذا الأمر ..

فاستئصال كبرياء قريش، و كسر جبروتها الظالم يكفى لمنع تكرار مثل هذه الجرائم ..

أبو بكر و عائشة فى مأزق:

و قد يعتذر البعض عن إفشاء عائشة السرّ الذى أمرها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بإخفائه، فبادرت إلى إفشائه لأبيها عند أول سؤال وجهه إليها- يعتذر- بأنها لم تفش السر لرجل غريب، بل هو أبوها المقرّب جدا من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و الذى يعد من أهل البيت، و كانت تقطع برضى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بإطلاعه على ما هو أهم من هذا ..

و نجيب بما يلى:

أولا: لو كان هذا صحيحا لبادر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه إلى إعلام أبى بكر بالأمر.

ثانيا: هذا اجتهاد فى مقابل النص، فإن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد نص صراحة على لزوم إخفاء هذا الأمر، فلا معنى، و لا يقبل اجتهاد عائشة فى مقابل هذا النص.

ثالثا: إن قضايا الحرب و السلم قد تطوى عن أقرب الناس، و تبيّن و تفصّل للبعداء لأسباب تعود إلى طبيعة الحرب و اقتضاءاتها ..

و من كلام على «عليه السلام» لأصحابه: «ألا و إن لكم عندى أن لا أحتجز (أحجبن) دونكم سرا إلا فى حرب، و لا أطوى دونكم أمرا إلا فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۴۹

حكم» «۱».

و قد يكون القريب ثرثارا، و البعيد كتوما. و فى غير هذه الصورة أيضا قد يثق القريب بمن لا يؤمن من اتصاله بالعدو، و إخباره بما يجرى ..

بل قد يكون للقريب ما يدعوه إلى مباشرة ذلك بنفسه .. و قد .. و قد ..

رابعا: إن نفس انصراف الرسول «صلى اللّه عليه و آله» عن إخبار أبى بكر بهذا الأمر يضع علامة استفهام كبيرة حول صحة ما يدعونه من تقريب من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» له. فضلا عن أن يعدّ من أهل بيته ..

و بعد هذا كيف يمكن ادّعاء أنها كانت تقطع بأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يرضى منها بإخباره بالأمر، فإن هذا من الأمور القلبية التى لا يعرفها إلا علام الغيوب ..

خامسا: بالنسبة لقرب أبى بكر من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نقول:

إن ثمة فرقا بين قرب يأتى من إصرار أبى بكر على حشر نفسه فى مجالس النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و مثابرته على نسبة نفسه إليه،

و سعيه إلى التحدث باسمه، و إظهار قربه منه .. و .. و .. الخ .. و بين تقريب النبى «صلى اللّه عليه و آله» له، و الدال على محبته «صلى اللّه عليه و آله» له، و ثقته به ..

---

(۱) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ۳ ص ۷۹ و الأمالى للطوسى ص ۲۱۷ و البحار ج ۳۳ ص ۷۶ و ۴۶۹ و ج ۷۲ ص ۳۵۴ و ميزان الحكمة للريشهرى ج ۱ ص ۱۲۴ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۴۶۳ و المعيار و الموازنة ص ۱۰۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵۰

و الذى يمكن التسليم به لأبى بكر هو الأول. أما الثانى، فلا مجال لإثباته.

بل هناك دلائل و شواهد تصب فى عكس هذا الاتجاه، و منها: هذه القضية بالذات، حيث إن عدم إخبار النبى «صلى اللّه عليه و آله» له و لو بمقدار ما اطلع عليه عائشة يضع علامة استفهام كبيرة حول أصل ثقته به، و اعتماده عليه ..

أبو بكر يصر على النبى صلى اللّه عليه و آله إلى حد الإحراج:

و قد رأينا فى الروايات المتقدمة: حرص أبى بكر على معرفة كنه الأمر، و لا يكتفى بتوجيه عدة أسئلة إلى ابنته، مثل:

أمركن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بتجهيزه؟!

أين ترينه يريد؟!

ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فأين يريد؟!

بل هو يوالى الأسئلة على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و يسمع أجوبة مقتضبة، من شأنها أن تعرّفه: أنه لا يريد أن يبوح له بشىء.

و لكنه يتابع الأسئلة، و يصر على معرفة حقائق الدقائق، و من أسئلته:

أردت سفرا؟

فأتجهز؟

أتريد أن تخرج مخرجا؟

فأين تريد يا رسول اللّه؟

لعلك تريد بنى الأصفر؟

أفتريد أهل نجد؟

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵۱

فلعلك تريد قريشا؟

أليس بينك و بينهم مدة؟

و لم يكن من المصلحة: أن يأمره النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالكف عن الأسئلة، فربما تذهب به الظنون مذاهب مخيفة، و لربما تسوقه الأوهام إلى تكهنات لو سمعها الآخرون منه لألحقت بالمسيرة ضررا بالغا ..

و لكن الذى كنا سنرتاح كثيرا لو عرفناه هو:

۱- ألم يلتفت أبو بكر إلى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يريد ان يعرّفه شيئا مما عقد العزم عليه، حتى أصل أنه يريد سفرا؟ كما دل إخباره «صلى اللّه عليه و آله» عائشة دونه؟!

۲- و بعد أن عرف أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يريد سفرا، لماذا يصرّ على معرفة المقصد بدقة، كما ظهر من توجيهه كل تلك الأسئلة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و سماعه تلك الأجوبة المقتضبة؟! ألم يدرك أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليس

راغبا فى البوح له بشىء؟ فلماذا يحرجه بأسئلته إذن؟!

۳- هل يمكن أن نستفيد من أسئلته لابنته عائشة، أنه لم يكن واثقا من أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سيخبره لو سأله، فحاول أن يستل بعض الأخبار منها، فلما أعياه ذلك توجه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لم يزل يحرجه بالسؤال تلو السؤال حتى حصل على ما أراد!!

۴- ثم ما معنى أن يسأل ابنته عن الاحتمالات التى تراودها، فيما يرتبط بوجهة سير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟ و ماذا يفيده رأيها و حدسها، و أية قيمة تكون للحدسيات و التخمينات فى أمور كهذه؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵۲

أليس بينك و بينهم مدة؟!:

و قد حضر أبو بكر أو سمع بمجيء عمرو بن سالم، و بديل بن ورقاء، و جماعة كبيرة إلى المدينة، و عرف منهم ما جرى لخزاعة على يد قريش و بنى بكر .. و رأى أبا سفيان أيضا حين جاء يريد خداع المسلمين، و المكر بهم و برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» للنجاة من تبعات نقض العهد ..

و قد كان لأبى بكر نفسه نصيب من النشاط الذى أثاره أبو سفيان فى هذا الاتجاه، و زعموا له موقفا شديدا مميزا تفرد به، ثم تابعه عليه زميله عمر بن الخطاب.

فما معنى اعتراضه على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فيما عقد عليه العزم فى قريش، و كيف يزعم أن بين النبى و بينهم عقدا و عهدا و مدة، و هو عالم بنقض قريش للعهد و العقد فى أمر خزاعة؟!

السيطرة على المسالك:

و أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» جماعة أن تقيم بالأنقاب (و هى المسالك فى الجبال).

و كان عمر بن الخطاب يطوف على الأنقاب، فيمرّ بهم، فيقول: لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه.

لكن صاحب السيرة الحلبية نقل ذلك من قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و كانت الأنقاب مسلّمة إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به، و يسأل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵۳

عنه «۱».

و نقول:

۱- إن رصد الطرقات و المنافذ إلى مكة، و وضع الرجال على المسالك فى الجبال بصورة دائمة من شأنه أن يزيد الأمور ضبطا و انتظاما، و أن يمنع من تسرب الأخبار إلى قريش، و لا أقل من أنه يحرج من يريد أن يفعل ذلك، و يربكه، و يحد من ميله لتعريض نفسه للفضيحة، لو كشف أمره ...

۲- إن هذه القوات التى كلفت بمهمة حفظ الطرقات لم تكن تضايق أحدا من سالكى تلك الطرق، فقد ذكر النص المتقدم: أن الطرق مسلّمة، لا يعترض أحد فيها سبيل أحد إلا من سلك إلى مكة.

۳- و حتى من يريد مكة، فإنه لا يمنع من ذلك، و إنما يحتجز بمقدار ما يتأكد من أمره، فيسأل عنه.

۴- لعل المقصود بالسؤال عن السالك إلى مكة هو: مراجعة النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى أمره ..

۵- إذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد حدد لتلك القوات الراصدة و الضابطة للطرقات مسؤوليتها، و هو أن لا يدعوا أحدا يمر بهم ينكرونه إلا ردّوه .. فلماذا يطوف عمر بن الخطاب على الأنقاب، و يطلب منهم نفس هذا الطلب، و يصدر لهم نفس هذا الأمر؟!

و لسنا نشك فى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد حدد لأولئك

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۹ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵۴

الرجال المهمة التى انتد بهم لها- حتى لو لم يذكر لنا الحلبى أو غيره مضمون كلامه «صلى اللّه عليه و آله» لهم-.

فتكرار هذا الكلام على مسامعهم من عمر لا يقدم و لا يؤخر، لأن هذه هى مهمتهم التى انتدبوا لها، و هم ينفذون أوامر النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا- أوامر عمر .. إلا- إذا كان عمر يريد أن يوحى لهم: بأنه قرين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و نظيره، و أوامره كأوامره، و طاعته كطاعته ..

و اللافت هنا: أننا لا نجد هذه الحركات و أمثالها لدى أى من الصحابة الآخرين إلا من عمر بن الخطاب .. و إن شاركه غيره فى شىء من ذلك فستجد أنه يسير فى نفس خطه، و من القريبين منه، أو من أهل الصفاء عنده، و تربطهما أو اصر مودة و إلفة ..

إلى بطن إضم:

لما أراد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المسير إلى مكة، بعث أبا قتادة بن ربعى إلى بطن إضم، ليظن الظان: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» توجه إلى تلك الناحية، و أن لا تذهب بذلك الأخبار «۱».

و أبان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المسير إلى قريش «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۱ عن ابن عقبة، و ابن إسحاق، و الواقدى، و غيرهم. و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۲۹۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۹ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۴۹ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۴۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۷.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و إمتاع الأسماع-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵۵

و أرسل إلى أهل البادية، و من حولهم من المسلمين، يقول لهم: «من كان يؤمن باللّه و باليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة» «۱».

و هم أسلم و غفار، و مزينة و جهينة، و أشجع، و بعث إلى بنى سليم.

فأما بنو سليم فلقيته بقديد، و أما سائر العرب فخرجوا من المدينة «۲».

و بعث رسلا فى كل ناحية حتى قدموا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۳».

قالوا: «و دعا رئيس كل قوم، فأمره أن يأتى قومه، فيستنفرهم» «۴».

و قالوا أيضا: لما عزم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على فتح مكة- شرفها اللّه تعالى- كتب إلى جميع الناس فى أقطار الحجاز و غيرها، يأمرهم أن يكونوا بالمدينة فى شهر رمضان من سنة ثمان للهجرة، فوافته الوفود و القبائل من كل جهة «۵».

- ج ۱ ص ۳۵۳.

(۱) مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۳۰۸ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۴ و السیرة الحلبیة (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۰.

(۲) المغازی للواقدی ج ۲ ص ۷۹۹ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۷۹ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۴ و السیرة الحلبیة (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۰.

(۳) سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۱ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۷۹۹ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۷۹ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۴ و مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۳۰۸.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۷ عن إعلام الوری (ط مؤسسة آل البیت) ج ۱ ص ۲۱۸.

(۵) شرح النهج للمعتزلی ج ۱۷ ص ۳۵۹ عن الواقدی، و الکافی ج ۴ ص ۲۴۹ و الوسائل ج ۸ ص ۱۵۸ و عن السیرة النبویة لدحلان (مطبوع بهامش السیرة الحلبیة) ج ۲ ص ۲۹۸ و مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۳۰۸.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲۱،ص:۱۵۶

و قال حسان بن ثابت یحرض الناس و یذکر مصاب رجال خزاعة:

عنانی و لم أشهد ببطحاء مکةرجال بنی کعب تحز رقابها

بأیدی رجال لم یسلوا سیوفهمو قتلی کثیر لم تجن ثیابها

ألا لیت شعری هل تنالن نصرتیسهیل بن عمر و حرها و عقابها

فلا تأمننها یا ابن أم مجالدإذا احتلبت صرفا و أعصل نابها

و لا تجزعوا منها فإن سیوفنالها وقعة بالموت یفتح بابها «۱» قال ابن إسحاق: و قول حسان: بأیدی رجال لم یسلوا سیوفهم: یعنی قریشا، و ابن أم مجالد: عکرمة بن أبی جهل «۲».

و عسکر رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» ببئر أبی عنبة، و عقد الألویة و الرایات. فکان فی المهاجرین ثلاث رایات: رایة مع علی، و رایة مع سعد بن أبی وقاص، ثم ذکر الواقدی سائر الرایات «۳».

إشارة لما سبق:

و نقول:

---

(۱) سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۱ و ۲۱۲ و السیرة الحلبیة ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۹ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۳۲۷ و البدایة و النهایة ج ۴ ص ۳۲۳ و السیرة النبویة لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۷ و السیرة النبویة لابن کثیر ج ۳ ص ۵۳۵.

(۲) سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۱ و ۲۱۲ و السیرة الحلبیة ج ۳ ص ۷۴ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۳۲۷ و السیرة النبویة لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۷.

(۳) المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۰۰ و إمتاع الأسماع ج ۷ ص ۱۶۸.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲۱،ص:۱۵۷

قد تحدثنا فی جزء سابق عن سریة بطن إضم، فلا نری حاجة للإعادة، و نکتفی بالإشارة إلی بضعة أمور هی التالیة:

النفیر العام:

إنه یبدو: أنه «صلی اللّه علیه و آله» قد استنفر جمیع العرب، بدوهم و حضرهم، قریبهم و بعیدهم، مسلمهم و کافرهم، ربما لأنه أراد

أن يؤكد لهم سقوط جميع حصون الشرك فى المنطقة، و أنه لم يعد هناك مبرر للتعامل بجفاء، أو عداء.

و عليهم الاعتراف بهيمنة الإسلام و قدرته و قوته، إذ إنهم ليسوا هدفا عسكريا له، و لا هو يريد أن يبتلعهم، أو أن يستغلهم.

بل هو يريد أن يتعاون معهم على حل المشكلات، و ان يقف إلى جانبهم فى إقرار الأمن و السلام، و منع الظلم و التعدى. إذ هو يدعوهم إلى نصرة المظلومين، و محاربة الظالمين، الذين ينقضون العهود، و يبطشون بالصبيان، و النساء، و الضعفاء .. فلماذا لا ينصرونه، و لا يكونون معه؟ فإن ذلك من مصلحتهم بلا ريب.

و يدل أنه قد جرى على استنفار جميع العرب، النصوص المتقدمة نفسها، بالإضافة إلى أنه فى حرب خيبر، و فى غيرها، و هى حروب كبرى، و صعبة و مصيرية، لم يستطع حشد أكثر من ألف و خمس مائة مقاتل مقابل أكثر من عشرة آلاف مقاتل من الأعداء، كانوا مستقرين فى حصونهم، و مستعدين للمواجهة.

و لكنه جمع فى مؤتة ثلاثة آلاف مقاتل ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵۸

و قد قلنا: إن الظاهر هو: أنه قد نفر معه مئات من غير المسلمين أيضا، لأنهم أدركوا: أن خطر ملك الروم عظيم و جسيم، فلا بد لهم من الدفع عن أنفسهم، و حفظ حوزتهم، كما تقدم.

الحضور إلى المدينة فى شهر رمضان:

و قد كانت رسالته «صلى اللّه عليه و آله» إلى العرب هى: الطلب إليهم أن يحضروا إلى المدينة فى شهر رمضان، و لم يبين لهم سبب هذا الطلب، و لا الغاية من حضورهم، فهل هو يحضرهم لإبلاغهم أمرا، أو لمشاورتهم فيه، أو للاتفاق معهم على شىء بعينه، أو لحرب أهل مكة، أو حرب غيرهم؟ إن ذلك لم تحدده لهم تلك الرسائل التى أرسلها إليهم ..

و حتى بعد أن ظهر أن القصد هو التجمع للحرب، فإن الأمر بقى غائما و مجهولا لهم، إلى أن سار بتلك الجموع مسافات طويلة، ثم سلك طريق مكة ..

و لم نجد منهم أى تمرد أو تململ أو ضيق من هذا القرار القاضى بحجب معرفة المقصد عنهم، بل ربما يكون ذلك قد أشعرهم بخطورة الأمر و أهميته، و هيأهم لمواجهة أى خيار يفرض عليهم بصبر و شجاعة.

و إن هذا يشير بلا شك إلى مدى تسليم الناس لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و ثقتهم بتدبيره، رغم أنهم لم يكونوا كلهم- حسبما استظهرناه- من أهل الإيمان، و الإسلام.

إبان المسير إلى قريش:

قد تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر عائشة بكتمان الأمر،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۵۹

و أمر أبا بكر بذلك أيضا. و انه أرسل أبا قتادة إلى بطن إضم، و لم يعلمه بوجهة سيره لئلا تذهب بذلك الأخبار.

فما معنى قولهم هنا: إنه «صلى اللّه عليه و آله» أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، و أمرهم بالجد و التجهيز «۱»؟.

أو قولهم: «أبان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» السير إلى قريش، و أرسل إلى أهل البادية الخ ..» «۲».

و مما يؤكد التزام السرية فى هذا الأمر قولهم: «.. و أمر «صلى اللّه عليه و آله» الناس بالجهاز و طوى عنهم الوجه الذى يريده و قد قال له أبو بكر: يا رسول اللّه، أو ليس بيننا و بينهم مدة؟

قال: إنهم غدروا و نقضوا العهد. واطو ما ذكرت لك ..» «۳».

يضاف إلى ذلك: أن رسالة حاطب بن أبى بلتعة لقريش تدل على أنه لم يكن على يقين من وجهة سيره «صلى اللّه عليه و آله»، حيث جاء فيها: «و إن محمدا قد نفر، فإما إليكم، و إما إلى غيركم».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و (ط دار المعرفة) ص ۹ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۵۳۷ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۳ و العبر و تاريخ المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۲ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۳ و ۳۵۴ و مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۳۰۸ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۰.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۰

أو جاء فيها: «قد آذن بالغزوة، و لا أراه إلا يريدكم» «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و فتح البارى ج ۱۲ ص ۲۷۳ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۱

الفصل الخامس: ابن أبى بلتعه .. يتجسس و يفتضح

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۳

اكتشاف تجسس ابن أبى بلتعة لقريش:

و روى: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما أجمع السير إلى مكة، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من الأمر فى المسير إليهم، ثم أعطاه امرأة «۱»، (سوداء كما فى البحار) زعموا أنها من مزينة.

قال محمد بن عمر: يقال لها: كنود «۲».

قال ابن إسحاق: و زعم لى غير ابن جعفر: أنها سارة مولاة لبعض بنى

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۹ نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۵۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۴۰۰ و تخريج الأحاديث و الآثار للزيلعى ج ۳ ص ۴۵۰ و جامع البيان للطبرى ج ۲۸ ص ۷۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۷۰ و الثقات لابن حبان ج ۴ ص ۴۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۳ و إمتاع الأسماع ج ۱۳ ص ۳۷۶ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۶.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۲۰۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۸ و تخريج الأحاديث و الآثار للزيلعى ج ۳ ص ۴۵۰ و نيل الأوطار

ج ۸ ص ۱۵۶ و البداية و النهاية ج ۴ هامش ص ۳۲۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۴

المطلب «۱».

و زعم مغلطاى: أن حاملة الرسالة هى: أم سارة و اسمها كنود «۲».

و جعل لها جعلا «۳».

قال محمد بن عمر: دينارا «۴».

---

(۱) فى البحار ج ۲۱ ص ۱۲۵ و ۱۳۶ و ۱۳۷ عن إعلام الورى: أنها مولاة أبى لهب.

و عن تفسير فرات ص ۱۸۳ و ۱۸۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۸ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۵۶ و تخريج الأحاديث و الآثار للزيلعى ج ۳ ص ۴۵۰ و جامع البيان للطبرى ج ۲۸ ص ۷۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۷۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۳ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۶.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و راجع: فتح البارى (المقدمة) ص ۲۸۸ و ۳۰۱ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۵۴ و ج ۱۷ ص ۲۷۴ و عون المعبود ج ۷ ص ۲۲۳ و تفسير الآلوسى ج ۲۸ ص ۶۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۹ ص ۳۰ و الإصابة ج ۸ ص ۳۹۸.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۶۴ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۰ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹ و ۱۳۶ و تفسير فرات ص ۴۸۰ و تفسير مقاتل بن سليمان ج ۳ ص ۳۴۹ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و الإرشاد ج ۱ ص ۵۶ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۳۰۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۶ و جامع البيان للطبرى ج ۲۸ ص ۷۶ و تفسير ابن زمنين ص ۳۷۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۷۰ و تاريخ الأمم و الملوك ۲ ص ۳۲۷ و إمتاع الأسماع ج ۱۳ ص ۳۷۶ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۵ و ۴۰۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۶ و شرح إحقاق الحق ج ۳۱ ص ۸.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۸ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۲۷۴ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۵۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۴۰۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۵

و قيل: عشرة دنانير «۱».

أضاف الحلبى قوله: و كساها بردا «۲»، على أن تبلغه أهل مكة.

و عن ابن عباس: أعطاها عشرة دنانير «۳».

و عن مقاتل: عشرة دراهم و كساها بردا «۴».

و قال لها: أخفيه ما استطعت، و لا تمرى على الطريق، فإن عليه

---

(۱) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۰ و البحار ج ۲۱ ص ۹۴ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۵۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۴۰۰ و ج ۱۲ ص ۲۷۳ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۵۵ و تاريخ الأحاديث و الآثار ج ۳ ص ۴۴۷ و حقائق التنزيل و عيون الأقاويل للزمخشرى ج ۴ ص ۸۸ و تفسير مجمع البيان ج ۹ ص ۴۴۶ و تفسير الثعلبى ج ۹ ص ۲۹۱ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۳۲۹ و تفسير النسفى ج ۴ ص ۲۳۵ و تفسير الرازى ج ۲۹ ص ۲۶۹.

(۲) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۰ و مغازى الواقدى ج ۲ ص ۷۹۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و فتح البارى ج ۱۲

ص ۲۷۳ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۵۵ و تاريخ الأحاديث و الآثار ج ۳ ص ۴۴۷ حقائق التنزيل و عيون الأقاويل للزمخشرى ج ۴ ص ۸۸ و تفسير مجمع البيان ج ۹ ص ۴۴۶ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۰ و تفسير الثعلبى ج ۹ ص ۲۹۱ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۳۲۹ و تفسير النسفى ج ۴ ص ۲۳۵ و تفسير الرازى ج ۲۹ ص ۲۶۹.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۹۴ و تفسير مجمع البيان ج ۹ ص ۴۴۶ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۰ و تفسير الثعلبى ج ۹ ص ۲۹۱.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۹۴ عن مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۹ و ۲۷۰ و تفسير الثعلبى ج ۹ ص ۲۹۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۶

حرسا «۱».

فجعلته فى رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، فسلكت غير نقب عن يسار المحجة فى الفلوق حتى لقيت الطريق بالعقيق «۲».

نص الكتاب:

و ذكر السهيلى أنه قيل: إنه كان فى كتاب حاطب: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، و أقسم باللّه لو سار إليكم و حده لنصره اللّه تعالى عليكم، فإنه منجز له ما وعده فيكم، فإن اللّه- تعالى- ناصره و وليه «۳».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۹ و راجع:

السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۰۹ عن أحمد، و مسلم، و البخارى، و النسائى، و الترمذى، و أبو داود عن أبى رافع عن على، و أبو يعلى، و الحاكم و الضياء عن عمر بن الخطاب. و الإمام أحمد، و عبد بن حميد عن جابر، و ابن مردويه عن أنس، و ابن مردويه عن سعيد بن جبير، و ابن إسحاق عن عروة، و ابن مردويه عن عبد الرحمن عن حاطب بن أبى بلتعة، و محمد بن عمر عن شيوخه.

و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹ و ۱۲۰ عن الإرشاد للمفيد، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۹ و إمتاع الأسماع ج ۲ ص ۳۵۲.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۱ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۵۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۴۰۱ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۷۳ و تفسير القرطبى ج ۱۸ ص ۵۰-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۷

و عند الطبرسى: أنه كتب لقريش: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خارج إليكم يوم كذا و كذا «۱».

و فى تفسير ابن سلام: أنه كان فيه: إن محمدا «صلى اللّه عليه و آله» قد نفر فإما إليكم، و إما إلى غيركم، فعليكم الحذر. انتهى «۲».

و ذكر ابن عقبة الواقدى: أن فيه: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد آذن بالغزو، و لا أراه إلا يريدكم، و قد أحببت أن يكون لى يد بكتابى إليكم «۳».

و عند الطبرسى: من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يريدكم، فخذوا حذركم «۴».

- و تفسير الآلوسى ج ۲۸ ص ۶۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۴ و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۴۲ و عيون الأثر ج ۲ ص ۲۰۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۷.

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۵ عن إعلام الورى (ط مؤسسة الوفاء) ج ۱ ص ۲۱۶.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳

ص ۵۳۷ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۳۷ و تفسير فرات ص ۱۸۳ و ۱۸۴ و (ط مؤسسة الطبع و النشر- طهران) ص ۴۸۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۱ و راجع: فتح البارى ج ۱۲ ص ۲۷۳.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۹۴ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۹ و ۲۷۰ و (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۴ ص ۴۵۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۱۴۷ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۵۵ و تخريج-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۸

التدخل الإلهى:

قال القمى: «إن حاطب بن أبى بلتعة كان قد أسلم و هاجر إلى المدينة، و كان عياله بمكة. و كانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فصاروا إلى عيال حاطب، و سألوهم أن يكتبوا إلى حاطب، يسألوه عن خبر محمد «صلى اللّه عليه و آله»: هل يريد أن يغزو مكة؟! فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك» «۱».

فكتب إليهم حاطب: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يريد ذلك، و دفع الكتاب إلى امرأة تسمى «صفية» فوضعته فى قرونها الخ .. و أتى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبى طالب، و الزبير بن العوام «۲».

- الأحاديث و الآثار ج ۳ ص ۴۴۷ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۰ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۶۳ و تفسير الثعلبى ج ۴ ص ۳۴۶ و ج ۹ ص ۲۹۱ و تفسير مقاتل بن سليمان ج ۳ ص ۳۴۷ و أسباب نزول الآيات ص ۲۸۲ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۳۲۹ و تفسير النسفى ج ۴ ص ۲۳۵ و تفسير الرازى ج ۳۲ ص ۱۵۳ و تفسير القرطبى ج ۱۸ ص ۵۱ و تفسير البيضاوى ج ۵ ص ۳۲۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۳۱۳ و الدر المنثور ج ۳ ص ۱۷۸ و تفسير أبى السعود ج ۸ ص ۲۳۵.

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۲ و ج ۷۲ ص ۳۸۸ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۳۰۱ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۶۱ و التفسير الصافى ج ۵ ص ۱۶۱ و ج ۷ ص ۱۶۵ و تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۲۳۴.

(۲) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و ج ۱۰ ص ۶۴ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۲ و ۱۲۰ و ج ۷۲ ص ۳۸۸ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۶۱ و التفسير-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۶۹

زاد أبو رافع: المقداد بن الأسود «۱».

و غير ابن إسحاق، يقول: بعث عليا و المقداد «۲».

و فى رواية عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على: أبا مرثد، بدل المقداد «۳».

و فى الحلبية: بعث عليا «عليه السلام»، و الزبير، و طلحة، و المقداد.

و قيل: بعث عليا، و عمارا، أو الزبير، و طلحة، و المقداد، و أبا مرثد.

و لا مانع من أن يكون بعث الكل.

- الصافى ج ۵ ص ۱۶۱ و ج ۷ ص ۱۶۵ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۱۹۹ و تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۱۳۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۶ و جامع البيان للطبرى ج ۲۸ ص ۷۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۷۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۸ و البداية و النهاية ج ۲ ۳۲۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۲ و ج ۱۳ ص ۳۷۶ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۸ و عيون الأثر ج ۲

ص ۱۸۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۶ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۱.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و ج ۱۰ ص ۶۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۱ و المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسى ج ۵ ص ۲۹۳ و تفسير القرطبى ج ۱۸ ص ۵۱.

(۲) عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و ج ۱۰ ص ۶۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۱ و المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسى ج ۵ ص ۲۹۳ و تفسير القرطبى ج ۱۸ ص ۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۰

و بعض الرواة اقتصر على بعضهم «۱».

و زاد الطبرسى: عمر.

و كانوا كلهم فرسانا «۲».

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «أدرك امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم» «۳».

و لفظ أبى رافع: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب» فخرجوا «۴»- و فى لفظ: فخرجا- حتى إذا كان بالخليفة، خليفة بنى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و البحار ج ۲۱ ص ۹۴ عن مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۹ و ۲۷۰ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۴۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۵۵ و ج ۱۹ ص ۲۲۹ و تفسير جوامع الجامع ج ۳ ص ۵۴۲ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۰ و تفسير الثعلبى ج ۹ ص ۲۹۱ و أسباب نزول الآيات للواحدى ص ۲۸۲ و تفسير القرطبى ج ۱۸ ص ۵۱ و تأويل الآيات لشرف الدين الحسين ج ۲ ص ۶۸۳.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۴ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۱ موسوعة الإمام على بن أبى طالب «عليه السلام» فى الكتاب و السنة و التاريخ للريشهرى ج ۱ ص ۲۷۴.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و قال فى هامشة: أخرجه البخارى ۶/ (۳۰۰۷) (۴۸۹۰) و مسلم ص ۳/ (۱۹۴۱) حديث (۱۶۱) و أبو داود فى الجهاد، و أحمد ۱/ ۷۹ و الترمذى فى تفسير سورة الممتحنة، و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۱۶.

و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۹۴ عن مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۹ و ۲۷۰ و (ط مؤسسة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۱

أحمد الخ ..

و فى الحلبية: «فخذوه منها و خلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها» «۱».

و قال المفيد: فاستدعى أمير المؤمنين «عليه السلام» و قال له: «إن بعض أصحابى قد كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، و قد كنت سألت اللّه أن يعمى أخبارنا عليهم. و الكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك و الحقها، و انتزع الكتاب منها، و خلها، و صربه إلى».

- الأعلمى) ص ۴۴۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و كتاب الأم للشافعى ج ۴ ص ۲۶۴ و المجموع للنووى ج ۱۹ ص ۳۴۰ و كتاب المسند للشافعى ص ۳۱۶ و مسند أحمد ج ۱ ص ۷۹ و صحيح البخارى ج ۶ ص ۶۰ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۹۷ و سنن الترمذى ج ۵ ص ۸۲ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۱۴۶ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۵۴ و ج ۱۷ ص ۲۷۳ و ج ۱۹ ص ۲۲۹ و مسند الحميدى ج ۱ ص ۲۷ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ۵۷ و مسند أبى يعلى ج ۱ ص ۳۱۶ و صحيح ابن حبان ج ۱۴ ص ۴۲۴ و معرفة السنن و الآثار للبيهقى ج ۷ ص ۱۰۲ و تخريج الأحاديث و الآثار ج ۳ ص ۴۴۷ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۱ و تفسير جامع البيان ج ۲۸ ص ۷۴ و أسباب نزول الآيات ص ۲۸۳ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۶۹ و أسد الغابة ج ۱ ص ۳۶۱ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۳۲۸ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۵۲۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۴.

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۱ و تفسير فرات ص ۱۸۳ و ۱۸۴ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۶ و ۱۳۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹ و راجع:

تفسير الثعلبى ج ۹ ص ۲۹۱ و أسباب نزول الآيات ص ۲۸۲ و تفسير القرطبى ج ۱۸ ص ۵۱ و مطالب السؤول ص ۱۹۷ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۲

ثم استدعى الزبير بن العوام و قال له: «امض مع على بن أبى طالب فى هذا الوجه».

فمضيا، و أخذا على غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير، فسألها عن الكتاب الذى معها فأنكرت، و حلفت: أنه لا شىء معها، و بكت.

فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتابا، فارجع بنا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نخبره ببراءة ساحتها.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: يخبرنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن معها كتابا و يأمرنى بأخذه منها، و تقول أنت: إنه لا كتاب معها؟!!

ثم اخترط السيف، و تقدم إليها، فقال: أما و اللّه لئن لم تخرجى الكتاب لأكشفنك، ثم لأضربن عنقك.

فقالت: إذا كان لا بد من ذلك فأعرض يا ابن أبى طالب بوجهك عنى، فأعرض بوجهه عنها، فكشفت قناعها، و أخرجت الكتاب من عقيصتها، فأخذه أمير المؤمنين «عليه السلام»، و صار به إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله».

فأمر أن ينادى: «الصلاة جامعة»، فنودى فى الناس، فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم.

ثم صعد النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى المنبر، و أخذ الكتاب بيده و قال: «أيها الناس إنى كنت سألت اللّه عز و جل أن يخفى أخبارنا عن قريش، و إن رجلا منكم كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب و إلا فضحه الوحى».

فلم يقم أحد، فأعاد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مقالته ثانية،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۳

و قال: «ليقم صاحب الكتاب و إلا فضحه الوحى».

فقام حاطب بن أبى بلتعة، و هو يرعد كالسعفة فى يوم الريح العاصف، فقال: أنا يا رسول اللّه صاحب الكتاب، و ما أحدثت نفاقا بعد إسلامى، و لا شكا بعد يقينى.

فقال له النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «فما الذى حملك على أن كتبت هذا الكتاب»؟

قال: يا رسول اللّه، إن لى أهلا بمكة، و ليس لى بها عشيرة، فأشفقت أن تكون دائرة لهم علينا، فيكون كتابى هذا كفا لهم عن أهلى، و يدا لى عندهم، و لم أفعل ذلك للشك فى الدين.

فقام عمر بن الخطاب و قال: يا رسول اللّه مرنى بقتله، فإنه منافق.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «إنه من أهل بدر. و لعل اللّه تعالى اطّلع عليهم فغفر لهم. أخرجوه من المسجد».

قال: فجعل الناس يدفعون فى ظهره حتى أخرجوه، و هو يلتفت إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» ليرق عليه، فأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بردّه، و قال له: «قد عفوت عنك و عن جرمك، فاستغفر ربك، و لا تعد لمثل ما جنيت» «۱».

و فى نص آخر: «فخرج على و الزبير، لا يلقيان أحدا حتى وردا ذا الحليفة، و كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» وضع حرسا على المدينة. و كان

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹- ۱۲۱ و ص ۱۲۵ و ۱۲۶ عن الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۵۶- ۵۹ و راجع: إعلام الورى ج ۱ ص ۳۸۴ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۴۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۴

على الحرس حارثة بن النعمان، فأتيا الحرس فسألاهم، فقالوا: ما مر بنا أحد.

ثم استقبلا حطّابا فسألاه، فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة، فأدركاها فأخذ على منها الكتاب، وردها إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فدعا حاطبا، فقال له: انظر ما صنعت ..

قال: أما و اللّه، إنى لمؤمن الخ .. «۱».

و قال ابن عقبة: أدركاها ببطن ريم، فاستنزلاها فحلفت، فالتمساه فى رحلها، فلم يجدا شيئا، فهموا بالرجوع، فقال لها على بن أبى طالب- رضى اللّه عنه-: إنى أحلف باللّه ما كذب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و ما كذبنا، و لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك.

و عند القمى: ما كذبنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لا كذب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على جبرئيل، ثم و لا كذب جبرئيل عن اللّه جل ثناؤه، و اللّه لتظهرن الكتاب أو لأوردن رأسك إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخ .. «۲». (زاد فى الحلبية: أو أضرب عنقك).

و فى مجمع البيان: و سل سيفه و قال: «أخرجى الكتاب، و إلا و اللّه

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۵ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۶.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۲ و ج ۷۲ ص ۳۸۸ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۶۱ و التفسير الصافى ج ۵ ص ۱۶۱ و ج ۷ ص ۱۶۵ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۲۹۹ و تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۲۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۵

لأضربن عنقك» «۱».

فلما رأت الجد، قالت: أعرضا. فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه.

فخلوا سبيلها، و لم يتعرضوا لها و لا لما معها، فأتى به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فدعا حاطبا، فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟

قال: يا رسول اللّه. إنى و اللّه لمؤمن باللّه و رسوله، ما غيرت، و لا بدلت، و لكنى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل و لا عشيرة، و كان لى بين أظهرهم ولد و أهل، فصانعتهم عليهم «۲».

(۱) تفسير مجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۹ ص ۴۴۶ البحار ج ۲۱ ص ۹۴ و ج ۴۱ ص ۸ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۱ و تأويل الآيات لشرف الدين الحسينى ج ۳ ص ۶۸۳ و عين العبرة فى غبن العترة لأحمد بن طاووس ص ۲۷ و مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۴۰۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و الإمام على بن أبى طالب «عليه السلام» لأحمد الرحمانى الهمدانى ص ۷۷۷.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۲ و البحار ج ۲۱ ص ۹۴ و ۱۱۲ و ۱۳۶ و ۱۳۷ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۹ و ۲۷۰ و تفسير فرات ص ۱۸۳ و ۱۸۴ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۷ و ۷۹۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۷۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۸ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۴۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۶

و فى نص آخر: أنها أخرجت الكتاب من حجزتها، و الحجزة معقد الإزار و السراويل «۱».

و حسب نص أورد فى البحار: أن حاطبا قال: و اللّه ما كفرت منذ أسلمت، و لا غششتك منذ صحبتك، و لا أجبتهم منذ فارقتهم، و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا و له بمكة من يمنع عشيرته، و كنت (عريرا) عزيزا فيهم. (العرير: الغريب)، و كان أهلى بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلى، فأردت أن أتخذ عندهم يدا، و قد علمت أن اللّه ينزل بهم بأسه، و إن كتابى لا يغنى عنهم شيئا.

فصدقه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عذره، فقام عمر بن الخطاب و قال: دعنى يا رسول اللّه أضرب عنق هذا المنافق.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: و ما يدريك يا عمر، لعل اللّه اطّلع على أهل

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و (ط دار المعرفة) ص ۱۱ و عمدة القارى ج ۱۵ ص ۱۲ و راجع: الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۶۰ و البحار ج ۱۸ ص ۱۱۰ و صحيح البخارى ج ۴ ص ۳۹ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۳۶ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۵۵ و ج ۱۵ ص ۱۱ و تحفة الأحوذى ج ۹ ص ۱۴۱ و مسند بن أبى يعلى ج ۱ ص ۳۲۰ و تخريج الأحاديث ج ۳ ص ۴۴۹ و ۴۵۱ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۲۳ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۷۶ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۲۲۴ و المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسى ج ۵ ص ۲۹۳ و تفسير القرطبى ج ۱۸ ص ۵۱ و التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطى الكلبى ج ۴ ص ۱۱۲ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۷۰ و إمتاع الأسماع ج ۹ ص ۱۲۳ و ج ۱۳ ص ۳۷۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۷

بدر، فغفر لهم، فقال لهم: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم «۱».

و فى نص القمى: «و لكن أهلى و عيالى كتبوا إلى بحسن صنيع قريش إليهم، فأحببت أن أجازى قريشا بحسن معاشرتهم، فأنزل اللّه الخ ..» «۲».

و لفظ أبى رافع، فقال: يا رسول اللّه لا تعجل على، إنى كنت امرءا ملصقا فى قريش، و لم أكن من أنفسهم، و كان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم بها و أهليهم بمكة، و لم يكن لى قرابة، فأحببت إذ فاتنى ذلك من بينهم أن أتخذ فيهم يدا أحمى بها قرابتى. و ما فعلت ذلك كفرا بعد إسلام.

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۹۴ و ۹۵ عن مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۹ و ۲۷۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و مسند أبى يعلى ج ۱ ص ۳۱۸ و

۳۱۹ و ۳۲۱ و الدرر لابن عبد البر ص ۲۱۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۶ و تخريج الأحاديث و الآثار ج ۳ ص ۴۴۸ و جامع البيان للطبرى ج ۲۸ ص ۷۷ و أسباب نزول الآيات ۲۸۳ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۳۲۹ و راجع: تفسير السمرقندى ج ۳ ص ۴۱۳ و المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسى ج ۵ ص ۲۹۳ و زاد المسير ج ۸ ص ۳ و تفسير الرازى ج ۳۲ ص ۱۵۳ و التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطى الكلبى ج ۴ ص ۱۱۲ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۴۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۲ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۷ و السيرة الحلبى (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۲ و شرح إحقاق الحق ج ۳۱ ص ۷.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۲ و ج ۷۲ ص ۳۸۸ و التفسير الأصفى ج ۲ ص ۱۲۹۰ و التفسير الصافى ج ۵ ص ۱۶۱ و ج ۷ ص ۱۶۶ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۰ و تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۲۳۵ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۸

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «إنه قد صدقكم».

فقال عمر لحاطب: قاتلك اللّه!! ترى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يأخذ بالأنقاب و تكتب إلى قريش تحذرهم؟! دعنى يا رسول اللّه أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق ..

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ما يدريك يا عمر أن اللّه عز و جل اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»؟!

فاغر و رقت عينا عمر، و قال: اللّه و رسوله أعلم، حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۰ و ۲۱۱ و تفسير الرازى ج ۲۹ ص ۲۹۷ و ج ۳۲ ص ۱۵۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و ۷۶ و (ط دار المعرفة) ص ۱۲ و راجع:

المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و راجع: كتاب الأم للشافعى ج ۴ ص ۲۶۴ و المجموع للنووى ج ۱۹ ص ۳۴۱ و نيل الأوطار للشوكانى ج ۸ ص ۱۵۴ و ۱۵۶ و الإيضاح لابن شاذان ص ۵۰۷ و شرح الأخبار ج ۲ ص ۳۰۱ و البحار ج ۲۱ ص ۹۵ و مواقف الشيعة ج ۲ ص ۲۵۵ و كتاب المسند للشافعى ص ۳۱۶ و مسند أحمد ج ۱ ص ۸۰ و صحيح البخارى ج ۴ ص ۱۹ و ج ۵ ص ۸۹ و ج ۶ ص ۶۰ و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۶۸ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۹۷ و سنن الترمذى ج ۵ ص ۸۳ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۱۴۶ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۵۴ و ج ۱۷ ص ۲۴۷ و مسند الحميدى ج ۱ ص ۲۸ و السنن الكبرى ج ۶ ص ۴۸۷ و مسند أبى يعلى ج ۱ ص ۳۱۶ و ۳۲۱ و صحيح ابن حبان ج ۱۴ ص ۴۲۵ و معرفة السنن و الآثار ج ۷ ص ۱۰۲ و الدرر لابن عبد البر ص ۲۱۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۶ و تخريج الأحاديث ج ۳ ص ۴۴۸ و كنز العمال ج ۱۰-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۷۹

و أنزل اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِى سَبِيلِى وَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَ ما أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

- ص ۵۲۲ و ج ۱۴ ص ۶۹ و تفسير مجمع البيان ج ۹ ص ۴۴۶ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۱ و تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۲۳۶ و

أحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعى ج ۲ ص ۴۸ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۷۵ و ۷۷ و تفسير الثعلبى ج ۹ ص ۲۹۲ و أسباب نزول الآيات ص ۲۸۳ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۳۲۸ و ۳۲۹ و تفسير النسفى ج ۴ ص ۲۳۶ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۲۲۴ و المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسى ج ۵ ص ۲۹۳ و زاد المسير ج ۸ ص ۳ و تفسير القرطبى ج ۱۸ ص ۵۰ و التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطى الكلبى ج ۴ ص ۱۱۲ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۶۹ و ۳۷۰ و الدر المنثور ج ۶ ص ۲۰۳ و فتح القدير ج ۵ ص ۲۱۱ و تفسير الآلوسى ج ۲۸ ص ۶۶ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۴۲ و أسد الغابة ج ۱ ص ۳۶۱ و مناقب على بن أبى طالب «عليه السلام» للأصفهانى ص ۱۵۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۸ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۴۲ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۵۲۶ و ۵۲۷ و الوافى بالوفيات ج ۱۱ ص ۲۱۰ و البدآية و النهاية لابن كثير ج ۳ ص ۳۹۸ و ج ۴ ص ۳۲۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۰

كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ ما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ «۱»» «۲».

و نقول:

إن لنا هنا وقفات:

لعلها عدة رسائل:

قد يقال: إن نصوص الرواية المختلفة تشير إلى أن حاطبا قد كتب لقريش عدة رسائل، و لعل بعضها قد قصد به التعمية على الناس فيما لو انكشف الأمر، حيث يمكن لحامل الرسالة أن يظهر إحدى تلك الرسائل، فينصرف المفتشون عما سواها، و ربما تكون رسالة واحدة، ذكر كل راو بعض فقراتها، و اقتصر عليه.

و لعله كتب الرسالة على فترات، كما احتمله الحلبى «۳».

و إن كنّا لم نستطع أن نفهم معنى معقولا لهذا الاحتمال الأخير ..

غير أننا رغم معقولية سائر الاحتمالات نقول:

سيأتى: أن الأقرب هو أنه لم يرسل سوى رسالة واحدة، و هى تلك

---

(۱) الآيات ۱- ۴ من سورة الممتحنة.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۲ عن تفسير القمى ص ۶۷۴ و ۶۷۵ و (ط مؤسسة دار الكتاب- قم) ج ۱ ص ۱۱. و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و راجع: أغلب المصادر فى الهامش السابق.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۱

التى يعبر فيها حاطب عن عدم معرفته بمقصد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أنه يريد لهم أن يكونوا على حذر. و ستأتى مبررات ذلك عن قريب إن شاء اللّه تعالى.

مقدار الجعل على حمل الرسالة:

و نحن نشك فى أن يكون الجعل الـذى أعطاه حاطب لتلك المرأة لكى تحمل الرسالـة إلى مكة هو دينار واحد، أو نحو ذلك، فإنها قيمة زهيدة لا يرغب بها راغب، و لا سيما مع هذه الأخطار التى قد تتعرض لها.

إلا إذا فرض: أن تلك المرأة هى سارة التى قدمت من مكة، و تريد أن ترجع إلى بلدها .. أو أنها امرأة أخرى مضـطرة للسفر على كل حال، و قد أرادت أن تسدى هذه الخدمة للمشركين، و تستفيد بعض المال أيضا عن هذا الطريق.

هل نافق حاطب؟!:

و ذكر الحلبى: أن مراد عمر بقوله عن حاطب: قد نافق: أنه خالف الأمر، لا أنه أخفى الكفر، لقوله «صلى اللّه عليه و آله»: قد صدقكم، و لا تقولوا له إلا خيرا. و عليه يشكل قول عمر المذكور، و دعاؤه عليه بقوله:

قاتلك اللّه.

إلا أن يقال: يجوز أن يكون قول عمر له ذلك كان قبل قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ما ذكر «۱».

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و (ط دار المعرفة) ص ۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۲

غير أننا نقول:

إن ذلك لا يـدفع الإشـكال، فإن مخالفته الأمر لا توصف بأنها نفاق، فيبقى السؤال المذكور. إلا إن كان يريد أنه قد فعل فعل المنافق، من حيث إنه كان يظهر للمسلمين إخلاصه، و لكنه يفعل فى الباطن خلاف ما يظهره ..

و لكنه بعد انكشاف أمره قد صدق فى كلامه حين أخبرهم بالأسباب التى حملته على هذا الفعل النفاقى ..

المخبأ العتيد:

و يلاحـظ هنا: أن تلك المرأة قـد خبأت الكتاب فى شـعرها، و فتلت عليه قرونها. أو خبأته فى حجزتها، و هو معقـد السـراويل كما فى رواية أخرى ..

لأنهـا كـانت تـدرك تحرّج المسـلمين من النظر إلى شـعور النساء، أو من تجريـدهن بحيث يظهر لهم المخبأ فى معقـد السـراويل، لأن ذلك حرام شـرعا، و يفترض بهم أن يلتزموا بأحكام الشـرع، و حتى لو كشـفوا رأسـها، أو انكشف قهرا بسـبب حركـة عنيفـة، أو بريح شديدة، فإن ذلك لا يضر، لأن الكتاب كان فى داخل الشعر المفتول.

الفضل لعلى عليه السّلام:

و قـد كان الفضل لعلى «عليه السـلام» فى كشف أمر تلك المرأة. أما الـذين كانوا معه فقد أقنعهم قولها، و أرادوا تخلية سبيلها. بل إن الزبير حكم ببراءتها من هذا الأمر الذى انتدبهم إليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و لم يطالبوها بكشف رأسها، و لا بنقض شعرها المفتول ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۳

و قد اخطأوا فى ذلك من جهتين:

أولاهما: أنهم لم يراعوا أوامر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المسدد بالوحى الذى يريه الواقع كما هو.

الثانية: أن ظاهر حالها لا بد من أن يشى بلزوم الريبة بها لأن نفس المسالك التى سلكتها لا بد من أن تثير شكوكهم فى أمرها .. حتى لو لم يخبرهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بشىء.

و ذلك لأنها تركت الطرقات السهلة، و التى اعتاد الناس سلوكها، و اختارت السير فى القفار و الشعاب فترة طويلة، ثم عادت إلى الطريق فى «العقيق» ..

فأخذوها هناك، و كشف أمرها على «عليه السلام»، و لا يسلك هذه المسالك إلا هارب أو خائف، أو من يخفى شيئا خطيرا يريد ان ينفذه إلى بلاد أخرى.

الحرس على الطريق وشى بالخائن:

إن حاطب بن أبى بلتعة يوصى حاملة رسالته بأن لا تمر على الطريق، فإن عليه حرسا، فتركت الطريق و سارت فى القفار و الفجاج مقدارا طويلا، ثم عادت لتسلك الطريق فى منطقة «العقيق».

و من البديهى: أنه لا يمكنها الوصول إلى مكة بسلوك متاهات الصحارى و القفار، و ترك الجادة، لأن ذلك يعرضها لكثير من المفاجآت و الأخطار، بل هو يؤدى بها إلى الهلاك و البوار.

و لأجل ذلك أخذ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المسالك على كل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۴

سالك و وضع الحرس عليها، لأنه «صلى اللّه عليه و آله» يعلم: كل من تنكّب الطريق لا بد من أن يعود إليها و لو بعد حين.

رسالة تهديد أم تحذير؟!:

و قد ذكروا بعض النصوص لرسالة حاطب التى قد يقال: إنها أشبه بالتهديد منها بالإخبار لهم مما يراد بهم. ففيها: «أقسم باللّه لو سار إليكم وحده لنصره اللّه عليكم، فإنه منجز له ما وعده اللّه فيكم، فإن اللّه ناصره و وليه».

ثم يقال: لو صح أن هذا هو النص الذى كتبه إليهم حاطب لاستحق عليه المدح و الثناء، و التقدير، لا الملامة و التوبيخ .. و لكان ينبغى إنفاد الرسالة إليهم، و عدم مصادرتها.

غير أننا نقول:

إن هذه الكلمات لا تكفى لإعطاء هذا الانطباع، لأنها قد تكون لأجل التغطية على الخبر الأهم الذى أتحفهم به، أو يكون قد ساق هذه العبارات ليتذرع بها- لو انكشف الأمر- و يدّعى: أنه لا يقصد إلا بث الرعب و اليأس فى قلوب الأعداء، علما بأن ذلك لن يجديه نفعا بعد ما صرح لهم فى رسالته بما كان الرسول «صلى اللّه عليه و آله» قد حذّر الناس من إخبارهم به، و جعل الأرصاد على الطرقات، من أجل تلافى حصوله .. و بذلك يكون حاطب قد عرّض نفسه للإدانة على كل حال .. و جعلها فى موضع الخذلان و الخسران، و لا ينفعه المراء و الجدل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۵

دقة معلومات حاطب:

و نحن لا نستطيع أن نتقبل ما ورد فى بعض المصادر من أن حاطبا قد كتب لقريش: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خارج إليكم يوم كذا و كذا .. «۱».

و لا أن نقبل الرواية التى تقول: إنه كتب إليهم: إن رسول اللّه يريدكم فخذوا حذركم «۲».

و ذلك لسببين:

أحدهما: أن أحدا لم يستطع أن يعرف وجهة سير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حتى سار بجيشه مسافات طويلة كما ظهر فى جزء سابق حين الكلام حول سرية أبى قتادة إلى بطن إضم.

الثانى: أنه حتى لو علم حاطب بأن المقصود هو غزو مكة، و لكن من أين يستطيع تحديد يوم خروج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك الجيش، و أنه يوم كذا؟ فإن ذلك لا يتلاءم مع هذه السرّية الفائقة التى كان «صلى اللّه عليه و آله» يعتمدها.

و قد ظهرت الكثير من الدلائل و الشواهد على دقته البالغة فى مراعاتها و الحفاظ عليها، بحيث لا يستطيع حاطب و سواه أن يعلم بهذا التاريخ الدقيق.

---

(۱) إعلام الورى (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱ ص ۲۱۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۵ عنه.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۹۴ عن مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۹ و ۲۷۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۹۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و مصادر كثيرة تقدمت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۶

و الصحيح فى الأمر هو أنه كتب إليهم يقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد آذن بالغزو، إما إليكم أو إلى غيركم.

و قد أحب أن يخبرهم بذلك ليكونوا على حذر، لاحتمال أن يكون قصده إليهم.

خبر السماء:

و يأتى التأييد بالوحى الإلهى فى خصوص موضوع سرية التحرك و هدفه الأقصى ليبعث اليأس فى نفوس المنافقين، و المتزلفين، و الخانعين، و المتآمرين، و ليقول لهم: إنكم غير قادرين على اختراق حاجز الرقابة هذا، فإن المؤمنين حتى لو استنفدوا قدراتهم، فسيأتيهم المدد و التسديد و التأييد الإلهى، ليسد مواضع الخلل، و يحفظ المسيرة من دون أن يباشر أى تصرف قاهر لإرادات المعاندين و المتآمرين ..

و هذا ما حصل فعلا فى قضية حاطب بن أبى بلتعة، حيث لم يتدخل اللّه تعالى لمنع حاطب من التفكير فى مراسلة قريش، و لا من التخطيط، ثم التنفيذ، كما انه لم يتصرف فى إرادة المرأة حاملة الرسالة، و لا أعجزها عن التصرف، و لا قهرها على التزام طريق بعينها، بل هى اختارت طريقا و سلكته، و خططت لأمر، و نفذت خطتها ..

و لكنه أخبر نبيه بما جرى .. فتصرف «صلى اللّه عليه و آله» بطريقة من شأنها أن تؤدى إلى كشف المستور، و جنّب بذلك اهل الإيمان من الوقوع فى المحذور.

كما أن شعور أهل الإيمان بالتسديد و التأييد الإلهى لا بد من أن يقوى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۷

من عزيمتهم، و يشد من أزرهم، و يرسخ من يقينهم.

ألا يكفى على عليه السلام وحده؟!:

و قد يدور بخلد أحدهم سؤال يقول: ألم يكن يكفى أن يرسل عليا وحده لأخذ الكتاب من تلك المرأة، فلماذا أرسل معه آخرين،

مثل الزبير، و سواه حتى إن الأسماء قد تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة؟! مع أن حاملة الرسالة مجرد امرأة، لا حول لها و لا قوة و لا تحتاج إلى كل هذا العدد.

ألا يدلنا ذلك: على أن ثمة تصرفا فى الروايات بالتضخيم، و التهويل، لحاجة فى نفس الرواة قضيت؟!

إلا أن يقال: إنه «صلى اللّه عليه و آله» أرسلهم فرقا فى مسالك مختلفة حتى لا تفوتهم تلك المرأة.

و نجيب:

بأنه لا شك فى أن ثمة أهدافا أخرى تتجاوز موضع مصادرة الرسالة، و منع وصولها إلى قريش، و نستطيع أن نذكر من هذه الأهداف ما يلى:

أولا: إن الأمر لا ينحصر بمنع وصول هذه الرسالة إلى قريش، بل هو يتجاوز ذلك إلى إثارة جو من الرهبة يمنع أيا كان من الناس بالتفكير فى تسريب أية معلومة عن تحركات النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين إلى أى كان من الناس ..

فكان أن اختار «صلى اللّه عليه و آله» عدة أشخاص لهم خصوصيات و توجهات، و ارتباطات، و اهواء مختلفة، و متشعبة، ليروا جميعا بأم أعينهم صدق الوحى الإلهى، و ليأخذوا العبرة، و ينقلوها إلى القبائل و الأفراد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۸

الذين يعيشون فى أجوائهم، و لهم صلة بهم بنحو أو بآخر ..

ثانيا: إنه لو أرسل «صلى اللّه عليه و آله» أى واحد منهم سوى على «عليه السلام»، فسيرجع بخفى حنين، كما اظهرته الوقائع، حيث صدقوا تلك المرأة و هموا بالرجوع، و ستتمكن تلك المرأة من الإفلات، و ربما لم يمكن اللحاق بها، أو ربما يصعب العثور عليها إذا سلكت مسالك معينة ..

و فى ذلك تفريط ظاهر لا مجال للقبول به، و لا لتحمله ..

ثالثا: إنه لا بد من أن يعرف الناس جميعا مدى التفاوت فيما بين تلك الجماعة التى خدعت ببكاء تلك المرأة، و صدقتها فى إنكارها، حتى هموا بالرجوع عنها و بين على «عليه السلام»، و فى معرفته، و وعيه، و صحة تدبيره، و إيمانه و يقينه بما جاء به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و كيفية نظرته إلى الوحى الإلهى، و إلى النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»، و طبيعة تعامله معه، و مع أوامره، و أقواله، و إخباراته ..

و بذلك يظهر زيف ما يدّعيه الناس لغيره «عليه السلام» من مناوئيه، و مخالفيه، و حاسديه، أو ما يدّعيه هؤلاء لأنفسهم من مقامات و بطولات، و من خصائص و ميزات، و من جهاد و تضحيات، و ذلك لأنهم خالفوا صريح أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حين قال لهم: خذوه منها، و خلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها.

خذوه منها، فإن أبت فاضربوا عنقها:

و هذا الأمر الذى صدر من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لهم حول كيفية التعامل مع حاملة الرسالة لا يترك لهم أى مجال لتصديقها، أو توهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۸۹

براءتها مما نسب إليها، فضلا عن أن يهموا بالرجوع، لأن ذلك يتضمن تكذيب الوحى الإلهى، و الطعن بعصمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و التخطئة له ..

و إن الأمر بضرب عنقها لو أبت أن تعطيهم الكتاب يدل على أن حكم من يفشى سر المسلمين، و يصرّ على التآمر على رسول رب العالمين، هو القتل كائنا من كان، حتى لو كان امرأة ..

كما أن الأمر بتخلية سبيلها بعد اخذ الكتاب منها يتضمن إرفاقا بها، و عفوا عن جرمها، خصوصا مع محاولتها إنكار الرسالة، حتى إنها لم تعطهم إياها إلا بعد تهديد على «عليه السلام» لها ..

و القول بأنها إذا كانت لا تعلم بمضمون الرسالة فإنها تكون غير مشاركة فى الخيانة، غير مقبول، فإنها- على أقل تقدير- تحمل رسالة تتضمن أسرارا يراد إيصالها سرا للمشركين، و تعلم أن ظهور هذه الأسرار سيكون مضرا للمسلمين، حتى لو لم تعلم بتفاصيل مضمون الرسالة، و هذا يكفى لإدانتها.

الصلاة جامعة لماذا؟!:

و قد صرحت رواية المفيد: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أمر أن ينادى فى الناس: «الصلاة جامعة»، (و هو تعبير عن دعوة عامة لأمر مهم طارئ) فلما اجتمعوا فى المسجد حتى امتلأ بهم صعد النبى «صلى اللّه عليه و آله» المنبر، و أخذ الكتاب بيده، و طلب من صاحبه أن يعلن عن نفسه، و إلا فضحه الوحى ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۰

و السؤال هو: لماذا هذا الإعلان بالأمر؟ و بهذه الطريقة القوية و الواسعة؟

ألم يكن الأجدر أن يعالج الأمر بهدوء يحافظ به على ماء وجه حاطب؟!

و نقول فى الجواب:

إن الإعلان عن الموضوع بهذا النحو القوى كان ضروريا، و له أسباب و فوائد عديدة، نذكر منها ما يلى:

۱- إن هذه الطريقة من شأنها أن تعرّف الناس بهذا الأمر الخطير على أوسع نطاق، و قد كان هذا هو مطلوب له «صلى اللّه عليه و آله» لأسباب، ربما يتضح بعضها عن قريب ..

۲- إن ذلك يبقى هذا الخبر على درجة من السلامة و الصحة، و الوضوح فى أذهان الناس، و يمنع من تلاعب المتلاعبين فيه بالزيادة فيه تارة، و النقيصة أخرى، حسب الأهواء، و رياح السياسة، و المصلحة، فإن تناقل أمثال هذه الأخبار بصورة فردية أو جماعية بلا رقيب و لا عتيد سوف يمكّن أصحاب الأهواء من التحريف فيه، بما يخدم أهواءهم و مصالحهم و خططهم!!

۳- إن هذا الإعلان الواضح و الصريح قد وضع حدا أمام التكهنات و التساؤلات عن طبيعة الموقف الذى سيتخذه النبى «صلى اللّه عليه و آله» ممن أقدم على هذا العمل الخطير، كما أنه قد رسم للناس طريقة التعاطى معه، و منع من الإفراط و التفريط الذى قد تنشأ عنه إثارات غير مسؤولة، قد تضر فى مسار الأمور كما يرضاه اللّه و رسوله ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۱

۴- إن ذلك يبين لمن تسوّل له نفسه القيام بأمثال هذه التصرفات حجم الفضيحة التى ستواجهه، و سيكون ذلك مؤثرا فى الردع عن أى تصرف من هذا القبيل ..

۵- إن هذا التهديد بفضيحة الوحى لمن فعل ذلك، و لا يرضى بالإقرار و الاعتراف العلنى لا بد من أن يزيد من شعور الناس بالرقابة، و عدم القدرة على إخفاء أمرهم لو سولت لهم أنفسهم الدخول فى مغامرة كهذه ..

۶- إن الأمر لم يقتصر على مجرد توجيه اتهام قولى للفاعل، بل تعداه إلى تقديم الدليل الحسى على هذا الأمر، و هو الكتاب الذى أخذه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بيده و هو على المنبر، بحيث يراه كل أحد، فلا- تكهنات و لا- اجتهادات و لا- ظنون، و لا حدسيات، و لا مجال للوسوسات الشيطانية فى هذا الأمر ..

۷- إنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكتف بإظهار الكتاب ثم تحديد الفاعل، بل هو قد حمل الفاعل على أن يقر بنفسه بما فعل .. بصورة طوعية و هو يرتعد .. و ذلك بعد أن ظهر تردده فى البداية.

۸- إن نفس دفاع حاطب بن أبى بلتعة عن نفسه، قد أثبت الجريمة عليه، و لم تعد هناك أى فرصة للتأويل و الاحتمال و الاجتهاد، و استغلال الحدث فى اتجاه انحرافى يسىء إلى القضية بنحو أو بآخر ..

۹- إن اعتراف حاطب بما فعل، إنما جاء تحت وطأة الكشف الربانى لما حصل، حتى لقد حددت المرأة، و حدد موقعها، و أرسل الرجال فى طلبها، و لم يعد يمكن إخفاء أى شىء .. و ذلك لا يدل على عمق إيمان حاطب، بل هو يدل على هزيمته بعد أن أسقط فى يده ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۲

حاطب ينفى الشك و النفاق:

و قد رأينا: أن أول ما دفعه حاطب عن نفسه هو تهمة النفاق و الشك فى الدين، و تأكيد التزامه بإسلامه، و يقينه به ..

و لم يناقشه النبى «صلى اللّه عليه و آله» فيما ادّعاه من ذلك. بل هو قد سمع منه، ثم ساق الحديث معه فى اتجاه آخر ..

و من الواضح: أن النفاق هو التهمة الأقسى، و الأشرّ و الأضرّ بالنسبة لحاطب، لأنه كفر قوى و فاعل، يريد أن يلحق الضرر بالإيمان و بأهله، إما بأن يسقط دعوتهم بأساليب من الختل و الغدر و التخريب، أو يريد سلب المسلمين قدراتهم، و الاستئثار بها لنفسه ..

و هذا يمثل خطورة مباشرة و عملية و مؤثرة، لأنه كفر مهاجم يعمل بهدوء و أناة و طمأنينة بعد ان هيأ لنفسه موجبات ذلك، حين أظهر الإسلام و أبطن الكفر ..

و أما مجرد الشك فى الدين، فهو و إن كان كفرا أيضا، لكنه كفر مهزوم و راكد و ضعيف، يصارع الحقيقة فى داخل نفسه، و لا يقدر على تجاهلها و التخلص منها ..

و قد نفى حاطب عن نفسه الشك، كما نفى عنها النفاق أيضا ..

و لم يرد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يقف معه عند هذه النقطة و لا أن يناقشه فيها .. لأنه يريد أن يبقيه فى دائرة السيطرة، و يعطيه فرصة، و يفسح له المجال لإعادة ترتيب أوضاعه، فإن هذا المقدار من القبول مطلوب له «صلى اللّه عليه و آله» و لا يريد التفريط فيه .. و لذلك وجّه «صلى اللّه عليه و آله» الأنظار إلى تلمّس عذر حاطب فيما أقدم عليه. و سنرى أنه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۳

عذره أيضا ..

تهديد المتهم:

و عن تهديد على «عليه السلام» لتلك المرأة حاملة الرسالة، قد يقال:

كيف جاز لعلى «عليه السلام» أن يهدد إنسانا متهما لم تثبت إدانته بعد؟!

و يجاب: بأن إدانة تلك المرأة قد ثبتت بالوحى. و من أصدق من اللّه قيلا؟ و هو علام الغيوب؟! و العالم بما فى القلوب؟

و نحن نشك فى أنها لو استمرت على إنكارها فقد كان يجب على على «عليه السلام» أن يقتلها لسببين:

أحدهما: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى أمره بقتلها إن أبت تسليم الكتاب، لأن القتل هو حكم اللّه فى المحارب للّه و رسوله، و من يصر على إطفاء نور اللّه تبارك و تعالى ..

الثانى: إن تركها سوف يؤدى إلى تمكينها من إيصال الرسالة للأعداء، ليتمكنوا من ثم من إفشال خطة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أو من إيجاد متاعب و مصاعب كان المسلمون فى غنى عنها. و قد تنشأ عن ذلك خسائر كبرى فى أهل الإيمان، و ربما يؤدى

ذلك إلى إطالة أمد هيمنة حالة البغى و الاستكبار، و الظلم و التعدى على المستضعفين من النساء و الرجال، و الصبيان بصورة عامة.

و قد يعترض على ذلك: بأنه قد كان بإمكانهم أن يفتشوها تفتيشا دقيقا، و يأخذوا منها الكتاب، و لا تصل النوبة إلى القتل ..

و لكننا قلنا: إن الإصرار على حرب اللّه و رسوله، و إطفاء نور اللّه هو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۴

الذى جعلها تستحق القتل ..

و أما الكتاب فإن التفتيش عنه لا يكفى لحسم مادة الخطر فيه، إلا إذا كان العثور عليه حتميا، و ليس الأمر كذلك إذ هى قد تتمكن من إخفائه تحت حجر، أو مدر، أو بين أغصان الشجر، أو نحو ذلك .. ثم إنها بعد إطلاق سراحها تعود إليه، او تدل عليه من يأخذه و يوصله إلى من يتلهف عليه، و يتشوق إليه.

و لسنا بحاجة إلى التذكر: بأن هذه الإحتياطات من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لا تعنى أن جهة مسيره قد عرفت، بل هى تعنى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يرضى بتعريف قريش و غيرها من أعدائه بأصل خروجه من المدينة على هيئة الحرب، فإن ذلك يجعل الأعداء يحذرون لاحتمال أن يكونوا هم الذين يقصدهم.

كما أن نفس وجود أناس يوصلون للمشركين أخبار المسلمين مرفوض، حتى لو كانت تلك الخبار غير دقيقة أو خاطئة من أساسها.

ردها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ثم إن ما ورد فى بعض النصوص: من أنه «عليه السلام» قد رد حاملة الكتاب إلى رسول اللّه، لا يتلاءم مع أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأخذ الكتاب منها، ثم إطلاق سراحها.

إلا أن يقال: إنه قد يكون هناك خطأ فى الكتابة، فأراد الكاتب أن يكتب (ردّه) (أى الكتاب) إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فكتب ردها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۵

غير أننا نقول:

إنه يحتمل أن يكون «عليه السلام» قد ردها، لكى يمنعها من الوصول إلى مكة قبل حركة الجيش إليها، لكى لا تخبر أهل مكة شفاها بما رأته من اعداد و استعداد، كانت تحتمل أو تظن أنه لغزوهم.

فيكون المراد بإطلاق سراحها عدم المبادرة إلى قتلها، أو ضربها، أو سجنها، لأن المطلوب هو مجرد تعطيل حركتها إلى مكة برهة يسيرة، يزول فيها الداعى إلى هذا التعطيل.

حاطب يلتفت إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله ليرقّ له:

و قد صرحت الرواية عن الشيخ المفيد، و غيره: بأن حاطبا صار يلتفت إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» ليرق له .. و ذلك حين كانوا يدفعون فى ظهره حتى أخرجوه من المسجد ..

فحاطب إذن لم يكن لديه أى أمل بغير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو حتى حين ظهرت خيانته لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه، لم يكن يتوقع النصر من قريب رحيم، و لا من صديق حميم، و لا من حليف جديد و لا قديم.

و هذا يؤكد على: أن ثمة صورة جليلة و جميلة قد انطبعت للنبى «صلى اللّه عليه و آله» فى نفسه و فى نفس كل من عرف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن قرب، و استقرت فى عمق وجدانه، و هى صورة قد ظهرت معالمها فى آيات قرآنية كريمة، فى أكثر من

مناسبة، و من ذلك قوله تعالى:

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۶

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «۱».

و هـذا من أروع الأمثلـة على طبيعـة العلاقـة بين القائـد و رعيته، حيث يبلغ الأمر فى صـفائها و نقائها، و سـلامتها و صـدقها حدا تكون وسيلة المجرم و المسيء، و شافعه إليه، هو نفس ذلك الذى كانت الإساءة إليه، و وقعت الجريمة عليه ..

قيمة العفو .. و الاستغفار:

و تتجلى له قيمـة الإسـتغفار، و ينعم بالعفو الرحيم من النبى الكريم «صـلى اللّه عليه و آله»، و يأتيه ما أمّل، و يهب النبى الأكرم «صـلى اللّه عليه و آله» لحاطب بن أبى بلتعة جرمه، رغم خطورته، و يجعل قيمة هذا العفو:

أن يستغفر حاطب ربه، و أن لا يعود لمثل ما فعل.

أى أنه «صـلى اللّه عليه و آله» لم يفرض عليه غرامـة، و لا مارس فى حقه تعزيرا، و لا وجه إليه أية كلمة إهانة، و لا أمر بالتضـييق عليه فى سـجن، و لا فى غيره، كما أنه لم يفرض عليه الإقامـة فى بلـد بعينه، و لا حد من حرية حركته، و لا منع الآخرين من التعاطى معه، و لا .. و لا ..

بل أراد أن لا تزيـد عقوبته على إخراجه من المسـجد و هى عقوبـة تكاد تكون رمزيـة، من حيث إنها تعبر عن إبعاد محدود عن ساحة الرضـا، مـا دام أن ما فعله حاطب كان سـيؤدى إلى الإضـرار بأهل الإيمان. و هو قـد ميّز نفسه عنهم، و أراد أن يكون هو فى معزل عن أجوائهم، و لا يريد أن يناله ما

---

(۱) الآية ۱۲۸ من سورة التوبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۷

ينالهم. لقد أرادها رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» عقوبة إصـلاحية تربوية، مضـمونها ترميم علاقته باللّه، بالتوبة و الاسـتغفار، باعتبار أن الجرأة إنما كانت عليه تبارك و تعالى ..

فإذا استطاع أن يصلح سريرته، و أن يرضى ربه، فإنه يكون قد بلغ الغاية التى يريد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يبلغه إياها.

عذر حاطب:

و عن اعتذار حاطب عما صدر منه نقول: إنه أراد أن يتخذ بما صنعه يدا لدى أهل مكة ليحفظ بذلك أهله، إذ ليس له عشيرة تمنعه .. و لم يناقشه النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و لا اعترض عليه أحد من المسلمين فى ذلك .. لكن هذا الانصراف عن المناقشة لا يعنى أنه منطق سليم و مقبول .. بل هو انصراف إرفاقى بالدرجة الأولى، فلاحظ ما يلى:

۱- إن وجود أهله فى مكـة لا- يحتم عليه القيـام بعمـل خيـانى، يلحق الضـرر بالكيان الإسـلامى كله، و يوجب إفساد التـدبير النبوى، و إضعاف هيبته «صلى اللّه عليه و آله» لدى الأعداء، و فتح أبواب التجريح و التشكيك لأهل النفاق، و لا يجوز لأحد فى أى ظرف كان أن يمكنهم من إثارة الشكوك بسلامة المسيرة، و فى حسن السياسة، و صواب الرأى النبوى الشريف.

۲- إن الضـرر إذا توجه لإنسان مّا، فإن بإمكانه أن يدفعه عن نفسه، و لكن ليس له أن يقذف به على غيره، فلو أراد أسد أن يدخل بيتا

و يفترس شخصا، فإن بإمكانه أن يتحرز منه بالطريقة التى تدفعه عنه. و ليس له أن يدخله بيت جاره، ليكون جاره هو الضحية ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۸

۳- لقد كان هناك الكثيرون من الضعفاء الذين لم يكن لهم عشائر تمنعهم، و قد تعرضوا للعذاب على يد فراعنة قريش حتى قتل بعضهم، و منهم آل ياسر، و لم يجوّز لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و لا- خطر فى بالهم أن يحملوا جلاديهم على التوجه بالعذاب إلى غيرهم من المؤمنين ..

۴- من الذى قال: إن قريشا كانت تنوى إلحاق الأذى بأهل حاطب فإن ذلك مجرد و هم وقع فيه حاطب، رغم أنه و هم علّق حصوله على أمر تقديرى افتراضى، و هو أن تكون لقريش الدائرة على المسلمين، و ليس ثمة ما يشير إلى حصول أمر من هذا القبيل، بل الدلائل تشير إلى عكس ذلك تماما.

و حتى لو حصل ذلك، فإن حاطبا لا يستطيع أن يجزم بتعرض أحد من أهله لأى سوء.

۵- ألم يفكر حاطب فى أن ما فعله سوف يؤدى إلى زيادة القتل فى صفوف أهل الإيمان؟ فكيف فرط بالنبى «صلى اللّه عليه و آله»، و بكل أهل الإيمان من أجل حفظ بعض أهله ممن هم على الشرك بحسب الظاهر؟!

و حتى لو كانوا مسلمين، فإن إلحاق الأذى بهم يبقى فى دائرة الاحتمال، بينما هو يقدم لقريش معلومات من شأنها أن تمكنها من أن تلحق الخسائر بالمسلمين بصورة قطعية و يقينية.

للنبى صلّى اللّه عليه و آله أن يعفو عن حاطب:

إننا لسنا بحاجة إلى الاستدلال على مشروعية العفو عن حاطب بأى دليل، بل نحن نستدل على ذلك بنفس العفو الذى صدر عن النبى «صلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۱۹۹

اللّه عليه و آله» فى حق هذا الرجل .. فمنه «صلى اللّه عليه و آله» التشريع، و إليه يرجع فى معرفة الأحكام، و قوله و فعله و تقريره «صلى اللّه عليه و آله» حجة و دليل ما بعده دليل ..

غير أن البعض قد يتساءل عن إمكان العفو عن حاطب فى حين أن جرمه يرتبط بأشخاص آخرين و هم المسلمون، و أهل الإيمان ..

و الجواب:

أولا: إن جرم حاطب يرتبط أولا و بالذات بالسياسة النبوية العامة، و بقرار الحرب و السلم، و لا يرتبط بحق شخصى لأحد من الناس ..

ثانيا: لو فرضنا: أن جرمه يرتبط بحق شخصى لبعض الأفراد، فإن اللّه تعالى قد جعل الولاية لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على الناس كلهم، فقال: النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .. «۱».

عمر: مرنى بقتله:

قد ذكرت فى العديد من الموارد فى تاريخ الإسلام، و فيها هذا المورد بالذات: أنه قد كان من عادة عمر بن الخطاب أن يصدر حكمه على الأشخاص، ثم يطلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يأمره بتنفيذه ..

فكم من مرة ينبرى فيها ليقول لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: دعنى أقتله يا رسول اللّه ..

و اللافت هنا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يستجب له و لو لمرة واحدة فى كل تلك المناسبات الكثيرة .. الأمر الذى يعنى كثرة خطأ هذا

(۱) الآية ۶ من سورة الأحزاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۰

الرجل فى معرفة الحكم الشرعى، أو فى معرفة المصلحة فى الشأن العام، فى حين أن هذه الأمور تمس حياة الناس و مصيرهم.

و هذا يجعلنا نتساءل عن حاله بعد توليه الخلافة لأكثر من عقد من الزمن: كم أخطأ فى أحكامه التى كان يصدرها، و لم يصب الحكم الشرعى فيها، أو أنه لم يصب وجه المصلحة فى الشأن العام؟!

لا ندرى!!

و لعل الفطن الذكى يدرى!!

منقبة عظيمة لحاطب:

قال الحلبى: «.. و فى قوله: عدوى و عدوكم منقبة عظيمة لحاطب ..

بأن فى ذلك الشهادة له بالإيمان» «۱».

غير أننا نقول:

أولا: إن اللّه سبحانه قد خاطب من أظهر الإسلام فى زمن الرسول «صلى اللّه عليه و آله» بقوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ .. «۲».

ثانيا: إنه لا مانع من أن يعود الذى آمن إلى الكفر، كما هو الحال فى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح، و طليحة بن خويلد، و غيرهما ..

و قد صرح القرآن الكريم بذلك أيضا، فقال: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ «۳».

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و (ط دار المعرفة) ص ۱۳.

(۲) الآية ۱۳۶ من سورة النساء.

(۳) الآية ۱۳۷ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۱

و قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ «۱».

ثالثا: قد صرح القرآن الكريم بأن من يتولى اليهود و النصارى فهو منهم، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ «۲».

و هذا تقريبا هو نفس حال حاطب، و هو نفس ما اعتذر به، فراجع الكلمات المنقولة عنه فيما تقدم ..

رابعا: إن نفس الآية أو الآيات فى سورة الممتحنة، و التى ذكروا أنها نزلت فى حاطب، قد صرحت: بأن من يفعل فعل حاطب فقد ضل سواء السبيل .. ثم تواصل الآيات الشريفة بياناتها، و تضرب الأمثال المبينة لكيفيات التعامل مع الكفار، لتختم بالقول: .. وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ «۳».

خامسا: إن مما يدل على أن حاطبا قد ارتكب جرما: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر بإخراجه، و لم يمنع الناس من التعامل معه بخشونة، حيث صاروا يدفعونه فى ظهره حتى أخرجوه، و هو يلتفت إلى النبى «صلى

(۱) الآية ۵۴ من سورة المائدة.

(۲) الآيتان ۵۱ و ۵۲ من سورة المائدة.

(۳) الآية ۹ من سورة الممتحنة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۲

اللّه عليه و آله» ليرق له ..

ثم إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد صرح بسوء فعل حاطب، و بجرمه، حين قال له: «قد عفوت عنك، و عن جرمك، فاستغفر ربك، و لا تعد لمثل ما جنيت ..».

فلماذا يحرص الحلبى على اعتبار هذا الجرم فضيلة لحاطب لمجرد كون الخطاب فى الآية الكريمة قد وجه إلى المؤمنين؟!

سادسا: إن الآية إنما جاءت على سبيل الإرشاد للمسلمين إلى سوء هذا الفعل، و تحذيرهم من الوقوع فيه .. مع غض النظر عن الأحكام التى تنشأ عنه، فلو أن أحدا تعمد الوقوع فيه، فالآيات لم تبين حال هذا الشخص، و أنه هل يبقى على حال الإيمان، أو أنه يكفر بذلك.

لعل اللّه اطلع على أهل بدر!!:

و أما قول النبى «صلى اللّه عليه و آله» لعمر: لعل اللّه اطلع على أهل بدر، فقد جاء ردا على عمر بن الخطاب، و ردعا له عن أن يقول شيئا بغير علم. أى أن مضمون هذه الكلمة صحيح فى نفسه، إذ لم يكن يحق لعمر أن يخبر عما فى الضمائر، و ما تكنّه السرائر.

و لكن ذلك لا يعنى أن ذلك قد حصل فعلا، فإن صدق الشرطية لا يلزم منه صدق وقوع طرفيها ..

و لكن أهل الحقد و الشنآن قد حاولوا أن يستفيدوا من هذه الكلمة فى اتجاهين:

أحدهما: ادّعاء تحقق المغفرة لأهل بدر فعلا، و أن كل ما صدر و يصدر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۳

منهم مغفور لهم، مع أن هذه الكلمة لا تفيد ذلك .. و ذلك للأمرين التاليين:

أولا: لما ذكرناه آنفا من أن المقصود: هو نفى أن يكون عمر قد اطّلع على الغيب، و علم بما أجراه اللّه لأهل بدر، و مارسه فى حقهم. فلعله قد غفر لهم صغائر ذنوبهم، مكافأة لهم على جهادهم و تضحياتهم ..

و لعل هذا الذنب من حاطب لم يكن من الكبائر، بسبب قصوره عن فهم حقيقة الأمور، و توهمه أن ذلك لا يخل بإيمانه، و لا يضر بالمسلمين.

و لذلك صدقه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و قال: «صدق لا تقولوا له إلا خيرا».

و لكن صدقه هذا لا يعنى أنه لم يكن مستحقا للعقوبة بسبب إقدامه على أمر معلوم السوء لدى كل أحد.

ثانيا: إن المراد بهذه الكلمة: هو أن يستأنفوا عمل الخير، و أن يزدادوا منه، فإن سيآتهم السابقة قد محيت .. و أصبح مصيرهم مرهونا بما يكون منهم فى المستقبل ..

ثانيهما: إن أولئك الحاقدين قد اتخذوا ذلك ذريعة للطعن فى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد روى البخارى فى صحيحة، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن حصين، عن فلان، قال: تنازع أبو عبد الرحمن و حبان بن عطية، فقال أبو عبد الرحمن لحبان: لقد علمت الذى جرأ صاحبك على الدماء، يعنى عليا.

قال: ما هو؟ لا أبا لك.

قال: شىء سمعته يقوله.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۴

قال: ما هو؟

قال: بعثنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و الزبير، و أبا مرثد، و كلنا فارس.

قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج. قال أبو سلمة: هكذا قال أبو عوانة: حاج. فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين فأتونى بها.

فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» تسير على بعير لها، و كان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إليهم. فقلنا: أين الكتاب الذى معك؟

قالت: ما معى كتاب.

فأنخنا بها بعيرها، فابتغينا فى رحلها، فما وجدنا شيئا، فقال صاحبى:

ما نرى معها كتابا.

فقلت: لقد علمنا ما كذب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم حلف على: و الذى يحلف به، لتخرجن الكتاب أو لأجردنك.

فأهوت إلى حجزتها و هى محتجزة بكساء، فأخرجت الصحيفة، فأتوا بها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال عمر: يا رسول اللّه، قد خان اللّه، و رسوله، و المؤمنين، دعنى فأضرب عنقه. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۱ ۲۰۴ لعل الله اطلع على أهل بدر!!: ..... ص : ۲۰۲

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: يا حاطب، ما حملك على ما صنعت؟

قال: يا رسول اللّه، ما لى أن لا أكون مؤمنا باللّه و رسوله، و لكنى أردت أن يكون لى عند القوم يد يدفع بها عن أهلى و مالى. و ليس من أصحابك

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۵

أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع اللّه به عن أهله و ماله.

قال: صدق. لا تقولوا إلا خيرا.

قال: فعاد عمر، فقال: يا رسول اللّه، قد خان اللّه و رسوله و المؤمنين، دعنى فلأضرب عنقه.

قال: أو ليس من أهل بدر؟ و ما يدريك لعل اللّه اطّلع عليهم، فقال:

اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة.

فاغر و رقت عيناه، فقال: اللّه و رسوله أعلم

قال أبو عبد اللّه: «خاخ» أصح، و لكن كذلك قال أبو عوانة: حاج.

و حاج تصحيف. و هو موضع. و هشيم يقول: خاخ.

و نقول:

إن لنا هنا وقفات هى التالية:

إصرار عمر لماذا؟!:

إن أول ما يستأثر بنظر القارئ الكريم فى رواية البخارى المتقدمة، مبادرة عمر بن الخطاب إلى الحكم على حاطب باستحقاق القتل، و الطلب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أن يدعه يضرب عنقه، على اعتبار أنه قد خان اللّه و رسوله.

و لكن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يبال بكلام عمر، و وجه كلامه إلى حاطب، يسأله عن سبب إقدامه على ما أقدم عليه،

فأجابه حاطب بما تقدم.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: صدق، لا تقولوا إلا خيرا ...

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۶

و لكن عمر بن الخطاب رغم أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يجبه فى المرة الأولى. و رغم أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد حكم بصدق حاطب. و رغم أنه «صلى اللّه عليه و آله» أمرهم أن لا يقولوا إلا خيرا.

نعم، رغم ذلك كله يعود عمر فيقول: يا رسول اللّه، قد خان اللّه و رسوله، و المؤمنين، دعنى فلأضرب عنقه ..

فجاءه الجواب الصريح و الواضح من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليخطّئه فى تصرفه هذا، و قد شرحنا هذا الجواب فيما سبق.

الجرأة على الدماء:

و أما بالنسبة لما زعموه: من أن ما جرى فى قصة حاطب هو الذى جرأ عليا «عليه السلام» على الدماء، فهو كلام باطل، من غر حاقد جاهل، إذ قد تناسى هؤلاء الحقائق التالية:

أولا: إن عليا «عليه السلام» لم يكن هو المبادر إلى الحرب، لا فى حرب الجمل، و لا فى صفين، و لا فى النهروان، بل الناكثون هم المبادرون لشن حرب الجمل، بقيادة أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر، و معها طلحة و الزبير.

ثم شنها القاسطون بقيادة معاوية فى حرب صفين ..

ثم كان خروج المارقين عليه فى النهروان.

فهى حروب مفروضة و باغية على الخليفة الشرعى. و قد حاول «عليه السلام» إقناعهم بالعودة إلى الشرعية، و لزوم الطاعة، و لكن لا حياة لمن تنادى، وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۷

يَهْتَدُونَ «۱».

و صدق اللّه و رسوله حين أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» عليا «عليه السلام» بأنه يقاتل بعده الناكثين، و القاسطين، و المارقين «۲».

---

(۱) الآية ۲۴ من سورة النمل.

(۲) راجع على سبيل المثال المصادر التالية: مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۳۵ و ج ۷ ص ۲۳۸ و ج ۵ ص ۱۸۶ و ج ۹ ص ۱۱۱ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۳۹، و تلخيص الذهبى بهامشه، و أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج ۲ ص ۲۹۷ و ترجمة الإمام على «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى) ج ۳ ص ۱۷۲ و ۱۷۰ و ۱۶۹ و ۱۶۵ و ۱۶۳ و ۱۶۲ و ۱۶۰ و ۱۶۱ و ۱۵۸ و ۱۵۹ و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۲۱۳ و ۲۱۴ و تاريخ بغداد ج ۱۳ ص ۱۸۶ و ج ۸ ص ۳۴۰ و ۳۴۱ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۲۷۸ و راجع ص ۲۸۷ و ۳۱۸ و ۳۴۳ و ۳۴۴ و ج ۱۵ ص ۹۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۳ ص ۲۰۷ و ۳۴۵ و ج ۴ ص ۲۲۱ و ۴۶۲ و ج ۱۸ ص ۲۷ و ج ۶ ص ۱۳۰ و ج ۱۳ ص ۱۸۳ و ۱۸۵ و ج ۱ ص ۲۰۱ و المناقب للخوارزمى ص ۱۲۵ و ۱۰۶ و ۲۸۲ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۰۶ و ۲۰۷ و ۳۰۵ و ۳۰۴ و ج ۶ ص ۲۱۷ و فرائد السمطين ج ۱ ص ۳۳۲ و ۲۸۵ و ۲۸۳ و ۲۸۲ و ۲۸۱ و ۲۸۰ و ۲۷۹ و ۱۵۰ و مروج الذهب ج ۲ ص ۴۰۴ و المحاسن و المساوئ ج ۱ ص ۶۸ و الغدير و ج ۳ ص ۱۹۲ و ۱۹۴ و ج ۱ ص ۳۳۷ و ذخائر العقبى ص ۱۱۰ عن الحاكمى و الرياض النضرة ج ۳ ص ۲۲۶ و كفاية الطالب ص ۱۶۸ و ۱۶۹ و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ۵ ص ۴۵۱ و ۴۳۵ و ۴۳۷ و ج ۴ ص ۲۴۴ و لسان الميزان ج ۲ ص ۴۴۶ و ج ۶ ص ۲۰۶ و ميزان الاعتدال ج ۱ ص ۱۲۶ و ۱۷۴ و ينابيع المودة ص ۱۰۴ و ۱۲۸ و ۸۱ و النهاية فى اللغة ج ۴ ص ۱۸۵ و لسان العرب ج ۲ ص ۱۹۶ و ج ۷ ص ۳۷۸ و تاج العروس ج ۱ ص ۶۵۱ و ج ۵ ص ۲۰۶

و نظم درر السمطين ص ۱۳۰-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۸

ثانيا: إن أبا بكر قد قاتل الذين لم يعترفوا بخلافته، و لم يعطوه زكاة أموالهم، و قالوا: إنهم سوف يعطونها لفقرائهم «۱».

و قد قتلهم رغم معارضة الصحابة له، بما فيهم عمر بن الخطاب «۲».

و هو القائل: لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم أو لجاهدتهم على منعه «۳».

- و أسد الغابة ج ۴ ص ۳۳ و الجمل ص ۳۵ و الإفصاح فى إمامة على بن أبى طالب ص ۸۲ و إحقاق الحق ج ۶ ص ۳۷ و ۵۹ و ۷۹ و ج ۵ ص ۷۱ عن مصادر كثيرة تقدمت، و عن: تنزيه الشريعة المرفوعة ج ۱ ص ۳۸۷ و مفتاح النجا ص ۶۸ مخطوط و أرجح المطالب ص ۶۰۲ و ۶۰۳ و ۶۲۴ و موضح أوهام الجمع و التفريق ج ۱ ص ۳۸۶ و شرح المقاصد للتفتازانى ج ۲ ص ۲۱۷ و مجمع بحار الأنوار ج ۳ ص ۱۴۳ و ۱۹۵ و شرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدى ص ۲۰۹ مخطوط و الروض الأزهر ص ۳۸۹.

(۱) راجع: المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۴۳ و كنز العمال ج ۶ ص ۵۳۸.

(۲) مسند أحمد ج ۱ ص ۳۵ و المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۴۳ و ج ۶ ص ۶۷ و ج ۱۰ ص ۱۷۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۷۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۸۶ و أعيان الشيعة ج ۶ ص ۲۹۲ و الأحكام لابن العربى ج ۱ ص ۵۷۵ و ج ۲ ص ۴۱۶.

(۳) بدائع الصنائع لأبى بكر الكاشانى ج ۲ ص ۳۵ و صحيح مسلم باب ۸ ج ۱ ص ۵۱ و (ط دار الفكر) ج ۱ ص ۳۸ و النص و الإجتهاد ص ۱۰۹ عنه و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۱۵۳ و ۲۰۹ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۹۲ و ج ۳ ص ۲۴۱ و تاريخ خليفة بن خياط ص ۶۴ و رياض الصالحين للنووى ص ۵۰۲ و المواقف للإيجى ج ۳ ص ۶۵۱ و نصب الراية ج ۴ ص ۲۲۵ و كنز العمال ج ۵ ص ۶۶۰ و ۶۶۲ و ۷۱۹ و ج ۶ ص ۵۲۷ و ۵۳۱ و ج ۱۲ ص ۴۹۴ و فيض القدير ج ۲ ص ۲۳۹ و جامع البيان للطبرى ج ۲۴ ص ۱۱۷-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۰۹

و قد جرى على مالك بن نويرة و قومه ما هو معروف، فقد قتلهم خالد بعد الأمان، و زنى بامرأة مالك فى نفس ليلة قتله «۱».

- و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۳۱ و ۱۰۷ و تفسير الثعلبى ج ۸ ص ۲۸۶ و أحكام القرآن لابن عربى ج ۲ ص ۴۱۶ و ۵۷۵ و مواقف الشيعة ج ۱ ص ۲۴ و كتاب المسند للشافعى ص ۲۰۸ و صحيح البخارى ج ۸ ص ۱۴۱ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۳۴۷ و سنن الترمذى ج ۴ ص ۱۱۷ و سنن النسائى ج ۵ ص ۱۵ و ج ۷ ص ۷۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۸ ص ۱۷۶ و ج ۹ ص ۱۸۲ و عمدة القارى ج ۲۵ ص ۳۰ و المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۴۴ و السنن الكبرى للنسائى ج ۲ ص ۸ و ۲۸۰ و مسند أبى يعلى ج ۱ ص ۶۹ و صحيح ابن حبان ج ۱ ص ۴۵۱ و معرفة السنن و الآثار ج ۷ ص ۱۰۹ و الإستذكار لابن عبد البر ج ۳ ص ۲۱۳ و الفايق فى غريب الحديث ج ۲ ص ۳۸۸ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۳ ص ۱۱۱ و ج ۷ ص ۵۹۵ و ۵۹۶ و راجع:

مقارنة الأديان للدكتور أحمد الشلبى ص ۲۸۶ و المغنى لابن قدامة ج ۲ ص ۴۳۴ و ۴۳۷ و الشرح الكبير ج ۲ ص ۴۳۴ و ۶۷۱ و نيل الأوطار ج ۱ ص ۳۶۶ و فقه السنة للسيد سابق ج ۱ ص ۳۳۴ و الإيضاح لابن شاذان ص ۱۳۲ و شرح الأخبار ج ۱ ص ۳۶۴ و الفصول المختارة للشريف المرتضى ص ۱۲۰ و الطرائف لابن طاووس ص ۴۳۶ و ذخائر العقبى ص ۹۷ و الصوارم المهرقة للتسترى ص ۸۶ و ۱۲۱ و البحار ج ۱۰ ص ۴۳۶ و ج ۳۰ ص ۳۵۱ و خلاصة عبقات الأنوار ج ۹ ص ۲۹۹ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۱۶۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۹ ص ۱۳۴.

(۱) راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۱۰ و وفيات الأعيان ج ۶ ص ۱۵ و قاموس الرجال ج ۴ ص ۱۴۶ و ۱۴۷ عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۲۷۸ و ۲۷۹ و (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۲ ص ۵۰۴ و الغدير ج ۷ ص ۱۵۹ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص

۲۰۴- ۲۰۶ و النص و الإجتهاد ص ۱۱۹ و ۱۲۳ و عن أسد الغابة ج ۴ ص ۲۹۵ و ۲۹۶ و معجم البلدان ج ۱ ص ۴۵۵ و عن البداية و النهاية ج ۶-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۰

و قد أصر عمر على معاقبة خالد، و قال له: لأرجمنك بأحجاركَ «۱».

و لكن أبا بكر رفض ذلك، و أطلق كلمته المعروفة: «تأول فأخطأ» «۲».

- ص ۳۵۴ و ۳۵۵ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۷۳ و البحار ج ۳۰ ص ۴۷۶ و ۴۷۷ و ۴۹۱ و ۴۹۳ و الثقات ج ۲ ص ۱۶۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۲۷۴ و عن الإصابة ج ۲ ص ۲۱۸ و ج ۵ ص ۵۶۰ و ۵۶۱ و الإستغاثة ج ۲ ص ۶ و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۴۲ و ۴۳ و بيت الأحزان ص ۱۰۴.

(۱) النص و الإجتهاد ص ۱۲۵ و فى هامشه عن: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۱۰ و تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۵۸ و الإصابة ج ۳ ص ۳۳۶ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۲۸۰ و (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۲ ص ۵۰۴.

و راجع: نسب قريش ص ۳۰۱ و البحار ج ۳۰ ص ۴۷۷ و ۴۹۲ و الغدير ج ۷ ص ۱۵۹ عن الطبرى، و شرح النهج ج ۱۷ ص ۲۰۶ و أسد الغابة ج ۴ ص ۲۹۵ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۳۵۸ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۳ ص ۳۶ و راجع: البداية و النهاية ج ۶ ص ۳۵۵ و إمتاع الأسماع ج ۱۴ ص ۲۴۰ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۴۳۲ و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۴۳.

(۲) وفيات الأعيان ج ۶ ص ۱۵ و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۵۸ و روضة المناظر لابن الشحنة (مطبوع بهامش الكامل فى التاريخ) ج ۷ ص ۱۶۷ و الكامل فى التاريخ (ط دار صادر) ج ۳ ص ۴۹ و ج ۲ ص ۳۵۸ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱ ص ۱۷۹ و تاريخ الأمم و الملوك (ط ليدن) ج ۴ ص ۱۴۱۰ و (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۲ ص ۵۰۳ و البداية و النهاية ج ۶ ص ۳۲۳ و البحار ج ۳۰ ص ۴۹۲ و أسد الغابة ج ۴ ص ۲۹۵ و إمتاع الأسماع ج ۱۴ ص ۲۳۹ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۳۵۹ و راجع: البداية و النهاية ج ۶ ص ۳۵۵ و الغدير ج ۷ ص ۱۶۰ عن تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۵۸ و ص ۱۶۱ عن تاريخ الخميس ج ۲ ص ۲۳۳ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۳ ص ۳۷ وفيات الوفيات ج ۲ ص ۲۴۳-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۱

لقد حصل كل هذا، رغم أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم ينص على خلافة أبى بكر، و لكنه نص على إمامة و خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» من بعده، و بايعه الناس بأمره «صلى اللّه عليه و آله» فى يوم الغدير ..

كما أن البيعة لأبى بكر قد اكتنفتها عقبات كبيرة، لم يستطع أبو بكر أن يتغلب عليها إلا بالهجوم على بيت فاطمة الزهراء «عليها السلام»، و ضربها، و إسقاط جنينها و .. و .. الخ .. ثم استشهدت متأثرة بما جرى عليها «صلوات اللّه و سلامه عليها» «۱». و ذلك بعد استقدام عدة ألوف من حملة السلاح إلى المدينة، ليقاتلوا من يرفض البيعة لأبى بكر، و ليستخرجوا الناس من بيوتهم لحملهم على هذه البيعة جبرا و قهرا «۲».

فما الذى جرأ أبا بكر على الدماء يا ترى؟! و لماذا لا يسجلون هذه الملاحظة عليه، فإنه أولى بها من على «عليه السلام»؟!

ثالثا: إن كان تهديد على «عليه السلام» لحاملة الرسالة بالقتل إن لم تظهر الرسالة جرأة على الدماء، كما يدّعيه هؤلاء السحرة، فإن المتجرئ على الدماء فى الحقيقة- حسب منطقهم- هو رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه، لأنه هو الذى أمرهم بقتلها إن لم تعطهم الرسالة ..

- و إمتاع الأسماع ج ۱۴ ص ۲۳۹ و مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۶۶۵ و كنز العمال ج ۵ ص ۶۱۹ و تاريخ خليفة بن خياط ص ۶۸ و

تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۲۵۶ و الإصابة ج ۵ ص ۵۶۱.

(۱) راجع كتابنا: مأساة الزهراء «عليها السلام» بمجلديه الأول و الثانى.

(۲) راجع كتابنا: مختصر مفيد ج ۵ ص ۶۲- ۶۷ تحت عنوان: «السقيفة إنقلاب مسلح».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۲

رابعا: لماذا لا يكون المتجرئ على الدماء هو عمر بن الخطاب نفسه، فإنه هو الذى قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: مرنى بقتله، فإنه قد نافق.

و قد طلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» مثل هذا الطلب فى العديد من المناسبات، و بالنسبة للعديد من الناس، كما أشرنا إليه فيما سبق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۳

الفصل السادس: على طريق مكة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۵

إستخلف على المدينة و خرج!!:

قيل: إنه «صلى اللّه عليه و آله» استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر «۱».

و قيل: استخلف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على المدينة أبارهم كلثوم بن حصين الغفارى «۲».

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۷ عن إعلام الورى (ط مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث) ج ۱ ص ۲۱۸ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ عن أحمد و الطبرانى، عن ابن عباس. و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۶۴ و صححه، و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و المعجم الكبير للطبرانى ج ۸ ص ۹ و ج ۱۹ ص ۱۸۲ و الدرر لابن عبد البر ص ۲۱۴ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۵۳۸ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۴۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۸ و التنبيه و الإشراف للمسعودى ص ۲۳۱ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۵۲۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۵ و ۳۲۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۹ و ۵۴۰ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۵ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۲۶ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۶

و يقال: ابن أم مكتوم. و به جزم الدمياطى «۱».

و خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الأربعاء بعد العصر، لعشر خلون من شهر رمضان، و نادى مناديه: «من أحب أن يصوم فليصم، و من أحب أن يفطر فليفطر». و صام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲». فما حل عقدة حتى انتهى إلى الصلصل.

و خرج فى المهاجرين و الأنصار، و طوائف من العرب، و قادوا الخيل، و امتطوا الإبل، و قدم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمامه الزبير بن العوام فى مائتين من المسلمين «۳».

و لما بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» البيداء قال، فيما رواه محمد بن عمر عن أبى سعيد الخدرى: «إنى لأرى السحاب يستهل

بنصر بنى

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ عن ابن سعد و البلاذرى، و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۵ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۵ و المسترشد للطبرى ص ۱۲۸ و الطرائف لابن طاووس ص ۲۳۳ و البحار ج ۲۸ ص ۱۶۹.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۱۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۵ و ج ۱۳ ص ۳۷۴ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۶۹ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۵.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۷ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۷

كعب» «۱».

و قدم «صلى اللّه عليه و آله» بمائة جريدة من خيل، تكون أمام المسلمين.

فلما كانوا بين العرج و الطلوب أتوا بعين من هوازن، فاستخبره رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأخبره أن هوازن تجمع له (و قد أجابتهم ثقيف، و قد بعثوا إلى الجرش- و هو مكان فى اليمن- فعملوا الدبابات و المنجنيق) فقال:

«حسبنا اللّه و نعم الوكيل».

فأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خالد بن الوليد أن يحسبه، لئلا يذهب فيحذر الناس، و قد أسلم حين فتح مكة، ثم خرج مع المسلمين إلى هوازن، فقتل فى أوطاس.

و لما بلغ «صلى اللّه عليه و آله» قديدا «۲» لقيته سليم هناك، فعقد الألوية و الرايات، و دفعها إلى القبائل «۳».

و نقول:

إن لنا بعض الملاحظات حول ما تقدم، نجملها فيما يلى:

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۱ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۷ و إمتاع الأسماع ج ۱۳ ص ۳۷۴.

(۲) قديد: موضع قرب مكة. مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۰۷۰.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۴- ۸۰۶ و ۸۰۱ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۵ و إمتاع الأسماع ج ۸ ص ۳۸۵ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۸

عشرة آلاف مقاتل:

ثم إن هناك من يقول- كابن إسحاق-: إن من شهد الفتح من المسلمين عشرة آلاف «۱»، و نحو من أربع مائة فارس، و لم يتخلف من

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۶۵ و ۲۱۴ و ۲۵۶ و قال: رواه البخارى فى صحيحه عن عروة، و إسحاق بن راهويه، من طريق آخر

بسند صحيح عن ابن عباس. و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و ۱۱۸ و ۱۲۷ و ۱۲۸ عن الخرايج و الجرايح، و إعلام الورى، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۱ و ۸۱۵ و ۸۲۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۰ و ۸۹. و راجع: الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۹ و التنبيه و الإشراف للمسعودى ص ۲۳۱ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۴۴ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۵۳۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۵ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۷۸۷ و ج ۴ ص ۸۵۹ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۵ و العبر و تاريخ المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۲ و الكامل لابن عدى ج ۱ ص ۲۷۲ و لسان الميزان ج ۱ ص ۱۱۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۳۲۴ و ۵۳۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۸ و الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۱۶۲ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و ۱۱۸ و النص و الإجتهاد ص ۱۸۳ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۲۶ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۴۳ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۶۴ و ۱۶۵ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۴۰ و شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۳۲۰ و المعجم الكبير للطبرانى ج ۸ ص ۱۰ و الدرر لابن عبد البر ص ۲۱۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۵۹ و فيض القدير ج ۳ ص ۶۳۲ و تفسير مجمع البيان ج ۵ ص ۳۴ و ج ۱۰ ص ۴۷۰ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۹۳ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۲۳۱ و ج ۱۸ ص ۲۵۳ و ج ۲۰ ص ۳۸۰ و تفسير البغوى ج ۱ ص ۲۹۰ و المحرر-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۱۹

المهاجرين و الأنصار عنه أحد «۱».

و هناك من يقول: إنهم كانوا اثنى عشر ألفا «۲».

و جمع: بأن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة، ثم تلاحق الألفان «۳».

و نقول:

قد يقال: إننا نشك فى صحة كلا هذين الرقمين .. فإن المسلمين لم يكونوا قد بلغوا إلى الحد الذى يستطيعون معه ان يجهزوا هذا المقدار من الرجال للحرب، ثم يبقى فى بلادهم من يحرسها، من غارة أهل الأطماع.

- الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ج ۳ ص ۱۹ و ج ۵ ص ۱۳۸ و تفسير القرطبى ج ۱۶ ص ۲۶۱ و تفسير البحر المحيط ج ۵ ص ۲۵ و تفسير الثعالبى ج ۳ ص ۱۷۲ و ج ۵ ص ۲۶۰ و تفسير الآلوسى ج ۲۶ ص ۸۴.

(۱) مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۷۰ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و ۱۲۷ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۹۳ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۸۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۰ و عن مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب، و عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۹ و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۱۰۷ و راجع: تفسير البغوى ج ۴ ص ۵۳۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۶ عن عروة، و الزهرى، و ابن عقبة، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و تفسير البحر المحيط ج ۲ ص ۴۳۷ و السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد على صبيح) ج ۴ ص ۸۹۱ و ج ۵ ص ۱۰۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۶۱۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۲۱۵ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۶۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۴۷.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۶ و تفسير الآلوسى ج ۳۰ ص ۲۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۰

و يشير إلى ذلك: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يستطع أن يجهز لخيبر أكثر من ألف و خمسمائة مقاتل، ثم جهز لمؤتة- كما يقولون- ثلاثة آلاف .. مع أن تجهيز العشرة آلاف كان فى مؤتة أيسر منه فى فتح مكة، إلا إن كان «صلى اللّه عليه و آله» قد استنفر العرب من البلاد، فنفروا معه مسلمهم و كافرهم، لأنهم أيقنوا: أنه يريد الخير لهم، و أن فى الخروج معه منافع تهمهم، خصوصا بعد أن ظهر ضعف قريش فى تصدياتها له ..

فإذا نفر الناس من سائر القبائل معه، فإن من بقى منهم فى البلاد لا يخشى منه، و قد كان «صلى اللّه عليه و آله» عارفا بالمنطقة و بمن يسكنها من القبائل ..

و لم يكن ليجرؤ أحد من أى قبيلة على مهاجمة المدينة إذا كان لدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» طائفة من تلك القبيلة تقاتل معه، إذ إن ذلك سوف يسهّل على النبى «صلى اللّه عليه و آله» الظفر بمن يقوم بأى تحرك من هذا القبيل و معاقبته، لأن نفس أهل تلك القبيلة سيكونون أعوانا و أنصارا له على الخارجين عليه، حتى إذا كانوا من قبائلهم، فكيف إذا كانوا من غيرها.

يضاف إلى هذا كله: أنه لا بد أن يبقى فى المدينة قوة قادرة على حمايتها من هجوم فئات صغيرة، لو فرض أن أحدا يجرؤ على القيام بشىء من ذلك.

تأويلات و تفاصيل:

و قد ذكروا هنا: بعض التفاصيل التى قد لا تملك من الدقة ما يكفى للاعتماد عليها، فقد قالوا:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۱

أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان فى عشرة آلاف. أى باعتبار من لحقه فى الطريق من القبائل، كبنى أسد، و سليم، و لم يتخلف عنه أحد من المهاجرين و الأنصار.

و كان المهاجرون سبع مائة، و معهم ثلاث مائة فرس.

و كانت الأنصار أربعة آلاف، و معهم خمس مائة فرس.

و كانت مزينة ألفا، و فيها مائة فرس و مائة درع.

و كانت أسلم أربع مائة، و معها ثلاثون فرسا.

و كانت جهينة ثمان مائة، و معها خمسون فرسا «۱».

و عن ابن عباس: من بنى سليم سبع مائة، و قيل: ألف. و من غفار أربع مائة، و من أسلم أربع مائة و من مزينة ألف و ثلاث مائة، و سائرهم من قريش و الأنصار، و حلفائهم، و طوائف من العرب، من بنى تميم، و قيس، و أسد «۲».

و نقول:

إن هذا يثير لدى الباحث أكثر من سؤال. فمتى صار المهاجرون سبع مائة؟

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۶ و (ط دار المعرفة) ص ۱۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۰ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۴ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۵.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹ عن شفا الغرام، و راجع: تفسير الثعالبى ج ۱۰ ص ۳۱۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۴۰ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۴۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۵۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۷۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۲

و كيف أصبح الأنصار أربعة آلاف؟ فى حين أنه لم يستطع أن يجند منهم و من المهاجرين و ممن حولهم من الأعراب أكثر من ألف و خمس مائة مقاتل إلى ألف و ثمان مائة، فراجع: حرب خيبر و الحديبية و غيرهما ..

إلا إن كان سكان المدينة يتكاثرون كما يتكاثر بعض فصائل الحيوان؟

و لماذا كان من المهاجرين ثلاث مائة فرس، و هم سبع مائة رجل فقط، و كان من الأنصار خمس مائة فرس و هم أربعة آلاف؟

فهل كان المهاجرون أكثر مالا من الأنصار؟

و كيف حصلوا على هذه الثروات، و لم يحصل الأنصار على مثلها؟! و هم يعيشون فى بلد واحد، و يجاهدون عدوهم معهم. مع كون المهاجرين قد قدموا إلى المدينة بدون أموال، حتى تكفل الأنصار بهم، و شاركوهم فى أموالهم و بيوتهم؟!

أم أن المهاجرين كانوا مهتمين بأمر الجهاد أكثر من الأنصار؟!

و يلاحظ: أن هذه النسبة من الأفراس مع المهاجرين قد بقيت متفوقة فيهم على جميع الفئات و القبائل الأخرى .. إذ لا مجال للمقايسة بينهم و بين جهينة، التى كانت ثمان مائة، و معها خمسون فرسا فقط .. و كانت أسلم أربع مائة، و معها ثلاثون فرسا فقط .. و كانت مزينة ألفا و فيها مائة فرس فقط ..

فما هذا التفاوت بين المهاجرين و كل هذه الفئات؟!

ألا يشير ذلك إلى أن هذه كانت أرقاما سياسية، و ليست واقعية؟!

لا يزال المقصد مجهولا:

و قالوا: لما نزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» العرج، و الناس لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۳

يدرون أين توجه «صلى اللّه عليه و آله»، إلى قريش، أو إلى هوازن، أو إلى ثقيف. فهم يحبون أن يعلموا.

فجلس فى أصحابه بالعرج، و هو يتحدث، فقال: كعب بن مالك: آتى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأعلم لكم علم وجهه.

فجاء كعب بن مالك فبرك بين يدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على ركبتيه، ثم قال:

قضينا من تهامة كل ريبو خيبر ثم أحمينا السيوفا

نسائلها و لو نطقت لقالتقواضبهن دوسا أو ثقيفا

فلست بحاضر إن لم تروهابساحة داركم منها ألوفا

فننتزع الخيام ببطن وجو نترك دوركم منها خلوفا فتبسم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و لم يزد على ذلك.

فجعل الناس يقولون: و اللّه ما بين لك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» شيئا، ما ندرى بمن يبدأ بقريش، أو ثقيف، أو هوازن؟! «۱».

و كان عيينة بن حصن فى أهله بنجد، فأتاه الخبر: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يريد وجها، و قد تجمعت العرب إليه، فخرج فى نفر من قومه حتى قدم المدينة، فوجد أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد خرج قبله بيومين ..

فسلك يسأل عن مسيره، فبلغ إلى العرج، ثم وصل النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعده إلى هناك ..

فقال عيينة: يا رسول اللّه، بلغنى خروجك، و من يجتمع إليك، فأقبلت

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۲ و إمتاع الأسماع ج ۱۳ ص ۳۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۴

سريعا و لم أشعر، فأجمع قومى، فيكون لنا جلبة كثيرة. و لست أرى هيأة الحرب، و لا أرى ألوية و لا رايات! فالعمرة تريد؟ فلا أرى هيأة الإحرام! فأين وجهك يا رسول اللّه؟!

قال: حيث يشاء اللّه.

و ذهب و سار معه. و وجد الأقرع بن حابس بالسقيا فى عشرة من قومه. فساروا معه، فلما نزل قديدا عقد الألوية، و جعل الرايات.

فلما رأى عيينة القبائل تأخذ الرايات و الألوية عض على أنامله، فقال أبو بكر: علام تندم؟

قال: على قومى ألا يكونوا نفروا مع محمد. فأين يريد محمد يا أبا بكر؟

قال: حيث يشاء اللّه.

فدخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة يومئذ بين الأقرع و عيينة «۱».

و ذكر الواقدى: أنه لما نزل «صلى اللّه عليه و آله» قديدا لقيته سليم، و هم تسعمائة على الخيول جميعا، مع كل رجل منهم رمحه و سلاحه.

و يقال: إنهم ألف «۲».

فقالت سليم: يا رسول اللّه، إنك تقصينا، و تستغشّنا، و نحن أخوالك- أم هاشم بن عبد مناف، عاتكة بنت مرة، بن هلال، بن فالح، بن ذكوان، من بنى سليم- فقدمنا يا رسول اللّه حتى تنظر كيف بلاؤنا، فإنّا صبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، فرسان على متون الخيل.

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۳ و ۸۰۴.

(۲) راجع: إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۵

قال: و معهم لواءان و خمس رايات، و الرايات سود.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: سيروا! فجعلهم فى مقدمته.

و كان خالد بن الوليد مقدمة النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين لقيته بنو سليم بقديد، حتى نزلوا مر الظهران و بنو سليم معه.

و يقال: إنهم قد طووا ألويتهم، و راياتهم، و ليس معهم لواء و لا راية معقودة.

فقالوا: يا رسول اللّه، اعقد لنا وضع رايتنا حيث رأيت.

فقال: يحمل رايتكم اليوم من كان يحملها فى الجاهلية!

و نادى عيينة بن حصن، فقال: أنا عيينة، هذه بنو سليم قد حضرت بما ترى من العدّة و العدد و السلاح، و إنّهم لأحلاس الخيل، و رجال الحرب، و رماة الحدق.

فقال العباس بن مرداس: أقصر أيها الرجل، فو اللّه إنك لتعلم أنّا أفرس على متون الخيل، و أطعن بالقنا، و أضرب بالمشرفية منك و من قومك، فقال عيينة: كذبت و لؤمت، نحن أولى بما ذكر منك، قد عرفته لنا العرب قاطبة.

فأومأ إليهما النبى «صلى اللّه عليه و آله» بيده حتى سكتا.

و نقول:

إن علينا أن نشير هنا إلى الأمور التالية:

توضيح عن المقدمة:

قد يتوهّم: أن النص المتقدم قد ذكر أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۶

جعل بنى سليم فى مقدمته، مع أنهم يقولون: إن الذى كان على المقدمة إلى أن دخل النبى «صلى اللّه عليه و آله» مكة هو خالد بن الوليد، و هذا لا يتلاءم مع ذاك.

و يزول هذا التوهم بالكامل فى النص المذكور آنفا، حيث قال: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد جعل بنى سليم فى مقدمته، أى أنه قد ضمهم إلى الرجال الذين كانوا بقيادة خالد، فصار خالد أميرا على المجموع، و بما أنه كان لكل قبيلة حامل لوائها، فقد حمله عيينة بن

حصن.

إلى أين يا رسول اللّه؟!:

إن الإنسان مهما كان دينه، و أيّا كانت ميوله ليقف خاشعا أمام عظمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و مبهورا و عاجزا عن إدراك دقة تدبيره، مذعنا لصوابية كل حركة و كل سكون، و كل لفتة، و إشارة و .. و ..

و بديهى: أن الناس إذا أدركوا أن ثمة حرصا على إخفاء شىء، فإنهم يجهدون لاستكناه حقيقته، و الوقوف على واقعه، و استشراف دقائقه و تفاصيله.

فإذا كانت ألوف من الناس تلاحق هذا الأمر، و تبحث عنه، و تريد كشفه، و الوقوف على كنهه بكل حرص و اندفاع.

و إذا كان هذا الأمر يعنيهم كلهم أفرادا و جماعات.

و إذا كان يفترض فيهم هم أن يشاركوا فى صنع نفس هذا الحدث ..

و إذا كانت قد بدأت بعض التسريبات تظهر منذ اللحظة الأولى التى تفوّه الرسول «صلى اللّه عليه و آله» فيها بأنه يريد سفرا، حيث قال لعائشة:

«جهزينا، و أخفى أمرك».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۷

ثم جرى بين عائشة و أبيها، ثم بين أبى بكر و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ما قدمناه فيما سبق.

و إذا كانت هذه التسريبات قد دعت النبى بدأ إلى التحفظ على مسالك المدينة فى سهولها و جبالها، و وضع الحرس عليها، و ضبطها.

و إذا كانت الاحتمالات و التكهنات بدأت تؤتى ثمارها على شكل رسائل تحذير لقريش، حيث تجلى ذلك فى قصة حاطب بن أبى بلتعة.

و إذا كانت قصة حاطب قد انتهت على ذلك النحو المثير لكل الناس الذين حضروا و شاهدوا أو سمعوا بما جرى، حيث نودى بالناس: «الصلاة جامعة»، فاجتمعوا فى المسجد، ثم كان ما كان ..

و إذا كان عشرة آلاف مقاتل قد بدأوا يتحركون باتجاه المقصد ..

و إذا كانوا قد ساروا أياما و ليالى عديدة نحوه ..

فإننا لا بد أن نتوقع: أن الأمور قد اتضحت لكل أحد، و أسفر الصبح لذى عينين ..

و لكن المفاجأة الهائلة و العظيمة هى: أن تسير هذه الألوف المؤلفة على هيأتها و وفق ما هو مرسوم فى تدبير الجيوش، و فى كيفية سيرها نحو العدو، حيث الطلائع تقدم، تبث الأرصاد .. و تؤخذ عيون العدو، و يستفاد من المعلومات التى لديها، ثم يحتفظ بهم للوقت المناسب ..

إن المفاجأة هى: أن هذا الجيش يسير باتجاه مقصده، و يصل إلى قديد (و هى قرية جامعة قريب مكة) «۱»، و لا يزال يجهل الجهة التى يقصدها،

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۸۱ و معجم البلدان ج ۴ ص ۳۱۳ و راجع: عمدة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۸

و الفئة التى سيناجزها القتال.

رغم أن محاولات بذلت فى السقيا لاستنطاق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لكنها تبوء بالفشل ..

فهل يمكن أن نضع هذا الإنجاز فى مجال الاستطلاع و الحفاظ على السرية إلا فى عداد المعجزات، و خوارق العادات، التى لا يقدر عليها إلا نبى، أو وصى نبى؟!

لا بد من جواب:

و يبقى أن نشير إلى أن كل هذا الذى ذكرناه لا يعفينا من الإجابة على سؤال: كيف لنا أن نتصور جمعا يزيد على عشرة آلاف مقاتل، يجتمعون من مختلف البلاد و القبائل، و يسيرون أياما و ليالى إلى أن يصلوا إلى قديد، ثم لا يعرفون مقصدهم، و يستمر جهلهم بوجهة سيرهم، و بحقيقة العدو الذى يقصدونه ..

و يمكن أن نجيب على ذلك: بأن بعض النصوص المتقدمة قد صرحت: بأن الناس كانوا متحيرين بين ثلاثة احتمالات، هى: مكة، و ثقيف، و هوازن.

و هذه الخيارات كلها تحتاج لمثل هذا الجمع العظيم من المقاتلين. كما أنها كلها تقع فى منطقة واحدة، و فى أمكنة متقاربة، و الطريق من المدينة إليها هى نفس هذه الطريق التى سلكها «صلى اللّه عليه و آله» إلى قديد. و إنما

- القارى ج ۹ ص ۲۸۷ ج ۱۷ ص ۲۷۶ و تحفة الأحوذى ج ۸ ص ۲۴۲ و عون المعبود ج ۱۰ ص ۱۴۴ و تنوير الحوالك ص ۳۴۲ و فتح البارى ج ۳ ص ۳۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۲۹

تتميز الطرقات إلى تلك المناطق بدءا من سرف، التى كانت تبعد عن مكة أميالا يسيرة «۱».

و ربما يكون من أسباب تعزيز احتمال أن يكون القصد إلى هوازن، و صرف نظر الناس عن مكة: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أخذ عينا لهوازن، فأقر له أنهم يجمعون الجموع لحربه؛ فيأمر خالدا بحبس ذلك العين، خوفا من أن يذهب و يحذّر الناس «۲».

حيث يشاء اللّه:

و قد أظهرت قضية كعب بن مالك، و توسله بالشعر فى محاولة معرفة الوجه الذى يريده النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى سفره ذاك أظهرت مدى اهتمام الناس بمعرفة هذا الأمر .. رغم أن كعبا لم يفلح فى استخراج السر من النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

و الذى زاد فى حيرتهم: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يخرج بهذه الألوف على هيئة الحرب، فهو لم يعقد ألوية، و لا رفع رايات، و لا رتب هذا الجيش العرمرم ترتيبا قتاليا ..

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۵ و مجمع البحرين ج ۲ ص ۳۶۵ و معجم ما استعجم ج ۳ ص ۹۵۷ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۹۱ و شرح إحقاق الحق ج ۳۲ ص ۴۴۱ و مستدرك سفينة البحار ج ۷ ص ۵۵۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۴۹۲ و النهاية فى غريب الحديث ج ۲ ص ۳۶۲ و لسان العرب ج ۹ ص ۱۵۰.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۵ و إمتاع الأسماع للمقريزى ج ۱ ص ۳۵۶ و ج ۹ ص ۲۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۰

و لكنه كان يرسل الطلائع .. و يأخذ رصد هوازن الذى وجده فى طريقه، و يستجوبه، ثم يأمر بحبسه، و لا يتركه يرجع إلى من وراءه لينذرهم به ..

و من جهة ثانية: فإنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يخرج على هيئة من يريد العمرة، فلم يحرم و لم يسق البدن كما فعل فى الحديبية، و عمرة القضاء ..

و هذا معناه: أنه لا يقصد مكة فى مسيره ذاك ..

و يسأله عيينة بن حصن عن مقصده فى مسيره، و يصرح له بحيرته فى الأمر، فيجيبه «صلى اللّه عليه و آله» بقوله: حيث يشاء اللّه.

بل إنه «صلى اللّه عليه و آله» حتى حين بلغ قديدا، و عقد الرايات و الألوية، و عرف عيينة و غيره أن المهمة قتالية، و ليست شيئا آخر .. قد أبقاه فى حيرة من أمره، فسأل أبا بكر: فأين يريد محمد يا أبا بكر؟!.

قال: حيث يشاء اللّه «۱».

و هى إجابة واقعية، إذ لم يكن المسؤول بأعلم من السائل، فإن أبا بكر أيضا لم يكن يعلم بمقصد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و لعل الناس قد بقوا على ترددهم حتى وصلوا إلى مر الظهران، و أخذوا أبا سفيان و من معه.

إستنفار العرب:

قد ذكرنا فيما سبق: أن الظاهر هو: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد استنفر العرب إلى مكة، مسلمهم و كافرهم ..

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۱

و قد يمكن الإستشهاد على ذلك بالنص المتقدم الذى يقول: إن عيينة بن حصن قد سمع- و هو بنجد-: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يريد وجها، و قد تجمعت العرب إليه ..

فعبارة تجمعت العرب إليه، يشير إلى أن هذا التجمع قد شمل المسلم و غيره.

و لعل استنفار النبى «صلى اللّه عليه و آله» للعرب قد أفهمهم: أن ثمة أمرا خطيرا لا بد لهم من مواجهته، كذلك الذى جرى فى غزوة مؤتة ..

و قد أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

و ربما يكون مجيء عيينة بن حصن بمجرد سماعه بالأمر شاهدا آخر على ذلك ..

سليم تريد الحظوة عند النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و قد ظهر من كلام بنى سليم: أنهم كانوا يسعون لتكون لهم الحظوة عند النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و يريدون الفوز بثقته من خلال أفعالهم و مواقفهم المؤثرة التى تشهد لهم بصحة ما يدّعونه.

و قد صرحوا فى كلامهم: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يستغشهم و يقصيهم، رغم أنهم أخواله، بسبب عاتكة بنت مرة، فإنها أم هاشم بن عبد مناف ..

و لا يمكن الأخذ بظاهر كلامهم هذا إلا بتقدير: أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد رأى فى تصرفات بنى سليم غشا يوجب الإقصاء و الحذر، فإن هذا هو مقتضى الحزم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۲

كما أنه لا بد من ملاحظة: أن هذا الإقصاء لم يتخذ أسلوب التنفير، المؤسس للكره، و للعقدة، بل كان إقصاء يدعوهم إلى مراجعة

حساباتهم، و يزيد من رغبتهم فى إصلاح أمرهم معه «صلى اللّه عليه و آله». حتى إنهم لينفرون إليه حين يستنفر العرب، و هم مصممون على أن يزيلوا هذه الصبغة عن أنفسهم، بأفعالهم قبل أقوالهم ..

و قد أفسح لهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» المجال للوفاء بتعهداتهم، حيث جعلهم مقدمة له .. كما صرحت به الرواية.

و قد أظهروا بعضا من الأدب مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حين طووا ألويتهم، و طلبوا منه «صلى اللّه عليه و آله» أن يعقدها لهم، و أن يضعها حيث يشاء ..

فجعل عليهم عيينة بن حصن كما تقدم ..

نخوة الجاهلية:

و لكن نخوة الجاهلية قد تحركت لدى عيينة و العباس بن مرداس حيث افتخر عيينة ببنى سليم الذين فاز عيينة بتأمير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» له عليهم، فلم يرق ذلك لعباس بن مرداس، فافتخر بقومه، و فضّلهم على بنى سليم ..

فقال له عيينة: كذبت و لؤمت.

إلى أن تقول الرواية: فأومأ لهما النبى «صلى اللّه عليه و آله» حتى سكتا ..

فهذا الحدث يدل على أن هؤلاء الناس رغم أنهم قادة و رؤساء فى قومهم، لم يكونوا يملكون الشىء الكثير من أدب الخطاب، أو من تقدير

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۳

الأمور، فهم لم يراعوا الأدب فى محضر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حتى بلغ الأمر بهم إلى التفوه بالشتائم .. دون أى مبرر معقول أو مقبول لكل ما جرى.

فلم يكن هناك مبرر لتفضيل عباس بن مرداس قومه على بنى سليم،، فإن عيينة و إن كان قد مدح قومه، و لكنه لم يفضلهم على أحد ..

كما أنه لم يكن يجوز لعيينة أن يشتم عباسا بحضرة رسول اللّه، تأدبا مع الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، و تسليما لأمره ..

و لعل هذه الهفوات الصادرة من كلا الرجلين، كانت كافية لأمرهما بالسكوت، دون توجيه اللوم إلى أحد بعينه، فإن الخطأ قد صدر منهما معا، و عليهما معا أن يراجعا حساباتهما، ليجدا أنهما على غير سبيل هدى.

بيض النساء و أدم الإبل فى بنى مدلج:

و روى محمد بن عمر، عن يزيد بن أسلم، و أبى الحويرث: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما انتهى إلى قديد، قيل له: يا رسول اللّه، هل لك فى بيض النساء، و أدم الإبل، بنى مدلج؟!

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «إن اللّه عز و جل حرّمهن على بصلة الرحم».

و فى لفظ: «ببر الوالد، و وكزهم فى لبات الإبل» «۱».

و نقول:

إن هذا الذى أشار إليه النص آنفا، لهو أمر فى غاية الأهمية فيما يرتبط

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۳ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۵ و ج ۱۳ ص ۳۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۴

بسياسة الإسلام و مفاهيمه، فقد عرض عليه «صلى اللّه عليه و آله» أن يهاجم بنى مدلج، تحت وطأة إغراء قوى فى اتجاهين:

أحدهما: إغراء الجنس، ففى بنى مدلج بيض النساء.

و الآخر: إغراء المال، لأن لدى بنى مدلج أدم الإبل.

و لكن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رفض ذلك، و لم يكن رفضا مبهما، و من دون توضيح، بل هو رفض معلل، يعطى قاعدة هامة فيما يرتبط بسياسة الإسلام تجاه الآخرين.

حيث قرر أن التشريع الإسلامى لا يبيح مهاجمة الآخرين بصورة عشوائية، و بلا ضابطة. بل ذلك له منطلقات و ضوابط أحكامية لا تجوز مخالفتها، و من يفعل ذلك يعرض نفسه للعقوبة الإلهية.

و هذه القاعدة هى: أن لأعمال العباد تأثيرا فى اتخاذ أى موقف منهم ..

فلا- تجوز مهاجمة بنى مدلج، حتى لو كانوا على الشرك، و فى حالة عداء للمسلمين، لأن فيهم خصالا- تمنع من ذلك، ذكرت الروايات منها:

أولا: أنهم يصلون رحمهم و يبرون آباءهم ..

الثانى: أنهم لا يقتلون الإبل كيفما اتفق، من أجل الاستفادة من لحمها، و إنما ينحرونها بالطريقة الصحيحة، وفق أحكام الشرائع التى بلغتهم، أى بالوكز فى لباتها ..

و بعد ما تقدم نقول:

۱- إنك تجد لمحة من الرقة، و الرفق، و الرحمة، و الشعور الإنسانى ظاهرة فى كلا هذين الأمرين .. و قد جاء الحكم الناشئ عن ذلك بعدم جواز مهاجمة هذا النوع من الناس منسجما مع خصوصية الرحمة و الرقة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۵

و الرفق .. و مع ضرورة حفظ الإنسانية، و تنميتها، و إفساح المجال لها لتؤثر فى مسار الحياة ..

۲- و نحن فى غنى عن التذكير: بأن للعمل الصالح و الملائم لمرتكزات الخلق و التكوين آثارا وضعية، و أخرى أحكامية فى هذه الدنيا كما أظهرته هذه القضية نفسها، بل ربما تؤسس هذه الأعمال لحدوث تغيرات جذرية فى حالات النفس، و فى إدراكاتها، و تعطيها جرعة من الواقعية، تتمكن من خلالها من بلوغ الحق، و من الانصياع و البخوع له، الأمر الذى لا يتوفر للنفوس الأخرى، التى عزفت عن السير فى هذا الاتجاه، و لم تتقبل هذه التوفيقات، و انتهى الأمر بها إلى أن تسير فى طريق الجحود و الإنكار، عن سابق علم و تصميم و إصرار.

۳- و فى سياق آخر: لا بد لنا من التوقف قليلا عند هذا التوجيه التربوى النبوى لأهل الإيمان، الهادف إلى دفعهم نحو الالتزام بمبدأ الرحمة و الرقة و الرأفة، و صلة الرحم، و البر بالوالدين، و الالتزام بأحكام الشرائع، ليكون ذلك أساسا أخلاقيا و عمليا لنظرتهم للآخر، و للتعامل معه ..

۴- يضاف إلى ذلك: أن من الطبيعى أن تنتاب أولئك الذين عرضوا على النبى «صلى اللّه عليه و آله» الفوز ببيض النساء، و أدم الإبل، صحوة تجعلهم يقارنون بين ما عرضوه عليه «صلى اللّه عليه و آله»، و بين ما أجابهم به، لكى يكتشفوا ما يصح أن يكون معيارا للحرب و السلم، و الإقدام، و الإحجام تجاه الذين يدينون بغير دين الإسلام، و يضعون أنفسهم فى مواضع المناوئ له ..

۵- و قد أظهرت هذه الحادثة: أن ثمة أمورا يحسبها الإنسان ثانوية،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۶

و غير ذات قيمة، فى حين أنها قد تصبح الأساس الذى يرتكز عليه أخطر قرار، و أهم موقف يرتبط بالمصير، و بالحياة كلها ..

و قد تجلى ذلك فى التزام بنى مدلج الوكز فى لبات الإبل، وفقا لما قررته الشرائع فى كيفية نحرها.

الرفق بالحيوان .. مسؤولية شرعية:

و لما سار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن العرج- و كان فيما بين العرج و الطلوب- نظر إلى كلبة تهر عن أولادها، و هن حولها يرضعنها، فأمر جميل (و الصحيح: جعيل) «۱» بن سراقة: أن يقوم حذاءها، لا يعرض لها أحد من الجيش، و لا لأولادها «۲».

و نقول:

قد تحدثنا فى جزء سابق من هذا الكتاب عن بعض ما يتصل بموضوع الرفق بالحيوان، و صدر لنا كتاب بعنوان: «حقوق الحيوان فى الإسلام» و يمكننا أن نكتفى بما ذكرناه هناك عن إعادة الكلام عن ذلك هنا ..

غير أننا نود أن نذكر القارئ الكريم بما يلى:

۱- إن علينا أن نرصد مشاعر هذا الجيش العرمرم، الذى اختلطت فيه الفئات، و الثقافات، و القبائل. و فيهم الحاضر و البادى، و الجاهل و العالم،

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۷ ص ۲۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۶ و ج ۲ ص ۲۲۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ و ج ۷ ص ۲۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۶ و ج ۲ ص ۲۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۷

و الكبير و الصغير، و الغنى و الفقير، و الرئيس و المرؤوس و .. و .. الخ .. و قد عاش هؤلاء و لا يزال كثير منهم يعيش حياة جاهلية بكل مفاهيمها، و حالاتها، و عاداتها، و بكل ما فيها من مآس، و كوارث، و قد تربوا على استحلال السلب و النهب، و الغارة، و قتل الرجال، و سحق الضعفاء من الرجال، و النساء، و الأطفال.

وهاهم، و هم الجناة الجفاة القساة، يواجهون قرارا حاسما و حازما لا بالتجاوز و إطلاق سراح البشر، بل بمراعاة حال البهائم، و حراستها من أن ينالها أى سوء أو أذى، أو حتى مجرد تكدير لصفاء أجوائها.

۲- إن هذا الذى جرى لا بد من أن يفهمهم أيضا: أن ثمة أمورا يحسبها الإنسان صغيرة فى حين أنها قد تكون على درجة كبيرة من الأهمية و الخطورة ..

۳- إن هذا الذى يرونه يتجاوز موضوع الرحمة، و الرفق بالحيوان، ليكون دليلا على ثبوت حق، و أن ثمة مسؤولية تجاه هذه المخلوقات .. وفقا للحديث الشريف الذى يقول: «إنكم مسؤولون حتى عن البقاع و البهائم» «۱».

۴- إن على هؤلاء الناس الذين رأوا هذا الموقف أن يعودوا إلى أنفسهم، ليقارنوا بين قسوتهم على البشر، حتى الضعفاء، و بين الرحمة

---

(۱) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ۲ ص ۸۰ و البحار ج ۲۲ ص ۹ و ۴۱ و ج ۶۵ ص ۲۹۰ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۹۴ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۴۴۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۹ ص ۲۸۸ و تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۴۰۲ و تفسير الميزان ج ۱۷ ص ۱۴۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۴۵۷ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۸

و الرقة و المسؤولية التى أظهرها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على الحيوان، لتكون الرحمة هى الأساس الذى لا بد من أن يبنوا عليه علاقاتهم بالحيوان ..

و إذا كانت علاقاتهم بالحيوان لا بد من أن تصل إلى هذا الحد، فما بالك بعلاقاتهم ببنى الإنسان.

۵- لقد كان بإمكان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يوقف الجيش، ثم يطلب إقصاء تلك الكلبة عن ذلك المكان، ليمر الجيش و تكون هى و أولادها منه فى مأمن و سلام ..

و لكنه لم يفعل ذلك، لأن الذين سوف يعرفون سبب إيقاف الجيش، و يعاينون مبرراته عن قرب سيكونون قلة قليلة من الناس، و هو يريد إشاعة هذه السياسة، و تعريف أكبر قدر ممكن من الناس بها، فكان أن وضع لها حارسا يرشد الجيش إلى لزوم الابتعاد عنها، و لو باختيار مسار آخر .. ربما لأن إبعادها عن الطريق ليس بأولى من الابتعاد عن طريقها، و كلا الأمرين يرجعان إلى اختيار السالكين، و لا تكون حقوقها مرهونة بإرادات الناس، بل لا بد لإراداتهم من أن تنطلق و تتبلور على أساس المفروغية عن ثبوت تلك الحقوق و مراعاتها ..

۶- لا بد لذلك الجيش من أن يدرك أن انشغال القائد بالقضايا الكبرى لا يبرر له تضييع ما عداها، ما لم يضر الاهتمام بها بالقضية الكبرى، إذ إن الأمر الصغير كبير فى حد ذاته و فى موقعه، و لا يغنى عنه سواه، و لا يصح التخلى عنه إلا إذا تصادم مع ما هو أكبر و أخطر، بحيث يشكل خطورة عليه، كما هو ظاهر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۳۹

صيام النبى صلّى اللّه عليه و آله فى السفر:

و روى بسند صحيح عن أبى هريرة قال: «رأيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالعرج يصب الماء على رأسه من الحر و هو صائم» «۱».

و عن جابر، عن ابن عباس: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خرج من المدينة فى غزوة الفتح فى شهر رمضان يصوم و يصومون، حتى بلغ الكديد «۲»، بين عسفان و قديد «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۲ عن مالك و الواقدى، و عن الحاكم فى الإكليل و ج ۸ ص ۴۲۳ عن أحمد و أبى داود، و ص ۴۲۶ عن مالك و الشافعى و أحمد، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۱ و ۸۰۲ و نيل الأوطار للشوكانى ج ۴ ص ۲۸۷ و مسند أحمد ج ۴ ص ۶۳ و ج ۵ ص ۳۷۶ و راجع: كتاب الموطأ ج ۱ ص ۲۹۴ و المغنى لابن قدامة ج ۳ ص ۴۵ و فتح البارى ج ۴ ص ۱۳۳ و الإستذكار لابن عبد البر ج ۳ ص ۲۹۸ و إمتاع الأسماع ج ۱۳ ص ۳۷۴ و التمهيد لابن عبد البر ج ۲۲ ص ۴۷ و المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۲۰۷ و الشرح الكبير لابن قدامة ج ۳ ص ۴۵ و لسان الميزان لابن حجر ج ۱ ص ۳۷۷.

(۲) (الكديد): قيل: بالفتح، و بالكسر، و آخره دال أخرى: موضع بالحجاز على اثنين و أربعين ميلا من مكة، بين عسفان و أمج. مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۱۵۲ و معجم البلدان ج ۴ ص ۴۴۲ و تاج العروس ج ۵ ص ۲۱۹ و راجع: فتح البارى (المقدمة) ص ۱۷۴.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و تنوير الحوالك للسيوطى ص ۲۸۱ و تلخيص الحبير ج ۶ ص ۴۲۷ و نيل الأوطار ج ۴ ص ۳۰۴ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۲۸ و تلخيص الحبير ج ۶ ص ۴۲۷ و تنوير الحوالك ص ۲۸۱ و عوالى اللآلى ج ۱ ص ۲۰۳ و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۳۴ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۴-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۰

(و فى رواية: بين عسفان و أمج «۱». و فى حديث جابر: كراع الغميم «۲»)،

- و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۵۳۷ و التنبيه و الإشراف ص ۲۳۰ و تذكرة الحفاظ ج ۴ ص

۱۲۱۴ و تفسير القرطبى ج ۲ ص ۲۹۹ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ۲۱۶ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۷۳ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۲۴۱ و صحيح البخارى (ط دار الفكر) ج ۲ ص ۲۳۸ و ج ۵ ص ۹۰ و عمدة القارى ج ۱۱ ص ۴۶ و ج ۱۷ ص ۲۷۶ و فى القاموس: الكديد ما بين الحرمين.

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۹ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۶۶ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۶۵ و عمدة القارى ج ۹ ص ۲۳۴ و المعجم الكبير ج ۸ ص ۱۰ و الدرر لابن عبد البر ص ۲۱۴ و جامع البيان للطبرى ج ۲ ص ۲۰۲ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۵۳۸ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۴۳ و معجم البلدان ج ۴ ص ۴۴۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۸ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۵۲۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۵ و ۳۲۶ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۹ و ۵۴۰ و النهاية فى غريب الحديث ج ۱ ص ۶۵ و لسان العرب لابن منظور ج ۲ ص ۲۰۸ و تاج العروس ج ۳ ص ۲۸۸. و (أمج) بفتحتين، و الجيم: بلد من أعراض المدينة. مراصد الإطلاع ج ۱ ص ۱۱۵.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۷ عن إعلام الورى و المجموع للنووى ج ۶ ص ۲۶۴ و المغنى لابن قدامة ج ۳ ص ۳۴ و الشرح الكبير ج ۳ ص ۱۹ و المحلى ج ۶ ص ۲۵۳ و بداية المجتهد ج ۱ ص ۲۳۸ و نيل الأوطار ج ۴ ص ۳۰۶ و ۳۰۸ و الطرائف ص ۵۲۹ و اختلاف الحديث للشافعى ص ۴۹۳ و صحيح مسلم ج ۳ ص ۱۴۱ و سنن الترمذى ج ۲ ص ۱۰۶ و سنن النسائى ج ۴ ص ۱۷۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۲۴۱ و ۲۴۶ و عمدة القارى ج ۱۱ ص ۴۷ و مسند أبى داود ص ۲۳۲ و السنن الكبرى للنسائى ج ۲ ص ۱۰۱ و مسند ابى يعلى ج ۳ ص ۴۰۰ و ج ۴-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۱

بلغه أن الناس شق عليهم الصيام، و قيل له: إنما ينظرون فيما فعلت.

فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا بإناء من لبن، أو ماء، و جزم جابر بأنه ماء، و كذا ابن عباس «۱».

و فى رواية: فوضعه على راحلته ليراه الناس، فشرب فأفطر، فناوله

- ص ۹۸ و صحيح ابن خزيمة ج ۳ ص ۲۵۵ و شرح معانى الآثار ج ۲ ص ۶۵ و صحيح ابن حبان ج ۶ ص ۴۲۳ و ج ۸ ص ۳۱۸ و ۳۱۹ و معرفة السنن و الآثار ج ۳ ص ۳۹۰ و الإستذكار لابن عبد البر ج ۳ ص ۳۰۱ و التمهيد لابن عبد البر ج ۹ ص ۶۸ و ج ۲۲ ص ۵۲ و تفسير الثعلبى ج ۲ ص ۷۳ و تفسير السمعانى ج ۱ ص ۱۸۴ و تفسير البغوى ج ۱ ص ۱۵۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۷ و ۵۴۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و ج ۸ ص ۴۲۶ و نهج الحق للعلامة الحلى ص ۴۴۲ و إحقاق الحق (الأصل) ص ۳۸۳.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و ج ۸ ص ۴۲۸ و إحقاق الحق (الأصل) ص ۳۸۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و راجع: صحيح البخارى (ط دار الفكر) ج ۵ ص ۹۰ و فتح البارى ج ۴ ص ۱۵۸ و صحيح مسلم ج ۳ ص ۱۴۱ و صحيح ابن خزيمة ج ۳ ص ۲۵۵ و صحيح ابن حبان ج ۸ ص ۳۱۸ و ۳۱۹ و نصب الراية ج ۳ ص ۲۷ و العهود المحمدية ص ۷۱۶ و نيل الأوطار ج ۴ ص ۳۰۹ و ۳۱۰ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۲۹ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۲۷۶ و المعجم الكبير ج ۱۱ ص ۲۷۴ و راجع: الكافى ج ۴ ص ۱۲۷ و من لا يحضره الفقيه ج ۲ ص ۱۴۱ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۰ ص ۱۷۶ و (ط دار الإسلامية) ج ۷ ص ۱۲۵ و الفصول المهمة ج ۱ ص ۶۹۱ و جامع أحاديث الشيعة ج ۹ ص ۲۹۳ و منتقى الجمان ج ۲ ص ۵۲۷ و نهج الحق و كشف الصدق ص ۴۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۲

رجلا إلى جنبه، فشرب فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس صام، فقال:

«أولئك العصاة، أولئك العصاة»، فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر «۱».

و عن أبى سعيد الخدرى قال: سافرنا مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و نحن صيام، فنزلنا منزلا، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و

آله»:

«إنكم قد دنوتم من عدوكم، و الفطر أقوى لكم».

و كانت رخصة، فمنا من صام، و منا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر، فقال: «إنكم مصبحو عدوكم، و الفطر أقوى لكم، فأفطروا».

فكانت عزيمة، فأفطرنا «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۴۲۶ و ج ۵ ص ۲۱۳ و فى هامشه عن: مسلم من حديث ابن عباس ۲/ ۷۸۴ (۸۸/ ۱۱۱۳) و من حديث جابر أخرجه مسلم فى الصيام ۲/ ۷۸۵ (۹۰/ ۱۱۱۴) و البخارى (۴۲۷۵)، و الترمذى (۷۱۰) و النسائى فى الصيام باب (۴۷) و الطيالسى كما فى المنحة (۹۱۲) و الطحاوى فى معانى الآثار ۲/ ۶۵ و الشافعى فى المسند (۱۵۸) و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۲۵ و فى السنن ۴/ ۲۴۱، و انظر التلخيص ۲/ ۲۰۳ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۲ و بداية المجتهد و نهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج ۱ ص ۲۳۸ و عوالى اللآلى ج ۱ ص ۲۰۴ و راجع: شرح معانى الآثار ج ۲ ص ۶۴ و نيل الأوطار ج ۴ ص ۳۰۹ و ۳۱۲ و الطرائف ص ۵۲۸ و نهج الحق ص ۴۴۲ و صحيح البخارى (ط دار الفكر) ج ۵ ص ۹۰ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۲۷۵ و نصب الراية ج ۳ ص ۲۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و فى هامشه عن: مسلم ۲/ ۷۸۹ (۱۰۲/ ۱۱۲۰) و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۱۵ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۰۲ و تلخيص الحبير ج ۶ ص ۴۳۱ و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ۳ ص ۱۴۴ و السنن الكبرى ج ۴ ص ۲۴۲ و فتح البارى ج ۴ ص ۱۶۰ و تحفة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۳

أين أفطر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!:

و قد اختلفوا فى الموضع الذى أفطر فيه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هل هو قديد؟ أو كديد؟ أو كراع الغميم؟ أو عسفان؟ «۱».

قال الصالحى الشامى و غيره: «يجوز أن يكون قد وقع منه «صلى اللّه عليه و آله» الفعل فى المواضع الأربعة، و الفطر فى موضع منها، لكن لم يره جميع الناس فيه لكثرتهم، و كرره ليتساوى الناس فى رؤية الفعل الخ ..» «۲».

و قال الحلبى: «لا منافاة لتقارب الأمكنة» «۳».

و نقول:

إن تقارب الأمكنة لا يجدى شيئا، فإنه إذا كان الفعل قد وقع منه «صلى اللّه عليه و آله» فى كراع الغميم، فلماذا عدل الناقل عنها إلى عسفان، أو قديد، أو كديد؟

و إذا كان قد حصل ذلك فى عسفان، فلماذا يذكر الراوى كراع الغميم، أو قديدا؟!

و أما ما ذكروه من احتمال تكرر الفعل منه «صلى اللّه عليه و آله» ليراه

- الأحوذى ج ۳ ص ۳۲۸ و ج ۵ ص ۲۷۱ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۷ ص ۶۲۷ و صحيح ابن خزيمة ج ۳ ص ۲۵۷ و شرح معانى الآثار ج ۲ ص ۶۵ و مسند الشاميين ج ۳ ص ۱۳۰ و نيل الأوطار ج ۴ ص ۳۰۴ و فقه السنة لسيد سابق ج ۱ ص ۴۴۲ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۳۸ و السنن الكبرى ج ۴ ص ۲۴۲.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۱۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۱۴.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۴

الناس، فيحتاج إلى شاهد و قرينة تدل على هذا التعدد.

على أن ظاهر الروايات هو: أنها تتحدث عن فعل واحد صدر منه «صلى اللّه عليه و آله» بما له من خصوصيات و تفاصيل ..

حديث الصيام باطل من أصله:

و نظن أننا لن نفاجيء القارىء الكريم إذا قلنا: إن هذا الذى ذكروه عن أمر الصيام و الإفطار باطل من أساسه، فلاحظ ما يلى:

۱- إن المسافة التى توجب القصر فى مدرسة أهل البيت «عليهم السلام» هى ثمانية فراسخ إمتدادية، أو ملفقة من الذهاب و الإياب.

و الفرسخ: ثلاثة أميال.

و المسافة بين المدينة و الأماكن التى يدّعى أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أفطر فيها، هى أضعاف المقدار الذى يجب فيه القصر، وفق ما عليه أهل البيت «عليهم السلام»، و أهل البيت أدرى بما فيه، و هم سفينة النجاة، و الثقل الذى أمر اللّه تعالى بالتمسك به مع القرآن ..

۲- و المسافة الموجبة للقصر عند أهل السنة: المالكية، و الحنابلة، و الشوافع، هى: مسيرة يوم و ليلة، و قدروها بستة عشر فرسخا، التى هى حوالى اثنين و ثمانين كيلومترا أى ثمانية و أربعون ميلا.

و عند الحنفية هى: مسيرة ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة بدأ من الصباح إلى الزوال فقط.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۵

و قدرها بعضهم: بأربعة و عشرين فرسخا «۱».

و المسافة بين المدينة و المواضع التى زعموا أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أفطر فيها: هى أضعاف هذه المسافة ..

۳- تقدم أن الحلبى يقول: إن هذه المواضع المذكورة فى الروايات متقاربة بحيث يصح ذكر بعضها مكان بعض.

و قد قلنا: إن ذلك لا يصح، إذ لا نجد مبررا لترك اسم الموضع الأصلى، و ذكر اسم الموضع المجاور له.

و لكننا نقول:

إن عسفان تبعد عن مكة ستة و ثلاثين ميلا فقط «۲» .. فهى على مسافة يومين من مكة «۳».

و كديد: تبعد عن مكة اثنين و أربعين ميلا «۴».

---

(۱) راجع: الفقه على المذاهب الأربعة ج ۱ ص ۴۷۲ و ۴۷۳ و راجع: تذكرة الفقهاء (ط ج) ج ۴ ص ۳۷۱ و (ط ق) ج ۱ ص ۱۸۸ و تفسير مجمع البيان ج ۲ ص ۱۶ و زاد المسير ج ۱ ص ۱۶۸ و تفسير الرازى ج ۵ ص ۸۲.

(۲) مراصد الإطلاع ج ۲ ص ۹۴۰ و شرح مسلم للنووى ج ۷ ص ۲۳۰ و عمدة القارى ج ۹ ص ۲۰۳ و الديباج على مسلم ج ۳ ص ۲۱۵ و عون المعبود ج ۴ ص ۷۴.

(۳) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۶۶ و الشرح الكبير لابن قدامة ج ۲ ص ۹۳ و كشاف القناع ج ۱ ص ۶۱۶.

(۴) مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۱۵۲ و معجم البلدان ج ۴ ص ۴۴۲ و شرح مسلم للنووى ج ۷ ص ۲۳۰ و فتح البارى (المقدمة) ص ۱۷۴ و تارج العروس ج ۵ ص ۲۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۶

و كراع الغميم: أمام عسفان بثمانية أميال «۱».

و قد صرح أبو هريرة: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» كان بالعرج لا يزال صائما، و هى تبعد عن المدينة ثمانية و سبعين ميلا «۲».

و قديد: موضع قرب مكة «۳»، و بينها و بين ضجنان يوم «۴».

و ضجنان: على بعد خمسة و عشرين ميلا من مكة «۵».

و قيل: على بعد بريد منها «۶».

و هذا معناه: أن ثمة مسافات طويلة فيما بين هذه الأمكنة، قد تصل إلى عشرة أو خمسة عشر كيلومترا ..

علما بأن هذه الأماكن التى تتحدث الروايات عنها تبعد عن المدينة مئات الكيلومترات، كما يظهر من ملاحظة ما ذكرناه ..

---

(۱) مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۱۵۳ و معجم البلدان ج ۴ ص ۴۴۳ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۷۹ و الديباج على مسلم ج ۳ ص ۲۱۶.

(۲) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۶۴ و شرح مسلم للنووى ج ۱۵ ص ۱۵ و عمدة القارى ج ۱۰ ص ۱۷۷ و الديباج على مسلم ج ۵ ص ۲۷۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۲ ص ۷۷.

(۳) مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۰۷۰ و معجم البلدان ج ۴ ص ۳۱۳.

(۴) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۵۷ و فتح البارى ج ۲ ص ۹۳ و فى عمدة القارى ج ۵ ص ۱۴۶ و معجم ما استعجم: ليلة.

(۵) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۵۷ و مراصد الإطلاع ج ۲ ص ۸۶۵ و معجم البلدان ج ۳ ص ۴۵۳.

(۶) مراصد الإطلاع ج ۲ ص ۸۶۵ و معجم البلدان ج ۳ ص ۴۵۳ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۱ ص ۴۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۷

أى أن عسفان تبعد عن المدينة حوالى ثمانى مراحل. أى بما يزيد عن ثلاث مائة كيلومتر، و كذلك الحال بالنسبة لكديد، فضلا عن كراع الغميم، و قديد.

فإذا لاحظنا النصوص فى المصادر المختلفة، فسنجد: أن القادم من المدينة إلى مكة يمر بالعرج، ثم بالجحفة، ثم بكديد، ثم بعسفان.

و الجحفة أقرب إلى مكة منها إلى المدينة، فإنها تبعد عن مكة أربع مراحل و نصفا «۱»، و تبعد عن المدينة خمس مراحل و ثلثى مرحلة «۲».

و المرحلة هى فى الحقيقة: مسيرة يوم «۳».

و بعد عسفان تأتى كراع الغميم، ثم أمج .. و تأتى أخيرا قديدا، و ضجنان.

و ذلك كله يوضح لنا: أن كديدا و عسفان، و كراع الغميم، و قديد، تبعد عن المدينة أضعاف المسافة التى توجب الإفطار و قصر الصلاة، و ذلك ظاهر لا يخفى.

و الأخذ بهذه الروايات يقتضى طرح جميع الروايات الأخرى التى اعتمد عليها فقهاء المذاهب الأربعة فيما يرتبط بتقدير المسافة التى توجب

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۷۴ و راجع: مراصد الإطلاع ج ۱ ص ۳۱۵ و معجم البلدان ج ۳ ص ۶۲ و (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۲ ص ۱۱۱.

(۲) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۷۴ و راجع: مراصد الإطلاع ج ۱ ص ۳۱۵ و معجم البلدان ج ۳ ص ۶۲ و (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۲ ص ۱۱۱.

(۳) الفقه على المذاهب الأربعة ج ۱ ص ۴۷۳ و الحدائق الناضرة ج ۱۴ ص ۳۲۶ عن المصباح للفيومى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۸

الفطر و القصر، فضلا عن مخالفتها لما يقوله أهل بيت العصمة و الطهارة صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين ..

حديث شق عليهم الصوم:

و عن الحديث الذى يقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما أفطر حين بلغه أن الصوم شق على الناس، نقول:

إننا نضيف إلى ما قدمناه ما يلى:

أولا: إن فطره «صلى اللّه عليه و آله» لأجل التخفيف على الناس غير مقبول؛ لأن الصوم إن كان مفروضا و واجبا، فلا يصح إفطار من لا يشق عليه الصوم لإغراء من شق عليه بالإفطار.

بل الواجب هو: إرشادهم إلى أن من بلغ مقدار المشقة عليه حدا يقتضى الإفطار، فعليه أن يفطر، و من لم تبلغ به المشقة هذا الحد، لم يجز له الإفطار ..

و إن كان الصوم ليس واجبا عليهم، فلا معنى لإناطة الإفطار بالمشقة ..

و المفروض: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن الصوم شاقا عليه، فكيف جاز له أن يفطر؟!

ثانيا: إن حديث مشقة الصوم لا ينسجم مع الحديث الآخر، الذى تحدث عن الرخصة تارة، و العزيمة أخرى .. لأن هذا الحديث يدل على أن السبب فى أمره «صلى اللّه عليه و آله» لهم بالإفطار هو: أنه يريد أن يجد فيهم المزيد من القوة فى مواجهة عدوهم.

إلا أن يقال: إن هذه الرواية لم تصرح بأن ذلك كان فى غزوة الفتح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۴۹

و ليس فيها أيضا: أن صيامهم كان فى شهر رمضان ..

فلعلها قصة أخرى، غير هذه ..

لا سيما و أنه لم تكن هناك حرب حقيقية فى غزوة الفتح.

ثالثا: إن اعتبار الذين صاموا عصاة، يتوقف على أن يكون الصوم واجبا عليهم، فوجوب الإفطار يدور بين احتمالات:

الأول: أن تكون المسافة التى قطعت من موجبات الإفطار.

و قد تقدم بطلان هذا الاحتمال.

الثانى: أن يكون الصوم واجبا، لكن المشقة هى التى حتمت إفطارهم.

الثالث: أن يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد حتّم عليهم الإفطار من موقع كونه أولى بهم من أنفسهم، لكى تظهر قوتهم للأعداء، التى هى بنظره أهم من مصلحة الصوم. فهم قد خالفوا أمره الولائى، و لم يخالفوا أمر اللّه تعالى لهم فى صيام شهر رمضان المبارك.

الرابع: أن يكون وجوب الصوم قد كان بنذر و نحوه، و قد حل النبى «صلى اللّه عليه و آله» نذرهم، من حيث إنه أولى بهم من أنفسهم ..

و كل هذا بعيد .. و الإعتماد على احتمالات كهذه غير سديد و لا رشيد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۵۱

الفصل السابع: هجرة العباس .. و إسلام ابن الحارث و ابن أبى سلمة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۵۳

إسلام العباس و هجرته:

و قدم العباس على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعياله مسلما مهاجرا.

قال ابن هشام: لقيه بالجحفة «۱».

و قيل: بذى الحليفة، و أرسل أهله و ثقله إلى المدينة، و رجع مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى مكة «۲».

و عند الواقدى: لقيه بالسقيا هو و مخرمة بن نوفل، فدخل العباس، فلم يخرج حتى رأى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». و كان ينزل معه فى كل منزل حتى دخل مكة «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۸ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۷ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۲ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۴۲ و الإستذكار ج ۵ ص ۱۵۱.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۸ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۷ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۲ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۴۲.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۳۰ و راجع:

إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۷ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۵۴

قال البلاذرى: و قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «هجرتك يا عم آخر هجرة، كما أن نبوتى آخر نبوة» «۱».

و لكننا نجد فى مقابل ذلك من يقول عن العباس: «الصحيح: أنه منذ يوم بدر كان بالمدينة» «۲».

و قالوا: إن العباس خرج يتلقى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و معه أبو سفيان بن الحارث، و عبد اللّه بن أبى أميه، و قد تلقاه بثنية العقاب، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى قبته، و على حرسه زياد بن أسيد، فاستقبلهم زياد، فقال: أما أنت يا أبا الفضل فامض إلى القبة، و أما أنتما فارجعا.

فمضى العباس حتى دخل على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فسلم عليه، و قال: بأبى أنت و أمى، هذا ابن عمك قد جاء تائبا، و ابن عمتك.

قال: لا حاجة لى فيهما، إن ابن عمى انتهك عرضى، و أما ابن عمتى فهو الذى يقول بمكة: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً «۳».

فلما خرج العباس كلمته أم سلمة، و قالت: بأبى أنت و أمى، ابن عمك قد جاء تائبا، لا يكون أشقى الناس بك، و أخى إبن عمتك و صهرك، فلا يكونن شقيا بك.

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و (ط دار المعرفة) ص ۱۵ و مواقف الشيعة ج ۱ ص ۱۷۱ عن عيون الأخبار لابن قتيبة ج ۱ ص ۵.

(۲) الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۲ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۸ عنه.

(۳) الآية ۹۰ من سورة الإسراء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۵۵

و نادى أبو سفيان بن الحارث النبى «صلى اللّه عليه و آله»: كن لنا كما قال العبد الصالح: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ فدعاه و قبل منه، و دعا عبد

اللّه بن أبى أمية، فقبل منه «۱».

وساطة أم سلمة:

كان أبو سفيان بن الحارث أخا النبى «صلى اللّه عليه و آله» من الرضاعة، أرضعته حليمة السعدية أياما، و كان لا يفارق النبى «صلى اللّه عليه و آله» قبل النبوة. و كان له تربا.

و كان عبد اللّه بن أبى أمية أخا لأم سلمة، و هو ابن عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و كان هذان الرجلان من أكبر القائمين عليه، و من أشد الناس إذاية له «صلى اللّه عليه و آله». فقدما على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بنبق العقاب، أو بالأبواء، فالتمسا الدخول عليه «صلى اللّه عليه و آله» فأعرض عنهما.

فكلمته أم سلمة فيهما، و قالت له: لا يكون ابن عمك، و ابن عمتك أشقى الناس بك.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «لا حاجة لى بهما.

أما ابن عمى، فهتك عرضى.

و أما ابن عمتى و صهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال».

(أى أنه كان قد قال له: إنه لا يؤمن به إلا إذا عرج بسلم إلى السماء، و هو

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۸ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۹ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۷ و ۱۲۸ عنه، و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۵۶

ينظر إليه، ثم يأتيه بصك، و أربعة من الملائكة يشهدون له: أن اللّه أرسله «۱»).

فلما خرج الخبر، قال أبو سفيان: ليأذنن لى أو لآخذن بيد ابنى هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت جوعا و عطشا.

فلما بلغ ذلك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رق لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه، و أسلما «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۱۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۰ و ۸۱۱ و سيرة ابن إسحاق ج ۴ ص ۱۸۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۱۹۳ و عيون الأثر ج ۱ ص ۱۴۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۸۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۲ ص ۳۴۰ و راجع: الكشاف للزمخشرى ج ۲ ص ۴۶۶ و تفسير القمى ج ۲ ص ۲۷ و البحار ج ۹ ص ۲۲۲ و ج ۱۸ ص ۱۷۹ و التفسير الصافى ج ۳ ص ۲۱۷ و تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۲۲۶ و تفسير الرازى ج ۲۱ ص ۵۸ و تفسير القرطبى ج ۱۰ ص ۳۳۰ و تفسير البحر المحيط ج ۶ ص ۷۸ و الدر المنثور ج ۴ ص ۲۰۳ و تفسير أبى السعود ج ۵ ص ۱۹۵ و تفسير الآلوسى ج ۱۵ ص ۱۷۱ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۶۷ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۶ و ۴۰۸ و ج ۱۰ ص ۲۷۲ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۱ ص ۵۲۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۱۴ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۲ و ۱۰۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۰ و ۸۱۱ و المعجم الكبير للطبرانى ج ۸ ص ۱۰ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۸۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۹ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۴۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۸ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۶ و ۴۰۸ و ج ۱۰ ص ۲۷۲ و السيرة النبوية ج ۴ ص ۸۶۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۴ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۰ عن ذخائر العقبى، و المواهب اللدنية، و أبى عمر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۵۷

و قيل: إن عليا «عليه السلام» قال لأبى سفيان: ائت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف:

.. تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ؛ فإنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يرضى بأن يكون أحد أحسن قولا منه، ففعل، فقال «صلى اللّه عليه و آله»:

لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ «۱».

و كان أبو سفيان قد عادى النبى «صلى اللّه عليه و آله» نحو عشرين سنة، يهجوه، و لم يتخلف عن قتاله «۲».

و قال الواقدى: فلما خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى فتح مكة استقبل عبد اللّه بن أبى أمية، فسلم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلم يرد عليه السلام، فأعرض عنه و لم يجبه بشيء.

و كانت أخته أم سلمة مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، فدخل إليها فقال: يا أختى! إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد قبل إسلام الناس كلهم ورد إسلامى، فليس يقبلنى كما قبل غيرى.

فلما دخل رسول اللّه صلى «صلى اللّه عليه و آله» على أم سلمة قالت:

بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه! سعد بك جميع الناس إلا أخى من بين قريش و العرب، رددت إسلامه، و قبلت إسلام الناس كلهم.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «يا أم سلمة، إن أخاك كذّبنى تكذيبا لم يكذبنى أحد من الناس، هو الذى قال لى:

---

(۱) الآيتين ۹۱ و ۹۲ من سورة يوسف.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و (ط دار المعرفة) ص ۱۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۵۸

وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً إلى قوله: كِتاباً نَقْرَؤُهُ «۱».

قالت أم سلمة: بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه ألم تقل: إن الإسلام يجب ما كان قبله؟

قال: نعم.

فقبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إسلامه «۲».

و لم يزل أبو سفيان عشرين سنة عدوا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، يهجو المسلمين و يهجونه، و لا يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم إن اللّه ألقى فى قلبه الإسلام.

قال أبو سفيان: فقلت من أصحب؟! و مع من أكون؟! قد ضرب الإسلام بجرانه، فجئت زوجتى و ولدى فقلت: تهيأوا للخروج، فقد أظل قدوم محمد.

قالوا: قد آن لك أن تبصر أن العرب و العجم قد تبعت محمدا، و أنت موضع فى عداوته، و كنت أولى الناس بنصره.

فقلت لغلامى مذكور: عجل بأبعرة و فرس.

قال: ثم سرنا حتى نزلنا الأبواء، و قد نزلت مقدمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الأبواء، فتنكرت، و خفت أن أقتل.

و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد نذر دمى، فخرجت على

---

(۱) الآيات ۹۰ إلى ۹۳ من سورة الإسراء.

(۲) البحار ج ۹ ص ۲۲۲ و ج ۲۱ ص ۱۱۴ و تفسير القمى ج ۲ ص ۲۷ و القواعد الفقهية ج ۱ ص ۴۸ و مستدرك سفينة البحار ج ۲ ص ۵ و مستدرك الوسائل ج ۷ ص ۴۴۸ و جامع أحاديث الشيعة ج ۹ ص ۳۲۶ و تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۲۲۶.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲۱،ص:۲۵۹

قدمی نحوا من میل و أقبل الناس رسلا رسلا، فتنحیت فرقا من أصحابه، فلما طلع فی موکبه تصدیت له تلقاء وجهه، فلما ملأ عینیه منی أعرض عنی بوجهه إلی الناحیة الأخری.

فتحولت إلی ناحیة وجهه الأخری، فأعرض عنی مرارا، فأخذنی ما قرب و ما بعد، و قلت: أنا مقتول قبل أن أصل إلیه.

و أتذکر بره و رحمه فیمسک ذلک منی. و قد کنت لا أشک أن رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» و أصحابه سیفرحون بإسلامی فرحا شدیدا لقرابتی منه.

فلما رأی المسلمون إعراض رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» عنی أعرضوا عنی جمیعا، فلقینی ابن أبی قحافة معرضا عنی.

و نظرت إلی عمر یغری بی رجلا من الأنصار، فقال لی: یا عدو اللّه، أنت الذی کنت تؤذی رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله»، و تؤذی أصحابه، قد بلغت مشارق الأرض و مغاربها فی عداوته.

فرددت بعض الرد عن نفسی، و استطال علی و رفع صوته حتی جعلنی فی مثل الحرجة من الناس یسرون بما یفعل بی.

قال: فدخلت علی عمی العباس، فقلت: یا عم، قد کنت أرجو أن یفرح رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» بإسلامی لقرابتی و شرفی، و قد کان منه ما رأیت، فکلمه فیّ لیرضی عنی.

قال: لا و اللّه، لا أکلمه کلمة أبدا بعد الذی رأیت منه.

فقلت: یا عمّی إلی من تکلنی؟

قال: هو ذاک.

قال: فلقیت علیا رحمة اللّه علیه، فکلمته، فقال لی مثل ذلک.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲۱،ص:۲۶۰

قال أبو سفیان: فخرجت، فجلست علی باب منزل رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله»، حتی خرج إلی الجحفة و هو لا یکلمنی و لا أحد من المسلمین. و جعلت لا ینزل منزلا إلا أنا علی بابه، و معی ابنی جعفر قائم، فلا یرانی إلا أعرض عنی.

فخرجت علی هذه الحال حتی شهدت معه فتح مکة، و أنا فی خیله التی تلازمه حتی هبط من أذاخر، حتی نزل الأبطح، فدنوت من باب قبته فنظر إلی نظرا هو ألین من ذلک النظر الأول، قد رجوت أن یبتسم، و دخل علیه نساء بنی عبد المطلب، و دخلت معهن زوجتی فرقّقته علیّ.

و خرج إلی المسجد و أنا بین یدیه لا أفارقه علی حال، حتی خرج إلی هوازن، فخرجت معه و قد جمعت العرب جمعا لم تجمع مثله قط.

و خرجوا بالنساء و الذریة و الماشیة، فلما لقیتهم قلت: الیوم یری أثری إن شاء اللّه. فلما لقیناهم حملوا الحملة التی ذکر اللّه: ثُمَّ وَلَّیْتُمْ مُدْبِرِینَ «۱».

و ثبت رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» علی بغلته الشهباء، و جرد سیفه.

فاقتحمت عن فرسی و بیدی السیف صلتا، قد کسرت جفنه، و اللّه یعلم أنی أرید الموت دونه، و هو ینظر إلی، فأخذ العباس بن عبد المطلب بلجام البغلة، فأخذت بالجانب الآخر، فقال: من هذا؟

فقال العباس: أخوک و ابن عمک أبو سفیان بن الحارث! فارض عنه، أی رسول اللّه!

قال: قد فعلت، فغفر اللّه کلّ عداوة عادانیها!

---

(۱) الآیة ۲۵ من سورة التوبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۱

فأقبل رجله فى الركاب، ثم التفت إلى، فقال: أخى لعمرى! ثم أمر العباس، فقال: ناد يا أصحاب سورة البقرة! يا أصحاب السمرة يوم الحديبية! يا للمهاجرين! يا للأنصار! يا للخزرج!

فأجابوا: لبيك داعى اللّه!

و كروا كرة رجل واحد، قد حطموا الجفون، و شرّعوا الرماح، و خفضوا عوالى الأسنة، و أرقلوا إرقال الفحول، فرأيتنى و إنى لأخاف على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» شروع رماحهم حتى أحدقوا برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و قال لى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: تقدم فضارب القوم.

فحملت حملة أزلتهم عن موضعهم، و تبعنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قدما فى نحور القوم، ما يألو ما تقدم، فما قامت لهم قائمة حتى طردتهم قدر فرسخ، و تفرقوا فى كل وجه.

و بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفرا من أصحابه على الطلب، فبعث خالد بن الوليد على وجه، و بعث عمرو بن العاص فى وجه، و بعث أبا عامر الأشعرى إلى عسكر بأوطاس، فقتل، و قتل أبو موسى قاتله «۱».

و نقول:

إن لنا وقفات عديدة مع هذه النصوص كلها، و نجمل ذلك على النحو التالى:

---

(۱) قاموس الرجال ج ۵ ص ۲۳۷ عن أنساب الأشراف للبلاذرى، و كتاب التوابين ص ۱۱۳ و ۱۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۲

هجرة العباس آخر هجرة:

و قد صرحت الروايات المتقدمة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد قال للعباس: «هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوتى آخر نبوة» «۱».

و نقول:

إننا نسجل هنا الملاحظات التالية:

ألف: لماذا اعتبر «صلى اللّه عليه و آله» هجرة العباس آخر هجرة، و لم يعتبر هجرة عبد اللّه بن أبى أمية آخر هجرة؟!

أو لماذا لا يعتبر هجرة أبى سفيان بن الحارث آخر هجرة؟!

بل لقد كان الأولى اعتبار هجرة هؤلاء جميعا آخر هجرة ..

و قد يقال فى الجواب عن ذلك: إن العباس كان فى مكة مسلما، و لم يهاجر إلا حين الفتح، أما هؤلاء فقد كانوا على الكفر، و إنما جاؤوا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى هذا الوقت لكى يسلموا، و كان بعضهم قد أهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دمه. و إنما يصح إطلاق كلمة المهاجر على من أسلم و آمن، ثم هاجر .. لا على من لم يسلم أصلا، و لكنه يعد بأن يسلم حين يلقى النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..

غير أن صحة هذا الجواب تتوقف على ثبوت إسلام العباس قبل يوم الفتح، و دون ذلك خرط القتاد، لا سيما مع ما سيأتى من وجود رواية صحيحة مصرحة بكونه من الطلقاء.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و (ط دار المعرفة) ص ۱۵ و مواقف الشيعة ج ۱ ص ۱۷۱ عن

عيون الأخبار لابن قتيبة ج ۱ ص ۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۳

ب: إننا لم نعرف ماذا كان مصير مخرمة بن نوفل، فإنه لم يدخل على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فإن كان قد أسلم فلماذا لم يذكروا لنا ذلك؟!

و إن كان لم يسلم، فهل تركوه؟ أم أسروه؟!

ج: إن حديث هجرة العباس فى هذا الوقت موضع شك:

أولا: لما تقدم من أن ثمة من يقول عن العباس: «الصحيح: أنه منذ يوم بدر كان فى المدينة». و إن كانت النصوص و الوقائع لا تساعد على قبول هذا القول ..

ثانيا: قد عرفت الخلاف فى المكان الذى التقى فيه العباس بالنبى «صلى اللّه عليه و آله»، فهل لقيه بالسقيا و هى تبعد عن المدينة أربعة أيام؟!

أم لقيه بالجحفة، و هى تبعد عن مكة أربع مراحل و نصف مرحلة، كما تقدم؟!

أم لقيه فى ثنية العقاب؟!

أم فى الجحفة؟!

أم فى ذى الحليفة؟!

و سيأتى بيان ذلك إن شاء اللّه تعالى ..

ثالثا: إن كلام المعتزلى يشير إلى أن آخر من هاجر هو نعيم بن مسعود، و ليس العباس.

فقد ذكر: أن العباس شفع فى نعيم بن مسعود: أن يستثنيه النبى «صلى اللّه عليه و آله» من قوله: «لا هجرة بعد الفتح»، فاستثناه، فراجع «۱».

رابعا: ما معنى مقارنة هجرة العباس بالنبوة الخاتمة؟! فإن للنبوة

---

(۱) البحار ج ۶۶ ص ۲۳۰ عن شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۱۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۴

الخاتمة فضلها على سائر النبوات، و لم يكن لهجرة العباس أى فضل على غيرها من الهجرات، بل كانت تلك الهجرات أفضل عند اللّه تعالى، و لا سيما هجرة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هجرة أمير المؤمنين «عليه السلام». و قد كان «عليه السلام» يذكر سبقه إلى الهجرة فى جملة فضائله و كراماته التى منّ اللّه تعالى عليه بها «۱».

خامسا: إنهم يقولون: إن العباس خرج يلتقى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و معه عبد اللّه بن أبى أمية، و أبو سفيان، و قد تلقاه بثنية العقاب حسبما تقدم.

و هذا معناه: أنه لم يخرج مهاجرا، و إنما خرج متلقيا .. و إن كان لنا كلام حتى بالنسبة لهذا المقدار أيضا، و نظن أنه قد خرج يتنسم الأخبار ففوجئ بجيوش الإسلام فاستسلم كما سنرى.

سادسا: روى عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن على بن النعمان، عن عبد اللّه بن مسكان، عن سدير، قال:

«كنا عند أبى جعفر «عليه السلام»، فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيهم

---

(۱) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ۱ ص ۱۰۶ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۶ ص ۲۲۸ و (ط دار الإسلامية) ج ۱۱ ص ۴۷۸ و فرحة الغرى لابن طاووس ص ۵ و البحار ج ۳۸ ص ۲۵۵ و ۲۹۲ و ج ۳۹ ص ۳۲۵ و ج ۷۲ ص ۴۲۱ و جامع أحاديث الشيعة ج ۱۴ ص ۵۸۱ و مستدرک سفينة البحار ج ۱۰ ص ۴۸۶ و دراسات فى نهج البلاغة للشيخ محمد مهدى شمس الدين ص ۱۷۸ و موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادى النجفى ج ۵ ص ۲۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۵۴ و تفسير ابن عربى ج ۲ ص ۳۴۵ و ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ج ۱ ص ۲۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۵

«صلى اللّه عليه و آله»، و استذلالهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال رجل من القوم: أصلحك اللّه، فأين كان عز بنى هاشم و ما كانوا فيه من العدد؟!

فقال أبو جعفر «عليه السلام»: و من كان بقى من بنى هاشم؟ إنما كان جعفر و حمزة فمضيا، و بقى معه رجلان ضعيفان ذليلان، حديثا عهد بالإسلام: عباس، و عقيل. و كانا من الطلقاء.

أما و اللّه، لو أن حمزة و جعفرا كانا بحضرتهما، ما وصلا إلى ما وصلا إليه، و لو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما» «۱».

و قد وصف السيد الخوئى «رحمه اللّه» سند هذه الرواية بالصحة «۲».

و وصفه العلامة المجلسى بالحسن، و لكنه فسر كلمة: «كانا من الطلقاء»- تبعا للمازندرانى- بقوله: أى أطلقهما النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى غزاة بدر، بعد أسرهما، و أخذ الفداء منهما «۳».

و هذا الكلام خلاف الظاهر: فإن كلمة «الطلقاء» اصطلاح خاص، منتزع من كلمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لأهل مكة يوم الفتح: «اذهبوا فأنتم

---

(۱) الكافى (مطبعة النجف سنة ۱۳۸۵ ه) ج ۸ ص ۱۶۵ و (ط دار الكتب الإسلامية) ص ۱۸۹ الحديث رقم ۲۱۶ و البحار ج ۲۸ ص ۲۵۱ و معجم رجال الحديث ج ۱۰ ص ۲۵۲ و مجمع النورين للمرندى ص ۸۹ و بيت الأحزان ص ۱۲۸ و موسوعة الإمام على بن أبى طالب «عليه السلام» فى الكتاب و السنة و التاريخ للريشهرى ج ۳ ص ۶۵ و عقيل بن أبى طالب للأحمدى الميانجى ص ۷۸.

(۲) معجم رجال الحديث ج ۹ ص ۲۳۵.

(۳) مرآة العقول ج ۲۶ ص ۸۳ و ۸۴ و راجع: شرح الكافى للمولى محمد صالح المازندرانى ج ۱۲ ص ۲۳۶ و (ط دار إحياء التراث العربى) ص ۲۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۶

الطلقاء». و هو مؤيد بشواهد أخرى تدل على أن العباس لم يهاجر.

فإن إسلام العباس و عقيل فى بدر فلا مجال لإثباته، فيبقى فى دائرة الظنون و الحدسيات، فراجع ما ذكرناه فى غزوة بدر و غيرها.

الهجرة لم تنقطع:

قد ذكرت الروايات: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال: لا هجرة بعد الفتح.

و ذكروا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» استثنى نعيم بن مسعود من هذا الإطلاق.

و لكن ذلك غير صحيح: فإن الهجرة باقية إلى يوم القيامة، كما نص عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد روى أنه قال فى خطبة له: «و الهجرة قائمة على حدها الأول. ما كان للّه فى أهل الأرض حاجة من مستسرّ الأمة و معلنها، لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة فى الأرض، فمن عرفها و أقربها فهو مهاجر

و لا يقع اسم الإستضعاف على من بلغته الحجة، فسمعتها أذنه، و وعاها قلبه، إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان، و لا تعى حديثنا إلا صدور أمينة، و أحلام رزينة ..» «۱».

فهذا النص يدل على أنه «عليه السلام» يريد أن ينفى ما يزعمونه من

---

(۱) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ۲ ص ۱۲۸ الخطبة رقم ۱۸۹ و البحار ج ۶۶ ص ۲۲۷ و الإيجاز و الإعجاز للثعالبى ص ۳۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۱۰۱ و ينابيع المودة ج ۳ ص ۴۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۷

انتفاء الهجرة، و هو الزعم الذى أيدوه بما نسبوه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لا هجرة بعد الفتح.

و قد قرر «عليه السلام»: أن الهجرة باقية لم تنقطع .. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲۱ ۲۶۷ الهجرة لم تنقطع: ..... ص : ۲۶۶

و أما ما ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» لمعاوية: من أن الهجرة قد انقطعت يوم أسر أخوه، فيمكن أن يكون «عليه السلام» قد أورده وفق مزاعم معاوية و أضرابه، من أن الهجرة قد انقطعت بفتح مكة.

هذا، و قد وقع الملتزمون بأنه لا هجرة بعد الفتح فى حيص بيص فى توجيه كلام على «عليه السلام» هذا. و يظهر ذلك جليا مما نقله العلامة المجلسى عن ابن الأثير و ابن أبى الحديد المعتزلى و غيرهما، فقد قال فى شرحه للكلام السابق ما ملخصه:

أصل الهجرة المأمور بها الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام.

و قال فى النهاية فيه: لا هجرة بعد الفتح، و لكن جهاد ونية.

و فى حديث آخر: لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة.

و الهجرة هجرتان:

إحداهما: التى وعد اللّه عليها الجنة فى قوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ «۱»، فكان الرجل يأتى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و يدع أهله و ماله لا يرجع فى شىء منه، و ينقطع بنفسه إلى مهاجره.

و كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يكره أن يموت الرجل بالأرض التى هاجر منها، فمن ثم قال: «لكن البائس سعد بن خولة»، يرثى له أن مات بمكة.

---

(۱) الآية ۱۱ من سورة التوبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۸

و قال حين قدم مكة: «اللهم لا تجعل منايانا بها»، فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة، و انقطعت الهجرة.

و الهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب و غزا مع المسلمين، و لم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر. و ليس بداخل فى فضل من هاجر تلك الهجرة، و هو المراد بقوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة».

فهذا وجه الجمع بين الحديثين.

و إذا أطلق فى الحديث ذكر الهجرتين، فإنما يراد بهما: هجرة الحبشة، و هجرة المدينة، انتهى كلام ابن الأثير.

و قال ابن أبى الحديد: هذا كلام من أسرار الوصية يختص به على «عليه السلام»، لأن الناس يروون أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال: «لا هجرة بعد الفتح»، فشفّع «۱» عمه العباس فى نعيم بن مسعود الأشجعى أن يستثنيه، فاستثناه.

و هذه الهجرة التى أشار إليها أمير المؤمنين «عليه السلام» ليست تلك، بل هى الهجرة إلى الإمام.

و قال بعض الأصحاب: تجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعائر الإسلام مع المكنة. و يستحب للقادر على إظهارها، تحرزا عن تكثير سواد المشركين.

و المراد بها: الأمور التى تختص بالإسلام، كالأذان و الإقامة، و صوم شهر رمضان، و غير ذلك.

---

(۱) أى قبل «صلى اللّه عليه و آله» شفاعة عمه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۶۹

و ألحق بعضهم ببلاد الشرك بلاد الخلاف التى لا يتمكن فيها المؤمن من إقامة شعائر الإيمان مع الإمكان.

و لو تعذرت الهجرة لمرض أو عدم نفقة أو غير ذلك فلا حرج، لقوله تعالى: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً «۱».

إلى أن قال: «لا يقع اسم الهجرة الخ ..». أى يشترط فى صدق الهجرة معرفة الإمام و الإقرار به.

و المراد بقوله: «فمن عرفها الخ ..»، أنه مهاجر بشرط الخروج إلى الإمام، و السفر إليه، أو المراد بالمعرفة: المعرفة المستندة إلى المشاهدة و العيان.

و يحتمل أن يكون المراد: أن مجرد معرفة الإمام و الإقرار بوجوب اتباعه كاف فى إطلاق اسم الهجرة، كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام.

و يدل عليه: بعض أخبارنا، فمعرفة الإمام و الإقرار به فى زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة فى زمان الرسول «صلى اللّه عليه و آله».

و قال بعض الإصحاب: الهجرة فى زمان الغيبة سكنى الأمصار، لأنها تقابل البادية مسكن الأعراب، و الأمصار أقرب إلى تحصيل الكمالات من القرى و البوادى، فإن الغالب على أهلها الجفاء و الغلظة، و البعد عن العلوم و الكمالات، كما روى عن النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «أن الجفاء و القسوة

---

(۱) الآيتان ۹۸ و ۹۹ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۰

فى (الفدادين) «۱»» «۲».

و قيل: هى الخروج إلى طلب العلوم، فيعم الخروج عن القرى و البوادى، و الخروج عن بلد لا يمكن فيه طلب العلم «۳».

و فى جميع الأحوال نقول:

إن هذه التأويلات و التقسيمات تبرعية، ليس لها مبرر سوى أنهم يعتقدون بصحة حديث: لا هجرة بعد الفتح.

و لكن ما ورد فى خطبة أمير المؤمنين «عليه السلام» يضع علامة استفهام كبيرة حول صحة هذه الكلمة المنسوبة إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله».

مع ملاحظة: أن المطلوب كان هو الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإيمان، حفظا لإيمان الناس، و لا مبرر للطلب من الناس الهجرة من بلاد الإيمان إلى بلاد أخرى حتى لو كانت من بلاد الإيمان أيضا ..

---

(۱) الفدادون: الجمالون، و الرعيان، و البقارون، و الحمارون، و الفلاحون، و أصحاب الوبر، و الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم و مواشيهم، و المكثرون من الإبل.

(۲) الكافى ج ۸ ص ۷۰ و البحار ج ۲۲ ص ۱۳۶ و ج ۵۷ ص ۲۳۲ و ج ۶۶ ص ۲۳۱ و عمدة القارى ج ۱۵ ص ۱۹۱ و تخريج

الأحاديث الآثار للزيلعى ج ۲ ص ۹۴ و الذكرى للشهيد الأول ج ۴ ص ۴۱۷ و تفسير البحر المحيط ج ۵ ص ۹۴ و غريب الحديث ج ۱ ص ۲۰۲ و تفسير النسفى ج ۲ ص ۱۰۵ و روض الجنان للشهيد الثانى (ط ق) ص ۳۱۲ و مسالك الأفهام ج ۱ ص ۳۱۶ عن: غريب الحديث للهروى ج ۱ ص ۱۲۵ و الصحاح ج ۲ ص ۵۱۸ و النهاية فى غريب الحديث ج ۳ ص ۴۱۹.

(۳) البحار ج ۶۶ ص ۲۲۹- ۲۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۱

الطلقاء ليسوا من الصحابة:

و قد يقال: إن حديث: لا هجرة بعد الفتح ثابت بدليل: أنه حلف رجل بخراسان بالطلاق إن كان معاوية من أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأفتى الفقهاء بطلاقها.

فسئل الرضا «عليه السلام» عن ذلك، فأفتى: أنها لا تطلق.

فكتب الفقهاء رقعة أنفذوها إليه، يسألونه عن ذلك، فوقع فى رقعتهم:

قلت: هذا من روايتكم، عن أبى سعيد الخدرى: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال لمسلمة الفتح، و قد كثروا عليه: أنتم خير، و أصحابى خير، و لا هجرة بعد الفتح «۱».

فأبطل الهجرة و لم يجعل هؤلاء أصحابا له، فرجعوا إلى قوله «۲».

فحكم الإمام الرضا «عليه السلام» بعدم صحة الطلاق استنادا إلى هذا الحديث، يدل على ثبوته، فلا معنى للتشكيك به أو إنكاره.

غير أننا نقول:

إننا لا نريد أن نتكلم فى سند هذا الحديث نقضا و إبراما، إذ يكفينا القول: بأن حكم الإمام الرضا «عليه السلام» لا يدل على صحة حديث

---

(۱) عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۹۳ و البحار ج ۱۹ ص ۸۹ و ج ۳۳ ص ۱۶۷ و ج ۱۰۱ ص ۱۵۸ و مستدرك سفينة البحار ج ۶ ص ۵۶۹ و إحقاق الحق (الأصل) ص ۲۵۶ و راجع: مسند أبى داود الطيالسى ص ۸۴ و ۱۳۰ و ۲۹۳ و كنز العمال ج ۲ ص ۵۶۰ و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰۶ و المستدرك للحاكم ج ۲ ص ۲۵۷.

(۲) البحار ج ۱۹ ص ۹۰ و ج ۳۳ ص ۱۶۷ و ۱۰۱ ص ۱۵۸ و مستدرك سفينة البحار ج ۶ ص ۵۶۹ و عيون أخبار الرضا (ط مؤسسة الأعلمى سنة ۱۴۰۴ ه) ج ۱ ص ۹۳ و ۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۲

انقطاع الهجرة بالفتح، لأنه جار على قاعدة: ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

و يشير إلى ذلك قوله «عليه السلام»: «قلت: هذا من روايتكم عن أبى سعيد الخ ..»، فإن هذا القول لو كان ثابتا عنده و عندهم، لكان الأولى أن يقول: «قلت: هذا من الحديث الثابت عن رسول اللّه».

و أما حكم الإمام «عليه السلام»: بأن معاوية ليس من الصحابة، فيتلخص فى أن كلام النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد تضمن جعل مسلمة الفتح فى مقابل أصحابه، فدل ذلك على أنهم ليسوا منهم، و قد كان معاوية من مسلمة الفتح، فهو إذن ليس من أصحابه «صلى اللّه عليه و آله».

العباس يتلقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و بعد .. فإننا كما نشككك بقوة فى ان يكون العباس قد خرج مهاجرا، لوجود الرواية الصحيحة سندا، و المصرحة بكونه من الطلقاء، بالإضافة إلى قرائن أخرى، فإننا نشك أيضا: فى دقة التعبير الذى ورد فى نصوص أخرى، من أنه خرج يتلقى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و سبب شكنا فى ذلك هو الأمور التالية:

۱- إن العباس لم يكن يعلم بقدوم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى مكة، بل إن الجيش القادم نفسه لم يكن يعلم بحقيقة مقصد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». و قد أوضحنا ذلك أكثر من مرة.

۲- إن الاختلاف فى المكان الذى التقى فيه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يؤكد شكنا فى نوايا الرواة لهذا الأمر ..

۳- إن تلك الرواية الصحيحة السند التى اعتبرته من الطلقاء، تؤكد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۳

على أنه إنما أسلم تحت وطأة الخوف من هذا الجيش القادم، و لم يسلم طوعا، و من يكون من الطلقاء لا يخرج لتلقى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فالظاهر هو: أنه قد جرى للعباس مثلما جرى لأبى سفيان و بديل بن ورقاء و غيرهما. أى أنه إنما خرج يتنسم الأخبار .. فأبعد عن مكة أكثر من أبى سفيان، فواجه الجيش العظيم القادم، فاضطر إلى الاستسلام، و إظهار الإسلام، ثم عاد مع ذلك الجيش إلى مكة، و لقى أبا سفيان و من معه فى الطريق، و كان ما كان مما سيأتى بيانه إن شاء اللّه.

أين لقى العباس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!:

و قد ذكرت النصوص المتقدمة مواضع مختلفة ادّعت أن العباس لقى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فيها.

ففى بعضها: أنه لقيه بالأبواء ..

و فى بعضها: أنه لقيه بالجحفة.

و قيل: بذى الحليفة.

و قيل: بالسقيا.

و قيل: بثنية العقاب.

و الأبواء بالنسبة للآتى من المدينة إلى مكة تقع قبل الجحفة مما يلى الجحفة بثلاثة و عشرين ميلا «۱». فتكون على بعد خمسة أيام من المدينة.

و الجحفة تقع على أربع مراحل و نصف من جهة مكة، و تبعد خمس

---

(۱) معجم البلدان ج ۱ ص ۷۹ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۱۸ و مراصد الإطلاع ج ۱ ص ۱۹ و فتح البارى ج ۴ ص ۲۸ و عمدة القارى ج ۱۴ ص ۲۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۴

مراحل و ثلثى مرحلة من المدينة (أو ست مراحل) «۱».

و ذو الحليفة يبعد عن المدينة ستة أميال أو سبعة «۲».

و أما السقيا، فهى على نحو أربعة أيام من المدينة، و هى بالنسبة للآتى من المدينة إلى مكة، قبل الأبواء بأحد عشر ميلا «۳».

أما ذكر ثنية العقاب فهو غلط، لأن ثنية العقاب قرب غوطة دمشق «۴» و ليست بين مكة و المدينة.

و بعد ما تقدم نقول:

لا بد من تحديد الموضع الذى التقى فيه النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالعباس، و بأبى سفيان بن الحارث، و عبد اللّه بن أبى أمية إذ لا يمكن أن يلتقى به فى جميع هذه المواضع المتباعدة عن بعضها البعض بما قد يصل إلى عشرات الأميال.

---

(۱) راجع: معجم البلدان ج ۳ ص ۶۲ و (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۲ ص ۱۱۱ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۷۴ و راجع: مراصد الإطلاع ج ۱ ص ۳۱۵. راجع:

مراصد الإطلاع ج ۱ ص ۳۱۵.

(۲) معجم البلدان ج ۲ ص ۲۹۵ و ۳۲۵ و ج ۵ ص ۱۵۵ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۴۱۶ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۹۳ و مراصد الإطلاع ج ۱ ص ۴۲۰ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۱۵۴ و القاموس المحيط ج ۳ ص ۱۲۹ و تاج العروس ج ۱۲ ص ۱۴۸.

(۳) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۳۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۱۳۵ و فى معجم ما استعجم ج ۳ ص ۹۵۴ من السقيا إلى الأبواء تسعة عشر ميلا.

(۴) مراصد الاطلاع ج ۱ ص ۳۰۱ و راجع: معجم البلدان ج ۲ ص ۸۵ و ج ۳ ص ۲۱ و ج ۴ ص ۱۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۵

تناقض و اختلاف الروايات:

إننا نلمح اختلافا و تناقضا فى قصة عبد اللّه بن أبى أمية، و أبى سفيان بن الحارث.

و هذا يشير إلى: أن ثمة تصرفا، بل تعمدا للكذب فى النصوص، باستثناء واحدة من الروايات، قد يمكن للباحث تحديدها، و قد لا يمكن ..

و على سبيل المثال لا الحصر نقول: هناك رواية تقول: إن العباس قد كلم النبى «صلى اللّه عليه و آله» بشأن عبد اللّه بن أمية، و أبى سفيان بن الحارث ..

لكن رواية أخرى تصرح: بأن العباس رفض أن يكلم النبى «صلى اللّه عليه و آله» بشأن ابن أبى أمية، رغم أن ابن أبى أمية قد طلب من العباس ذلك ..

و هناك رواية تقول: إنه لما كلمت أم سلمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قبل منها و رضى عنه، و دعاه و قبل توبته ..

لكن رواية أخرى تقول: إنه لم يرض عنه، و لم يقبل منه، رغم ملازمته له، إلى أن جرى ما جرى فى حرب حنين.

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يرد السلام و لا يقبل التوبة:

و من الأمور التى تثير أكثر من سؤال: ما زعمته بعض الروايات المتقدمة، من أن عبد اللّه بن ابى أمية سلم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلم يرد عليه السلام، و أعرض عنه، و لم يجبه بشىء ..

كما أنها صرحت: بأنهم أخبروه بأنه قد جاء تائبا. و لكنه «صلى اللّه عليه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۶

و آله» أعرض عنه، و خشى عبد اللّه أن يقتل، فشكى ذلك إلى أخته أم سلمة ..

و نقول:

۱- إننا نشك فى صحة ذلك، إذ لم نعهد من أخلاق الرسول الكريم «صلى اللّه عليه و آله» أن يسلّم عليه أحد، ثم لا يجيبه.

كيف، و قد أنزل اللّه تعالى فى كتابه الكريم: وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها ..؟! «۱».

۲- إن نفس مجيء هؤلاء إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مستسلمين، تائبين- كما صرحت به الرواية- ملتمسين منه أن يقبلهم يجعلهم مصداقا لقوله تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ .. «۲».

۳- إن المفروض: كما صرح به العباس و أم سلمة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أن هذا المذنب قد جاء تائبا .. و لا نجد مبررا لعدم قبول توبته ..

و قد قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ .. «۳».

و أصرح من ذلك قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ

---

(۱) الآية ۸۶ من سورة النساء.

(۲) الآية ۲۵ من سورة الشورى.

(۳) الآية ۹۴ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۷

اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً .. «۱».

و هؤلاء قد ظلموا أنفسهم، و قد جاؤوا النبى «صلى اللّه عليه و آله» تائبين مستغفرين .. فلماذا يعرض عنهم، و يرفض إجابة طلبهم، و قبول توبتهم؟!

فكيف إذا أخذنا بالرواية التى أكدت على إصرار عبد اللّه بن أبى أمية على الفوز برضى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و استمر ملازما للنبى «صلى اللّه عليه و آله» ملتمسا رضاه إلى أن صار إلى حنين، و خاض تلك الحرب، و واجه الأهوال فيها «۲».

و ماذا نصنع بالكثير الكثير من الآيات و الروايات الشريفة التى تأمر بالعفو، و تبشر الناس بقبول توبة التائبين ..

إلا أن يدّعى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أراد أن يظهر صدق ذلك الرجل فيما يدّعيه من التوبة، ليقطع دابر الإشاعات المغرضة التى ربما تثار حول سبب العفو، و أنه هو القرابة التى كانت لابن الحارث أو لابن أبى أمية، و أنها إنما قبلت منهما لأنها كانت توبة نصوحا، لا لأجل القرابة.

و لكن لو صحت هذه الدعوى لكان يجب أن يعامل العباس بنفس هذه المعاملة، ليثبت أن قبوله لا لأجل قرابته من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

---

(۱) الآية ۶۴ من سورة النساء.

(۲) راجع: الإستيعاب ج ۳ ص ۸۶۸ و الإصابة ج ۴ ص ۱۰- ۱۲ و مستدركات علم رجال الحديث ج ۴ ص ۴۴۶ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۷ و ج ۲۰ ص ۲۱۶ و ج ۲۲ ص ۴۳ و الخصائص الفاطمية للكجورى ج ۲ ص ۱۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۸

و أما بالنسبة للسؤال عن كيفية وصول الذين أهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دمهم إليه، فيجاب: بأن طرق الوقاية من الأذى متيسرة

لهم، و يكفى أن يحتمى بأحد المسلمين، و يأتى معه، كما فعل عثمان بالنسبة لعبد اللّه بن سعد بن أبى سرح.

تاللّه لقد آثرك اللّه علينا:

و حينما كلّم العباس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بشأن أبى سفيان بن الحارث و ابن أبى أميـة قد ركّز على أن هذا ابن عم النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و ذاك ابن عمته .. ظنا منه أن القربى النسبية وحدها تكفى للتجاوز عن ذنب ذينك الرجلين ..

و لكن الحقيقـة هى: أن الإسـاءة تختلف فى طبيعتهـا و فى أحكامهـا. فـإن كانت إساءة للشـخص، كان للصـفح عنها، و لمراعاة القربى الرحمية فيها مجال، بل لا مجال لسوى ذلك من نبى كريم لم يزل يحث الناس على صلة القربى، و الصفح عن المسيئين ..

و إن كانت الإساءة منهما للدين، و للأمة، و تمثل جرأة عظيمة على اللّه تبارك و تعالى، فلا يحق لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يصـفح عن مرتكب ذلـك، إذا لم يكن النـدم و التوبـة من نفس هـذ الـذنب العظيم .. و لم يظهر من أولئـك التائبين و لا من الطالبين للصفح عنهم، أن هذا هو ما جاؤوا من أجله.

بل الذى ظهر هو: أنهم يريدون اسـتجلاب رضـى شـخص رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله»، بهدف إصلاح العلاقة معه كشخص، من أجل حفظ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۷۹

نفوسهم و مصالحهم، و بغض النظر عن أى شىء آخر.

فجاء الرفض النبوى لقبولهما، منسـجما مع طبيعـة ذنبهما، و موجها لحقيقـة ما يطلب منهما، حيث لم يظهر منهما ما يدل على الرغبة فى إصـلاح علاقتهما باللّه سـبحانه، و الإعتراف بخطأهما فى ممارساتهما التى كانت تهـدف إلى إضـعاف دين اللّه، و زعزعـة يقين الناس بهذا الدين.

و قـد أشار النبى «صـلى اللّه عليه و آله» إلى هـذه الحقيقـة حين أعلن عن سـبب موقفه منهما، و هو: أن أحـدهما قد هتك عرضه، لأنه كان يهجوه، و يظهر الإستهانة به، و يصغّر من شأنه كشخص، توصلا لإسقاط هيبته، و إضعاف دعوته و تكذيب نبوته.

كما أن الآخر قد اقترح عليه اقتراحات تهدف هى الأخرى إلى تكذيبه فى نبوته، من حيث إنها تدخل الشـبهة على الضعفاء، و تجعلهم يصدقون المقولة الباطلة فى لزوم كون النبى «صلى اللّه عليه و آله» من غير البشر.

أى أنه يريد أن يفهم الناس: أن من يرقى إلى السماء، و يفعل تلك الخوارق لا يمكن أن يكون بشرا ..

و على هـذا الأسـاس: إن اسـتجاب النبى «صـلى اللّه عليه و آله» لتلـك المطالب، فإما أن يكون ليس من جنس البشـر، أو يكون ساحرا كذابا، و العياذ باللّه .. و إن لم يستجب لها ظهر أنه ليس صادقا فى ادّعائه النبوة.

مع أنه لو جاء بكتاب يقرؤونه و نحو ذلك لفتح لهم باب الجدال بالباطل و التكذيب و الاتهام على مصراعيه ..

و بذلك تكون الشـبهة قد دخلت على الناس فى جميع الأحوال .. و هذه جريمة كبرى، و جرأة عظيمة على اللّه سبحانه و تعالى و على رسوله، و على دينه ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۰

و لذلك جاءه الرد الإلهى، ليؤكد بشرية الرسول «صلى اللّه عليه و آله»:

.. قُلْ سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا «۱».

مع العلم: بأن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» كان قد فعل من المعجزات ما يكفى لإسـقاط جميع هذه المطالب، فقد عرج به إلى السماء، و أثبت لهم صـدق ذلك بما أخبرهم به من أمور حصـلت لقافلتهم .. و قد نبع لهم الماء من بين أصابعه، كما أنه قد جاءهم بكتاب قد عجزوا عن مجاراته، و عن الإتيان بسورة من مثله، و لو بمقدار سورة الكوثر ..

و قد ظهر بذلك كله: أن ذنب عبد اللّه بن أبى أمية كان عظيما فى حق الدين و الرسالة، و كان جرأة على اللّه تبارك و تعالى، و ليس أمرا شخصيا ليصح الصفح عنه لمجرد القرابة و الرحم ..

و لكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد استجاب و أنعم بالرضا حين عملوا بمشورة على «عليه السلام»، بأن يقولوا للنبى «صلى اللّه عليه و آله» ما قاله إخوة يوسف «عليه السلام»: تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ «۲».

و ذلك لأن هذه المبادرة تعنى أمرين:

أحدهما: الاعتراف بالخطأ فى اختيار الخط و النهج الذى كانوا عليه، لا الخطأ فى الممارسة الجزئية تجاه شخص بعينه، و قد ظهر هذا من خلال ربط هذا الخطأ- على سبيل المقابلة- بالفقرة الأولى المتضمنة لبعثة اللّه تعالى له

---

(۱) الآية ۹۳ من سورة الإسراء.

(۲) الآية ۹۱ من سورة يوسف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۱

بالنبوة، و الإعتراف بصدقه «صلى اللّه عليه و آله».

الثانى: الإقرار بنبوته «صلى اللّه عليه و آله»، و أنه سبحانه هو الذى أرسله، و آثره بهذا الأمر دون سائر البشر ..

و هذا هو الذى يصلح ما أفسدوه، و يبطل كيدهم، و يكسر شوكتهم، و تكون كلمة الباطل هى السفلى، و كلمة اللّه هى العليا ..

و من أحسن قولا من اللّه:

و بعد .. فقد قال اللّه تعالى: وَ قُلْ لِعِبادِى يَقُولُوا الَّتِى هِيَ أَحْسَنُ «۱».

و قال عز و جل: وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ «۲».

فالتوجيه الإلهى للناس كلهم يقضى بإلزامهم باختيار الأحسن من القول و الفعل، و هذا يحتم عليهم معرفة الأمور، و التمييز بين حسنها و قبيحها، ثم الوقوف على الحسن و الأحسن منها.

و النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو أولى الناس بالالتزام بالتوجيه الإلهى، بحيث لا يرضى إلا أن يختار أحسن القول، و أحسن الفعل؛ ليكون ذلك هو طبيعته و سجيته، و هو الذى يفيد فى رسم أجمل صورة للحياة، و يعطيها معناها اللائق بها، الذى أراده اللّه تعالى لها.

و قد كان على «عليه السلام» يريد ان يعرّف الناس على هذه الحقيقة، و لا سيما من كان يجحد و يعاند ..

---

(۱) الآية ۵۳ من سورة الإسراء.

(۲) الآية ۷۷ من سورة القصص.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۲

هنات و هنات فى رواية الواقدى:

اشارة

و قد نلمح فى رواية الواقدى العديد من القرائن التى تضعف من درجة الإعتماد عليها، فإضافة إلى ما تقدم من شكنا فى صحة ما ورد

فيها، من عدم جواب النبى «صلى اللّه عليه و آله» لابن أبى أمية حينما سلم عليه نشير إلى الأمور التالية:

ألف: اعتراض أم سلمة:

إن من دلائل وضع الرواية المشار إليها: أنها تضمنت اعتراض أم سلمة على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بشمول قاعدة: الإسلام يجب ما قبله لهذه الموارد. ثم تسليمه «صلى اللّه عليه و آله» بصحة اعتراضها.

إذ لا يمكن أن يغفل النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن قرار أو حكم إلهى ثابت، فكيف إذا كان هو الذى جاء بتشريعه، و صدر عنه مباشرة، ثم تذكّره به امرأة، أو تكون هى المرشدة له فى تطبيقه الصحيح!!

و يزيد فى بشاعة هذا الأمر أن هذا الحكم أو القرار له ارتباط بنحو أو بآخر بحقوق الناس، و بمصائرهم، أو بكراماتهم و مواقعهم فى الدنيا و الآخرة.

إذ من البديهى: أن خطأه «صلى اللّه عليه و آله» أو غفلته، ينافيان عصمته، و يضعان نبوته و أهليته لها أمام ألف سؤال و سؤال.

ب: أبو سفيان بن الحارث، و الإسلام:

و لا نجد حرجا فى تقرير أن لدينا بعض الريب فيما ذكرته الرواية: من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۳

أن اللّه ألقى الإسلام فى قلب أبى سفيان بن الحارث ..

فإنه هو نفسه يتابع الحديث ليدلل فيه: على أن خروجه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن رغبة منه بالإسلام، بل كان خوفا من القتل بعد أن أهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دمه، و قد ضاقت عليه الدنيا، و لم يعد يجد أحدا يصحبه، أو يكون معه بعد أن ضرب الإسلام بجرانه.

ج: علم ابن الحارث بقدوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و قد زعمت الرواية المتقدمة: أن ابا سفيان بن الحارث قال لزوجته و ولده: تهيأوا للخروج، فقد أظل قدوم محمد عليكم ..

و نحن نشك كثيرا فى صحة ذلك، فإن أحدا من أهل مكة لم يكن يعلم بقدوم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بل من أهل المدينة أنفسهم، حتى ذلك الجيش العرمرم الذى كان مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن يعرف مقصد النبى «صلى اللّه عليه و آله»، حتى بلغ مشارف مكة، حسبما أوضحناه فيما سبق، فمن أين علم أبو سفيان بن الحارث بقدومه «صلى اللّه عليه و آله» ليخبر زوجته و ولده بذلك؟!

و لعل الصحيح هو: أن هذا الرجل كان يعيش حالة من الرعب، بسبب هدر دمه من قبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فكان يتوقع القتل عند رؤية أى إنسان يحتمل أن يكون من المسلمين.

و قد صرحت الرواية: بأنه قد أظهر خوفه من القتل مرات عديدة، فخرج يطلب الأمان لنفسه من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، متوسلا إليه بقرابته منه، ظنا منه أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يتأثر بذلك،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۴

حتى على حساب دينه، و إسلامه، فالتقى برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و جرى له معه ما تذكره الروايات التى تقدمت.

د: هل سيفرح المسلمون بإسلام ابن الحارث؟!:

و قد زعمت الرواية: أن أبا سفيان بن الحارث يقول: إنه كان على يقين بأن المسلمين سيفرحون بإسلامه فرحا شديدا، لقرابته من النبى «صلى اللّه عليه و آله» .. و أنه كان يرجو أن يفرح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بإسلامه لقرابته و شرفه ..

و نقول:

إنه سواء أكان هذا الكلام صحيحا، أو كان راويه قد افتراه كله أو بعضه، فإنه يعبر عن طبيعة تفكير قائله، و عن المفاهيم و الإنطباعات التى يعيشها فى نفسه .. حتى إنه ليظن أن ما يفرح النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين بإسلام أبى سفيان بن الحارث هو مجرد قرابته منه «صلى اللّه عليه و آله»، و شرفه فى قومه، و ليس هو نجاة هذا الرجل من غضب اللّه تعالى، و خروجه من ذل معصيته إلى عز طاعته جل و علا ..

إنه يفكر كما يفكر الجاهلون، و ينطلق من معاييرهم و مفاهيمهم، مع أن الإسلام لم يقم وزنا لقرابة أبى لهب، و لا لشرفه فى قومه، و أنزل فيه سورة قرآنية خالدة تذكر الناس بخزيه إلى يوم القيامة ..

و لسنا بحاجة إلى التذكير بما ورد فى القرآن عن ابن نوح، و عن زوجتى نوح و لوط ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۵

ه: بطولات أبى سفيان بن الحارث فى حنين:

و أما فيما يرتبط ببطولات أبى سفيان بن الحارث التى يدّعيها لنفسه فى معركة حنين، فسيأتى فى حينه أنها لا يمكن أن تصح، و سنرى أن الناس كلهم قد فروا فى تلك الغزوة باستثناء على «عليه السلام» ..

فلا حاجة لاستباق الأمور .. لكننا نقول:

إنه يكفى للحكم على هذه الرواية بالكذب و الوضع: أنها تدّعى أن أبا سفيان بن الحارث قد طرد جيش الأعداء فى حنين قدر فرسخ، و تفرقوا فى كل وجه ..

و: يا للأنصار! يا للخزرج!!:

و من أمارات سوء النوايا فى هذه الرواية أيضا: أنها تزعم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أمر العباس بأن ينادى: يا للمهاجرين! يا للأنصار! يا للخزرج! فأجابوا ..

فإن الاقتصار على ذكر الخزرج من فئة الأنصار، و عدم نداء الأوس مما لا يمكن قبوله من النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»، لأن هذا الأمر من شأنه أن يحدث أسوأ الأثر فى نفوس و فى مواقف قبيلة الأوس، التى كانت قبل مجىء النبى «صلى اللّه عليه و آله» تتصاول مع الخزرج تصاول الفحلين، على حد تعبير النصوص التاريخية ..

ز: سؤال النبى صلّى اللّه عليه و آله عن أبى سفيان بن الحارث:

و ذكرت الروايۀ المتقدمۀ أيضا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لما رأى أبا سفيان مجردا سيفه فى حنين و قد أخذ بلجام بغلۀ النبى «صلى اللّه عليه و آله»

الصحيح من السيرۀ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۶

قال لعمه العباس: من هذا؟!

قال أبو سفيان: فذهبت أكشف المغفر.

فقال العباس: أخوك، و ابن عمك، أبو سفيان بن الحارث، فارض عنه، أى رسول اللّه!!

قال: قد فعلت.

فإن من غير المعقول أن لا يعرفه النبى «صلى اللّه عليه و آله» و يعرفه العباس، مع أنه كان من رفقاء الصبا، كما أنه لم يزل منذ لقى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى الأبواء يتعرض له، يلازمه، و يسعى لاسترضائه، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يعرض عنه كما صرح أبو سفيان نفسه فى الروايۀ المشار إليها ..

عمر يغرى بأبى سفيان بن الحارث:

و قد ذكرت تلك الروايۀ: أن عمر بن الخطاب قد أغرى أنصاريا بقتل أبى سفيان بن الحارث ..

و السؤال هو: إن هذا الإغراء قد يحصل وفق سياق روايۀ الواقدى، التى هى موضع البحث، و قد يحصل أيضا وفق سياق باقى الروايات، و فى جميع الأحوال نقول:

لماذا يغرى عمر بخصوص أبى سفيان بن الحارث ابن عم النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و لا يغرى بعبد اللّه بن أبى أميۀ الذى أهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دمه، أو بحكيم بن حزام، أو ببديل بن ورقاء؟ ألم يكن أبو سفيان من أقارب النبى «صلى اللّه عليه و آله» كما كان العباس من أقاربه؟

الصحيح من السيرۀ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۷

و قد صرح عمر: بأن إسلام العباس كان أحب إليه من إسلام الخطاب التماسا لرضا الرسول «صلى اللّه عليه و آله». بل لماذا يغرى الآخرين بقتل ابن الحارث؟ ألم يكن الأجدر به أن يبادر هو إلى فعل ما يغرى به غيره؟! فيقوم بقتل أبى سفيان بنفسه، إذا كان يرى صحۀ قتله بدون مراجعۀ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى ذلك!!

ثم لماذا يغرى بقتله رجلا من الأنصار، و يترك جميع المهاجرين؟!

هل يمكن أن يفهم من ذلك: أن عمر يريد إلقاء فتنۀ بين قريش و بنى هاشم، و أهل مكۀ و بين أهل المدينۀ؟! و بين العدنانيين و القحطانيين، و بين بنى هاشم بالخصوص و بين سائر الناس؟!

ثم ألا يذكرنا إغراؤه الأنصار بقتل رجل من بنى هاشم بالسعى الذى كان هو نفسه قد بذله يوم بدر لقتل عقيل و العباس الهاشميين بيد بنى هاشم أنفسهم؟! و ألا يؤكد ذلك صحۀ اتهامهم له فى نواياه و أنه لو كان الأسير من بنى عدى لم يطلب هذا الطلب؟!

الصحيح من السيرۀ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۸۹

الفصل الثامن: أبو سفيان فى أيدى المسلمين

اشارۀ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۹۱

زعماء يربأبهم النبى صلى اللّه عليه و آله عن الشرك:

عن عطاء قال: لا أحسبه إلا رفعه إلى ابن عباس قال: قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليلة قربه من مكة فى غزوة الفتح: «إن بمكة لأربعة نفر من قريش أربأبهم عن الشرك، و أرغب لهم فى الإسلام».

قيل: و من هم يا رسول اللّه؟

قال: «عتاب بن أسيد، و جبير بن مطعم، و حكيم بن حزام، و سهيل بن عمرو» «۱».

و نقول:

۱- قد ذكر بعضهم: أن جبير بن مطعم أسلم بعد الحديبية، و قبل الفتح. مع أن هذه الرواية تشير إلى أن حاله حال الثلاثة المذكورين معه.

و قالوا: أسلم بين الحديبية و الفتح «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۹ عن ابن عساكر، و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۵ ص ۱۰۶ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۴ ص ۴۱۹ و تهذيب الكمال ج ۷ ص ۱۸۲ و تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۳۴۸ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۹۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۷۵۹ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۷۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و (ط دار المعرفة) ص ۱۸ و ج ۲ ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۹۲

و قيل: فى الفتح «۱».

و قيل: عام خيبر «۲». و لا يهمنا تحقيق ذلك.

۲- إن علينا الإشارة هنا إلى أن إطلاق هذا القول من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فيه إغراء لهؤلاء بالتخلى عن العناد و الجحود. أو هو على الأقل يضعف عزائمهم فى ذلك، و يلوح لهم بأن الجسور مفتوحة، و يمكنهم العبور إلى شاطئ الأمان، فى ظل الرعاية الإلهية، ليكون أقل شراسة و حماسة فى مقاومة هذا الدين، و يهيئ السبيل بذلك للتخفيف من حدة الضغوط منهم على من يرتبط بهم من أقارب، و حلفاء، و ما إلى ذلك ..

۳- لكن علينا أن لا ننسى: أن هذا القول يشير إلى رذالة أخلاقية كان هؤلاء الأربعة يمارسونها، فإنهم رغم رجاحة عقولهم، التى تجعل من اعتناقهم للشرك، و محاربتهم للحق و لأهله طيلة هذه السنين أمرا غير منطقى، و لا مستساغ، خصوصا مع ما يرونه من التأييدات و الألطاف الإلهية و المعجزات، بل إن ذلك يجعل عملهم هذا فى غاية القبح، و يشير إلى

---

(۱) راجع: الإصابة ج ۱ ص ۲۲۶ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ۱ ص ۲۳۰ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۲ ص ۶۲ و ج ۳ ص ۱۸ و المحلى ج ۱۱ ص ۶۲ و عمدة القارى ج ۱۰ ص ۳ و ج ۱۴ ص ۲۹۵ و التمهيد لابن عبد البر ج ۹ ص ۱۴۷ و خلاصة تهذيب الكمال ص ۶۰ و إسعاف المبطأ ص ۲۳ و المعارف لابن قتيبة ص ۲۸۵ و المنتخب من ذيل المذيل للطبرى ص ۵۲ و الوافى بالوفيات ج ۱۱ ص ۴۴ و أعيان الشيعة ج ۴ ص ۶۷.

(۲) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ۱ ص ۲۳۰ و التمهيد لابن عبد البر ج ۹ ص ۱۴۷ و أعيان الشيعة ج ۴ ص ۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۹۳

سقوطهم المخزى و المشين فى حمأة الشهوات، و يؤكد لجوءهم إلى الجحود عن علم و معرفة بالحق و بأهله.

منام أبى بكر:

عن ابن شهاب: إن أبا بكر قال: يا رسول اللّه!! أرانى فى المنام و أراك دنونا من مكة، فخرجت إلينا كلبة تهرّ، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها، فإذا هى تشخب لبنا.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ذهب كلبهم، و أقبل درّهم، و هم سائلوكم (بأرحامكم) بأرحامهم، و إنكم لا قون بعضهم، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه» «۱».

و لا ندرى إن كان هذا القول من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد أريد به تعبير منام أبى بكر.

أم أنه جاء على سبيل التفاؤل بذهاب الكلب، و إقبال الدر؟!

أم أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أجرى كلامه على هذا النحو ليسجل إخبارا غيبيا صادرا عن مقام النبوة الأقدس، ليكون ذلك من دلائل نبوته؟!

و ربما يؤيد هذا المعنى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد عقب ذلك بالإخبار

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۴ عن البيهقى، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۲ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۵۴۲ و منتخب الكلام فى تفسير الأحلام لابن سيرين ج ۱ ص ۳۸۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۸ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۹۴

عن وقائع غيبية سوف تحصل، و هو قوله: «و هم سائلوكم بأرحامهم.

و إنكم لاقون بعضهم»، مصرحا باسم أبى سفيان من بين سائرهم، ثم أصدر أوامره المتضمنة لكيفية التعاطى معه.

جيش الإسلام فى مر الظهران:

قال عروة: و عميت الأخبار عن قريش، فلم يبلغهم حرف واحد عن مسير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لا يدرون ما هو فاعل. و هم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب «۱».

و رووا عن ابن عباس أنه قال: مضى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عام الفتح حتى نزل مر الظهران عشاء، فى عشرة آلاف من المسلمين، و قد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لا يدرون ما هو صانع «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۴ عن ابن إسحاق، و الواقدى، و به جزم ابن عائذ، و غيرهم. و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۳ و راجع ص ۱۲۷ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۰ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۲۷۹ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۵ و إمتاع الأسماع ج ۸ ص ۳۸۵ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۵ و المعجم الكبير ج ۸ ص ۱۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۹.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۴ عن إسحاق بن راهويه، و الحاكم، و البيهقى، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۲۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۷ و ۷۸ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۵ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۳ و ۱۲۷ و المغازى للواقدى ج ۲-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۹۵

و أمر «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه أن يوقدوا عشرة آلاف نار، و جعل على الحرس عمر بن الخطاب «۱».

و عن عروة قال: لما سار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عام الفتح، بلغ ذلك قريشا، فخرج أبو سفيان بن حرب يتحسس الأخبار.

و قالت قريش لأبى سفيان: إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا. (زاد الواقدى قوله: «إلا أن ترى رقة من أصحابه، فآذنه بالحرب») «۲».

فخرج هو و حكيم بن حزام، فلقيا بديل بن و رقاء، فاستتبعاه، فخرج معهما يتحسسون الأخبار، و ينظرون هل يجدون خبرا، أو يسمعون به.

فلما بلغوا الأراك من مر الظهران، و ذلك عشيا، رأوا العسكر، و القباب، و النيران كأنها نيران عرفة، و سمعوا صهيل الخيل، و رغاء الإبل، فأفزعهم ذلك فزعا شديدا.

- ص ۸۱۴ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۵۳۸ و شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۳۲۰ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۴۳ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۸ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۴۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۳۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۶.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و (ط دار المعرفة) ص ۱۵ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۴ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۰ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۶ و فتح البارى ج ۸ ص ۵ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۲۷۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۸ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۸ و ج ۸ ص ۳۸۵ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۲۷۵.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۹۶

قال عروة- كما فى الصحيح-: فقال بديل بن ورقاء: هؤلاء بنو كعب- و فى رواية بنو عمرو: يعنى بها خزاعة- حمشتها (حاشتها) الحرب.

فقال أبو سفيان: بنو عمرو أقل من ذلك «۱».

و لكن لعل هذه تميم أو ربيعة «۲».

قالوا: فتنجعت هوازن على أرضنا؟! و اللّه ما نعرف هذا، إن هذا العسكر مثل حاج الناس «۳».

و عن ابن عباس: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما نزل مر الظهران، رقت نفس العباس لأهل مكة، فقال: وا صباح قريش، و اللّه لئن دخلها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

قال العباس: فأخذت بغلة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الشهباء

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۴ و ۲۱۵ و فى هامشه عن البخارى ج ۷ ص ۵۹۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و راجع: مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۳ و ۱۲۸ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۴ و راجع: كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۰۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۳ ص ۴۴۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۳۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۵۳.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۸ و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۱۰۸ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۰.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۴ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۸ و غريب الحديث ج ۲ ص ۵۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۲۹۷

(البيضاء)- و عند الواقدى: أنها الدلدل «۱»- فركبتها، و قلت: ألتمس حطابا، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتى مكة، فيخبرهم بمكان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ليخرجوا إليه، فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، فو اللّه، إنى لفى الأراك ألتمس ما خرجت إليه، إذ سمعت كلام أبى سفيان و بديل بن ورقاء، و هما يتراجعان، و أبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قط و لا عسكرا!

فقال بديل بن ورقاء: هذه و اللّه خزاعة حمشتها الحرب.

فقال أبو سفيان: خزاعة أقل و أذل من أن تكون هذه نيرانها و عسكرها.

قال العباس: فعرفت صوت أبى سفيان، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتى.

فقال: لبيك يا أبا الفضل، مالك فداك أبى و أمى!!

فقلت: ويلك!! هذا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى عشرة آلاف.

فقال: وا صباح قريش، و اللّه بأبى أنت و أمى، فما تأمرنى؟ هل من حيلة؟

قلت: نعم، إركب عجز هذه البغلة، فأذهب بك إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فاستأمنه لك، فإنه و اللّه إن ظفر بك دون رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لتقتلن.

قال أبو سفيان: و أنا و اللّه أرى ذلك.

فركب خلفى، و رجع صاحباه- كذا فى حديث ابن عباس و عند ابن

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۵.

إسحاق و محمد بن عمر: أنهما رجعا- و ذكر ابن عقبة و محمد بن عمر فى موضع آخر: أنهما لم يرجعا، و أن العباس قدم بهم إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» انتهى «۱».

و عن حكيم بن حزام: أنه خرج هو و أبو سفيان يتنسمان الأخبار، فلقى العباس أبا سفيان، فذهب به إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله».

قال حكيم بن حزام: «فرجعت، و دخلت بيتى، فأغلقته علىّ، و دخل النبى «صلى اللّه عليه و آله» مكة، فأمّن الناس، فجئته، فأسلمت و خرجت معه إلى حنين» «۲».

و فى موضع آخر عند الواقدى: قال العباس: هذا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى عشرة آلاف من المسلمين، فأسلم، ثكلتك أمك و عشيرتك، ثم أقبل على حكيم و بديل، فقال: أسلما، فإنى لكما جار حتى تنتهوا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فإنى أخشى أن تقطعوا دون النبى «صلى اللّه عليه و آله».

قالوا: فنحن معك.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۵ و ۲۱۶ عن إسحاق بن راهويه، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۳ و ۱۲۷ و ۱۲۸ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۶ و ۸۱۸ و ۸۱۹ و راجع ص ۸۱۵ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۶۸ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۰۶ و ۵۰۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۳ ص ۴۵۰ و ۴۵۱.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۵.

فجاء بهم إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

و فى سياق آخر، قال العباس: فجئت بأبى سفيان، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول اللّه «صلى

اللّه عليه و آله» و أنا عليها، قالوا: عم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فلما رآنى، قام، فقال: من هذا؟

قلت: العباس، فذهب ينظر، فرأى أبا سفيان خلفى، فقال: أى عدو اللّه!! الحمد للّه الذى أمكن (أمكننى) منك بغير عقد و لا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و ركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء، فاجتمعنا على باب قبة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فاقتحمت عن البغلة، قدخلت على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و دخل عمر على أثرى، فقال عمر: يا رسول اللّه!! هذا أبو سفيان قد أمكن اللّه منه بغير عقد و لا عهد، فدعنى فلأضرب عنقه.

قال: قلت: يا رسول اللّه، إنى قد أجرته.

ثم التزمت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأخذت برأسه، فقلت:

و اللّه، لا يناجيه الليلة دونى رجل.

فلما أكثر عمر فى شأنه، قلت: مهلا يا عمر، فو اللّه لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا، و لكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف.

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۰ و ۸۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۰

فقال: مهلا يا عباس- و فى لفظ: يا أبا الفضل- فو اللّه لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم، و ما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من إسلام الخطاب لو أسلم «۱».

و قيل: إن العباس قال: فقلت: يا رسول اللّه!! أبو سفيان بن حرب، و حكيم بن حزام، و بديل بن ورقاء قد أجرتهم، و هم يدخلون عليك.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «أدخلهم».

فدخلوا عليه، فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و دعاهم إلى الاسلام.

فقالوا: نشهد أن لا إله إلا اللّه.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۶ و فى هامشه: عن ابن أبى شيبة ج ۱۴ ص ۴۷۵، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و ۷۹ و (ط دار المعرفة) ص ۱۷ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۷۱ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۳ و ۱۰۴ و ۱۲۸ و راجع: شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۳۲۰ و ۳۲۱ و الدرر لابن عبد البر ص ۲۱۶ و شرح نهج البلاغة ج ۱۷ ص ۲۶۹ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۹۴ و تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۳۸۱ و تفسير البغوى ج ۴ ص ۵۳۸ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۱۲۲ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۴۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۳ ص ۴۴۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۳۱ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۵۴۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۳۱ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۳ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۶۲ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۸ و شرح إحقاق الحق ج ۳۳ ص ۱۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۱

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «اشهدوا أن لا اله الا اللّه و أنى رسول اللّه».

فشهد بديل، و حكيم بن حزام.

و قال أبو سفيان: ما أعلم ذلك، و اللّه إن فى النفس من هذا لشيئا بعد، فارجئها «۱».

و عند أبى شيبة، عن أبى سلمة، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أنه قيل لحكيم بن حزام: بايع.

فقال: أبايعك و لا أخر إلا قائما.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أما من قبلنا فلن تخر إلا قائما.

انتهى «۲».

و قيل لأبى سفيان ذلك، فقال: كيف أصنع باللات و العزى؟

فقال عمر بن الخطاب- و هو خارج القبة-: إخرأ عليها، أما و اللّه لو كنت خارج القبة ما قلتها.

فقال أبو سفيان: من هذا؟

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۶ عن ابن عقبة و الواقدى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و (ط دار المعرفة) ص ۱۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۵ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۵۹.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۶ عن ابن أبى شيبة، و الفايق فى غريب الحديث ج ۱ ص ۳۱۲ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۳۳ و غريب الحديث لابن سلام ج ۲ ص ۱۳۲ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۲

قالوا: عمر بن الخطاب «۱».

زاد فى الحلبية قوله: فقال أبو سفيان: ويحك يا عمر، إنك رجل فاحش، دعنى مع ابن عمى، فإياه أكلم «۲».

و عند المجلسى: قال أبو سفيان: «أف لك ما أفحشك، ما يدخلك يا عمر فى كلامى و كلام ابن عمى» «۳».

قال العباس: فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتنى به».

قال: فذهبت به إلى رحلى «۴».

و قالوا: فلما أذّن الصبح أذّن العسكر كلهم: أى أجابوا المؤذن.

ففزع أبو سفيان من أذانهم، فقال: ما يصنع هؤلاء؟

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۹ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۱ و راجع: فتح البارى ج ۸ ص ۶ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۳۲ و تفسير السمرقندى ج ۲ ص ۴۳.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و (ط دار المعرفة) ص ۱۸.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۹ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۱.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و (ط دار المعرفة) ص ۱۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۹ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۱، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۱ و عون المعبود ج ۸ ص ۱۸۰ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۴۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۳۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۶۲ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۳

قال العباس: فقلت: الصلاة.

قال: كم يصلون؟

قلت: خمس صلوات فى اليوم و الليلة. (و عند الواقدى: قال: كثير و اللّه).

ثم رآهم يتلقون وضوء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: ما رأيت ملكا قط كاليوم، لا ملك كسرى و لا قيصر.

قال العباس: فلما صلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الصبح غدوت به.

و عند ابن عقبة، و محمد بن عمر: أن أبا سفيان سأل العباس فى دخوله على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

و عن أبى سلمة، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: فلما أصبحوا قام المسلمون إلى طهورهم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل!! ما للناس أمروا فىّ بشىء؟

قال: لا، و لكنهم قاموا إلى الصلاة.

فأمره العباس فتوضأ، و ذهب به إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فلما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الصلاة كبّر و كبّر الناس، ثم ركع، فركعوا، ثم رفع، فرفعوا، ثم سجد فسجدوا، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم طاعة، قوم جمعهم من ههنا و ههنا، و لا فارس الأكارم، و لا الروم ذات القرون بأطوع منهم له. يا أبا الفضل!! أصبح ابن أخيك و اللّه عظيم الملك.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۷ عن ابن عقبة، و الواقدى، و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۹ عن إعلام الورى، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۵ و ۸۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۴

فقال العباس: إنه ليس بملك، و لكنها النبوة.

قال: أو ذاك؟!

قال العباس: فلما فرغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «يا أبا سفيان!! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا اللّه»؟!

قال: بأبى أنت و أمى!! ما أحلمك و أكرمك، و أعظم عفوك! إنه لو كان مع اللّه إله لقد أغنى عنى شيئا (يوم بدر و يوم أحد) بعد، لقد استنصرت إلهى، و استنصرت إلهك، فو اللّه ما لقيتك من مرة إلا نصرت علىّ، فلو كان إلهى محقا و إلهك مبطلا لقد غلبتك.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول اللّه»؟

قال: بأبى أنت و أمى ما أحلمك و أكرمك، و أعظم عفوك! أما هذه فو اللّه إن فى النفس منها شيئا حتى الآن.

فقال العباس: ويحك! أسلم قبل أن تضرب عنقك.

فشهد شهادة الحق، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أشهد أن محمدا رسول اللّه. (زاد فى نص آخر قوله: تلجلج بها فوه) «۱».

و ظاهر كلام ابن عقبة، و محمد بن عمر فى مكان آخر: أن أبا سفيان قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أشهد أن محمدا رسول اللّه من غير أن يعرض ذلك عليه أحد.

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۹ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۱ و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۱۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۵

قال: قال أبو سفيان، و حكيم بن حزام: يا رسول اللّه جئت بأوباش الناس، من يعرف و من لا يعرف إلى أهلك و عشيرتك؟!

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «أنتم أظلم و أفجر، قد غدرتم بعهد الحديبية، و ظاهرتم على بنى كعب بالإثم و العدوان فى حرم اللّه تعالى و أمنه».

فقال حكيم، و أبو سفيان: صدقت يا رسول اللّه. ثم قالا: يا رسول اللّه!! لو كنت جعلت جدك و مكيدتك لهوازن، فهم أبعد رحما، و أشد عداوة لك؟

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «إنى لأرجو من ربى أن يجمع لى ذلك كله. فتح مكة، و إعزاز الإسلام بها، و هزيمة هوازن، و غنيمة أموالهم و ذراريهم، فإنى أرغب إلى اللّه تعالى فى ذلك» «۱».

و قال فى نص آخر: فصار إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: فقال العباس: هذا أبو سفيان صار معى إليك فتؤمنه بسببى.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أسلم تسلم يا أبا سفيان.

فقال: يا أبا القاسم! ما أكرمك و أحلمك؟

قال: أسلم تسلم.

قال: ما أكرمك و أحلمك؟

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۷ و ۲۱۸ عن ابن أبى شيبة، و فى هامشه عن: كنز العمال برقم (۳۰۱۷۳) و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و ۸۰ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۴ و ۱۲۸ و ۱۲۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۵ و ۸۱۶ و ۸۱۷ و ۸۱۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۶

قال: أسلم تسلم.

فوكزه العباس و قال: ويلك إن قالها الرابعة و لم تسلم قتلك.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: خذه يا عم إلى خيمتك.

و كانت قريبة، فلما جلس فى الخيمة ندم على مجيئه مع العباس، و قال فى نفسه: من فعل بنفسه مثل ما فعلت أنا؟ جئت فأعطيت بيدى، و لو كنت انصرفت إلى مكة فجمعت الأحابيش و غيرهم فلعلى كنت أهزمه.

فناداه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من خيمته، فقال: «إذا كان اللّه يخزيك».

فجاءه العباس، فقال: يريد أبو سفيان أن يجيئك يا رسول اللّه.

قال: هاته.

فلما دخل قال: ألم يأن أن تسلم؟

فقال له العباس: قل، و إلا فيقتلك.

قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أنك رسول اللّه.

فضحك «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: رده إلى عندك.

فقال العباس: إن أبا سفيان يحب الشرف فشرفه.

فقال: من دخل داره فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن «۱».

و نقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات، هى التالية:

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۸ و ۱۱۹ عن الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۷

إنه ليس بملك:

إنهم قد رووا: أن العباس إنما رفض مقولة أبى سفيان: «أصبح ابن أخيك و اللّه عظيم الملك»، من حيث إن ذلك يستبطن عدم اعترافه بنبوته «صلى اللّه عليه و آله» .. و إلا فقد قال تعالى عن داود: وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ «۱».

و قال حكاية عن سليمان: قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي .. «۲»

من الذى كان مع أبى سفيان؟!:

و قد اختلفت الروايات فى الأشخاص الذين كانوا مع أبى سفيان، و فى إسلامهم معه و عدمه، و فى أمور كثيرة أخرى ..

فرواية تقول: لم يشعر أهل مكة برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى نزل العقبة. و كان أبو سفيان و عكرمة بن أبى جهل قد خرجا يتجسسان خبرا، و نظرا إلى النيران، فلم يعلما لمن هى ..

ثم لقيهما العباس، فاصطحب أبا سفيان إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و رجع عكرمة إلى مكة «۳».

و لكن روايات أخرى ذكرت: بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام. و لم تذكر عكرمة.

---

(۱) الآية ۲۰ من سورة ص.

(۲) الآية ۳۵ من سورة ص.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۸ عن الخرايج و الجرائح ج ۱ ص ۱۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۸

و بعضها ذكر: أن بديلا و حكيما رجعا إلى مكة، و لم يذهبا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» مع العباس و أبى سفيان.

و بعضها الآخر يقول: بل ذهبا معهما إليه «صلى اللّه عليه و آله».

لم يبلغهم حرف واحد:

و فى حين يقول عروة: عمّيت الأخبار عن قريش، فلم يبلغهم حرف واحد عن مسير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لا يدرون ما هو فاعل، و هم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم .. يعود عروة هذا ليناقض نفسه، فيقول: لما سار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عام الفتح، بلغ ذلك قريشا.

و قوله الأول هو الصحيح، لأن الرواية عن ابن عباس و غيره تؤيده.

بالإضافة إلى نصوص كثيرة أخرى.

و رغم أن الرواية الثانية قد صرحت: بأن قريشا قالت لأبى سفيان: إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا، فإنها أيضا قد صرحت: بأن أبا سفيان و من معه لم يخطر فى بالهم أن يكون هذا الجيش العظيم الذى يرونه هو للنبى «صلى اللّه عليه و آله»، بل ذهبت أوهامهم إلى خزاعة تارة، و إلى تميم أخرى، و إلى ربيعة ثالثة، ثم إلى هوازن رابعة ..

تزوير الحقائق:

و لكن ما نريد أن نبينه للقارئ الكريم هو أن كتابنا هذا قد حفل بالكثير الكثير مما يشير إلى تزوير عروة و أضرابه للحقائق، و اختلاقهم للترهات، رغم شدة تحاشينا فى هذا الكتاب عن الإستغراق فى مناقشة أقوال هؤلاء الناس، الذين أرادوا أن يستأثروا لأنفسهم بمقام ليسوا من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۰۹

أهله، ألا- و هو مقام حفظ العلم، و الشريعة، و التاريخ، و كل الحقائق التى تحتاجها الأمة عبر الأجيال، مع أنهم إنما قدموا لها بحرا زاخرا بالأباطيل و الأضاليل، و الخزعبلات، و الخرافات، حتى إذا ضاقت بهم السبل، و اضطروا للاعتراف بشيء من الحقيقة، فإنك تراهم يثيرون حولها أجواء من الريبة و الشك و الإتهام، و يشبعونها حذلقة، و تمويها و تشويها.

عشرة آلاف نار لماذا؟!:

و لسنا بحاجة إلى بيان أهدافه «صلى اللّه عليه و آله» حين أمر أصحابه بإيقاد عشرة آلاف نار .. الأمر الذى بهر عتاة و جبابرة أهل الشرك، و فراعنة قريش.

و قد تقدم: أن أبا سفيان، و حكيم بن حزام، و ابن ورقاء فزعوا فزعا شديدا حين رأوا تلك النيران، كأنها نيران عرفة.

و لو لا أنهم رأوا القباب و العسكر الجرار، و سمعوا صهيل الخيل، و رغاء الإبل، لأمكن أن يتسرب إلى أوهامهم احتمال أن تكون فئة صغيرة هى التى أوقدت هذه النيران الكثيرة.

لقد تأكد لديهم:

١- أن من يوقد هذه النيران، يريد أن يعلم أعداءه بحضوره، غير آبه بهم، و لا خائف منهم .. و أنه لم يأت متسللا، و لا مغيرا يريد أن يربح المعركة عن طريق المباغتة، لتعوض المباغتة ضعفه، أو لتوهن شيئا من قدرات عدوه ..

٢- إنه يريد بإيقاد هذه النيران الكثيرة أن يظهر حجم قوته،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۰

و حضورها، و سعتها و امتدادها، لتساعد تلك النيران أولئك الناظرين الذين قد يكونون فى مرتفع، على رؤية أول و آخر رجل جاء لقتال عتاة الشرك، من دون أن تغرقهم عيونهم فى ضباب الإبهام، بسبب الظلمة التى قد تمنع العيون من الإحاطة بها.

و تبين حجم الامتداد و السعة إذا كان ذلك الجيش عشرة آلاف مقاتل، و معهم الخيول المقاتلة، و الإبل الحاملة للأثقال، و المساعدون، و ربما الكثير من النساء، و الأتباع .. فإن ذلك يحتاج إلى مساحات شاسعة فى حركة ذلك الجمع و فى نزوله على حد سواء.

إذن، فقد كان طبيعيا أن يتحير أبو سفيان و من معه فى هوية هذا الجيش الذى أمامهم هل هو خزاعة، أو تميم، أو ربيعة؟!.

إن لقيت محمدا فخذ لنا أمانا:

و أما بالنسبة إلى ما رواه عروة: من أن قريشا قالت لأبى سفيان: إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا، فلا يمكننا تأييده. خصوصا إذا صدقنا عروة فى زعمه: أن قريشا كانت قد علمت بمسير النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..

لأنها إن كانت تعلم بمسير النبى «صلى اللّه عليه و آله» إليها، أو لو علمت بالمسير دون أن تعلم بالمقصد، فإن المفروض بها: أن تحتاط للأمر، و تتجهز للقائه فى ساحات القتال ..

إلا إذا كان قد بلغ بها الضعف حدا يدعوها للاستسلام على كل حال .. ففى هذه الحالة لم يكن ثمة داع لاستسرار النبى «صلى اللّه عليه و آله» بمسيره، و بمقصده؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۱

اللهم إلا إذا فرض: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يعلم بضعف قريش هذا .. و هو أمر لا مجال لقبوله، فإنه «صلى اللّه عليه و آله» كان مطلعا على أحوال مكة، واقفا على قدراتها، عارفا بنواياها، و توجهاتها.

بل إن الأمر قد كان ميسورا لأى قائد آخر، إذ إن عهد الحديبية قد سهّل انتقال أخبار مكة و أهلها إليه، خصوصا من مسلمى مكة الذين كانوا منتشرين فى مختلف البيوت، و من جميع الطبقات و الفئات.

العباس الناصح لقريش على بغلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و واضح: أن ركوب العباس على بغلة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و بحثه عن رسول يرسله إلى قريش، لا يمكن أن يكون بدون علم النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»، بل ذلك- فيما يظهر- داخل فى صلب خطة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لأخذ مكة من أولئك الجبارين و الظالمين من دون قتال، و ذلك باعتماد طريقة ترسيخ القناعة لدى أقطابها بعجزهم عن مناجزته الحرب، إلا إذا كانوا يريدون أن يلقوا بأيديهم إلى الدمار و البوار.

و قد كان العباس أفضل رسول إلى قريش و زعمائها، فإنهم على قناعة تامة بأنه لا يمكن أن يفرط بهم، كما أثبتته لهم تجربتهم الطويلة معه ..

فإذا جاءتهم النصيحة من قبل العباس، فإنهم لا يرفضونها، و لا يستغشونه.

و قد ظهر من تفدية أبى سفيان للعباس بأبيه و أمه، مدى عمق علاقة المودة و الصفاء فيما بينهما، حتى إنه يجعل نفسه رهن إشارة العباس ..

ثم يظهر العباس هنا بمظهر القوى الحازم، الذى يفرض رأيه و قراره

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۲

بدون أى تحفظ، بل هو يقول لأبى سفيان: ثكلتك أمك و عشيرتك.

على أن نفس ركوب العباس بغلة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، من شأنه أن يطمئن أولئك المعاندين و المستكبرين إلى أن مكانة أبى الفضل محفوظة عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أن كلمته مؤثرة لديه.

كما أن أحدا من المسلمين لا يجرؤ على إخفار جواره، إذا دخلوا هذا المعسكر العرمرم معه و فى حمايته، فكيف إذا أردف رأس الشرك خلفه، و حمله معه؟

فالعباس بعد كل هذا هو الوسيلة الأكثر أمنا فى الطريق، و الأكثر فاعلية و تأثيرا لدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و ربما يكون هناك اتفاق على طريقة عمل فيما بين العباس و بين هؤلاء، و قد تغاضى النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن التصريح للعباس بمعرفته بها ..

و استفاد العباس فى الوصول إلى الهدف الكبير و الخطير، ألا و هو دخول مكة من دون إراقة دماء .. كما سيتضح فى المطالب التالية ..

علم العباس بمكان أبى سفيان:

و بعد .. فإننا لا نستطيع أن نصدق ما يذكرونه من أن العباس قد ذهب إلى الأراك يبحث عن حطاب، أو عن صاحب لبن ليرسله إلى قريش ليحذرها من هذا الجيش القادم، و يدعوها إلى المبادرة إلى أخذ الأمان من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

بل الذى يظهر من مسار الأحداث هو: أن العباس كان عالما بمكان أبى سفيان، و بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام، و قد قصدهم

ليأتى بهم ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۳

الأمر الذى يشير إلى أنه قد يكون هناك اتفاق فيما بينه و بينهم على كل ما يجرى، إذا أردنا أن نظن أنه كان معهم من أول الأمر، ثم لما رأوا الجيش أرسلوه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأسلم، و توسط لهم لديه، ثم عاد ليأتى بهم. و لعله كان يظن أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يلتفت إلى طبيعة حركة العباس فى التمهيد لاستسلام أبى سفيان.

و الذى يدعونا إلى اعتماد هذا الاتجاه: أننا لا حظنا فيما سبق أن العباس كان من الطلقاء، و أن الدلائل و الشواهد لا تؤيد هجرته و لا حتى ملاقاته للنبى «صلى اللّه عليه و آله»، لا فى ذى الحليفة، و لا الجحفة، و لا السقيا، و لا الأبواء، و لا .. و لا ..

و قد لا حظنا هنا أيضا ما يلى:

۱- إنه لا معنى لقولهم: إن العباس قد ذهب يبحث عن حطاب، أو صاحب لبن، ليرسله إلى أهل مكة .. إذ إن الوقت كان ليلا، و لا يوجد حطاب و لا صاحب لبن فى هذا الوقت ..

۲- إن الحطاب أو صاحب اللبن إن كان من أهل مكة، فإنه لا يأتى من مكة كل هذه المسافة، بل هو يحتطب و يرعى فى محيط مكة نفسها.

و إن كان ممن يسكن الأراك، و مر الظهران، فلماذا يبحث عن حطاب أو صاحب لبن (راع) و يترك سكان البيوت فى تلك المنطقة، فليقصدهم، و ليكلف واحدا منهم بهذه المهمة ..

۳- إن أمرا بهذه الخطورة، و قرارا بهذا الحجم، و هو: أن يستسلموا، و يسلموا مكة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لا يصدق فيه حطاب، أو صاحب لبن، بل هو يحتاج إلى آراء الرجال التى يسكن إليها، و يعتمد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۴

عليها، فكيف إذا كان هذا الرسول ممن يظن فيه أن يكون العدو قد أرسله إليهم، ليسقط مقاومتهم، و يضعف إرادتهم، و يؤثر على قرارهم عن هذا الطريق، و بهذا الأسلوب ..

۴- لماذا خرج العباس بهذه المهمة ليلا، و لم يخرج لها نهارا؟!

۵- ما هذه الصدفة التى جعلت العباس يسمع كلمات أبى سفيان و يفهمها، فى حين كان أبو سفيان يحتاج إلى أن يتكلم بصوت خفيض لكى لا يشعر ذلك الجيش أو حرّاسه بوجوده.

كما أن المفروض: أن العباس يركب بغلة لا تراعى فى مسيرها عنصر السرية، و لا تسعى لإخفاء أصوات وقع حوافرها، و لعلها أصوات قوية، لما تصادفه فى طريقها من الحجارة و غيرها، خصوصا مع عدم قدرتها على الرؤية التى تمكنها من تجنب بعض الأحجار الكثيرة و سواها بسبب الظلام.

فلماذا لم يسمع أبو سفيان و رفيقاه وقع حوافر بغلة العباس، ليختاروا السكوت حتى يتبين لهم من يقصدهم؟! فلعله من أعدائهم الذين يجب أن يحترزوا منهم؟!

عمر و أبو سفيان:

و قد أكدت النصوص أيضا هذه النتيجة التى انتهينا إليها، فقد روى عن أبى ليلى، قال: كنا مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بمرّ الظهران، فقال: «إن أبا سفيان بالأراك فخذوه» فدخلنا، فأخذناه «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۴ و ۲۱۵ عن الطبرانى، و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۱۷۲ و (ط دار الكتب العلمية) ج ۶ ص ۱۶۹ و

المعجم الكبير ج ۷ ص ۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۵

فبينما هم- يعنى أبا سفيان، و حكيم بن حزام، و بديل بن ورقاء- كذلك، لم يشعروا حتى أخذهم نفر كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعثهم عيونا له، فأخذوا بخطم أبعرتهم.

فقالوا: من أنتم؟

فقالوا: هذا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أصحابه.

فقال أبو سفيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش، نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم؟ «۱».

و رووا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال للناس: إنكم لاقون بعضهم، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه «۲».

و عن عكرمة: أن أبا سفيان لما أخذه الحرس قال: دلونى على العباس، فأتى العباس فأخبره الخبر، و ذهب به إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۳».

فنستفيد من هذه النصوص، و من جميع النصوص المتقدمة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى أرشدهم إلى وجود أبى سفيان بالقرب منهم، و حدد لهم المكان الذى كان فيه، و أمرهم بأخذه، فأخذوه و من معه من دون أن يشعروا، و يبدو أن العباس كان مع تلك المجموعة، فطلب أبو سفيان

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۵ عن ابن عقبة، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و (ط دار المعرفة) ص ۱۷.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و (ط دار المعرفة) ص ۱۷.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۵ عن ابن أبى شيبة، و شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۳۱۴ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۲۶ و تفسير السمرقندى ج ۲ ص ۴۳ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۶

منه أن يتولى حمايته، و إيصاله إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ليأمن على نفسه، فحمله على البغلة التى أذن له النبى «صلى اللّه عليه و آله» بركوبها، لعلمه بالحاجة إليها خصوصا فى هذا المورد.

ثم لقيهم عمر بن الخطاب فى الطريق و عرف أبا سفيان، فحاول أن يستفيد من الفرصة لإظهار حرصه و غيرته على الإسلام، و شدته فى مناوأة أعدائه، فطلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يأذن له فى قتله.

و لعله كان يعلم: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لن يأذن له، و ذلك قياسا على الموارد الكثيرة جدا التى لم يستجب النبى «صلى اللّه عليه و آله» لطلبه فيها و لو مرة واحدة بأن يأذن له بقتل أسرى.

ترهات و أكاذيب:

و بعد ما تقدم نقول:

إن أبا سلمة و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قالا: أخذ أبو سفيان و أصحابه و كان حرس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفر من الأنصار، و كان عمر بن الخطاب تلك الليلة على الحرس، فجاؤوا بهم إليه.

فقالوا: جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة.

فقال عمر، و هو يضحك إليهم: و اللّه لو جئتمونى بأبى سفيان ما زدتم.

قالوا: قد و اللّه أتيناك بأبى سفيان.

فقال: احبسوه، فحبسوه حتى أصبح، فغدا به على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و قال ابن عقبة: لما دخل الحرس بأبى سفيان و صاحبيه، لقيهم العباس

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۷

بن عبد المطلب، فأجارهم «۱».

و نقول:

أولا: من الواضح: أن النصوص المتقدمة و هى الأكثر عددا، و الأوضح سندا و المعتمدة لدى المحدثين و المؤرخين، تدحض هذه المزاعم و تسقطها.

ثانيا: بالنسبة لما قيل من أنه لما دخل الحرس بأبى سفيان و صاحبيه لقيهم العباس فأجاره نقول: إنه لا يصح إجارة المحارب بعد أسره .. و ذلك واضح.

ثالثا: لا ندرى لماذا جعل النبى «صلى اللّه عليه و آله» الحرس من خصوص الأنصار، و لم يجعل بينهم أحدا من المهاجرين، و لا من غيرهم من مسلمى سائر البلاد، إلا إذا كان يتهم المهاجرين بمحاباة قومهم، أو بالتواطؤ معهم ضده ..

كما إننا لم نفهم لماذا خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن المألوف منه فى الموارد المشابهة، و جعل هنا فقط خصوص عمر- و هو من المهاجرين- على جماعة الأنصار؟!

بديل بن ورقاء خزاعى:

و زعمت بعض النصوص: أن بديل بن ورقاء هو الذى توهم أن ذلك

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۵ عن ابن أبى شيبة، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۹ و (ط دار المعرفة) ص ۱۷ و إمتاع الأسماع للمقريزى ج ۱ ص ۳۵۹ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۶۹ و فتح البارى ج ۸ ص ۵ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۴۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۸

الجيش النبوى العظيم الذى رأوا نيرانه هو قبائل خزاعة.

و يرد عليه: أن بديل بن ورقاء كان خزاعيا، و كان يعرف خزاعة و حججها، و هذا يرجح الرواية التى تقول: إن رجلا آخر قال: هذه خزاعة، فقال له بديل: هؤلاء أكثر من خزاعة «۱».

ما هذا التصافى و الإنسجام؟!:

ثم إن ما يثير العجب هنا هو هذا التوافق و الإنسجام التام بين بديل بن ورقاء، الزعيم الخزاعى، و بين زعماء قريش، التى شاركت فى البطش بقومه، و ارتكبت مجزرة رهيبة فى حقهم، و نقضت العهد مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالتعدى عليهم .. مع كون رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إنما يقدم مكة بهذا الجيش غضبا لخزاعة، و سعيا لتأديب قريش، و القضاء على بغيها و جبروتها الظالم.

و يؤكد هذا الذى نقوله: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حين أجاب حكيم بن حزام بقوله: «أنتم أظلم و أفجر، قد غدرتم بعقد الحديبية، و تظاهرتم على بنى كعب- يعنى خزاعة- بالإثم و العدوان، و فى حرم اللّه و أمنه». قال بديل بن ورقاء الخزاعى: «صدقت- و

اللّه- يا رسول اللّه، فقد غدروا بنا. و اللّه لو أن قريشا خلوا بيننا و بين عدونا ما نالوا منا الذى نالوا» «۲».

فإذا كان بديل يرى قريشا غادرة فاجرة، فما هذا التعاون و الانسجام

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۸ و (ط دار المعرفة) ص ۱۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۰ و (ط دار المعرفة) ص ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۱۹

مع زعمائها ضد حليفه الذى جاء لنصره، و رفع الظلم عنه؟!

و الأكثر غرابة هنا: أن يكون هذا الود و الصفاء بين بديل و بين أبى سفيان بالذات، فإن أبا سفيان هو الذى أرسلته قريش إلى المدينة ليحتال على النبى «صلى اللّه عليه و آله» و على المسلمين، ليضيع دماء أبنائهم، و ليساعد الغدرة و الظلمة فى غدرهم و ظلمهم، و فى التغطية عليهم، و إنكار حق خزاعة حتى بديات قتلاهم.

و قد قلنا فيما سبق:

إن فعل أبى سفيان هذا لعله أفحش و أقبح من فعل ناقضى العهد، و مرتكبى الجرائم فى حق خزاعة ..

حماس عمر لقتل أبى سفيان:

و قد قرأنا فى تلك النصوص أيضا: شدة حماس عمر لقتل أبى سفيان بمجرد أن رآه مع العباس على بغلة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و لكن ذلك يثير لدينا ألف سؤال و سؤال عن مدى وعى عمر للأمور، و تقديره لها، و غير ذلك .. و أول سؤال يقفز إلى الذهن هو: هل كان دائما يتحمس لقتل أبى سفيان بيده حتى فى ساحات القتال فى المعارك السابقة؟!

و إذا كان كذلك، فهل هو فى مستوى حماسه لقتله حين رآه أسيرا فى يد أهل الإسلام، لا حول له و لا قوة؟!

أم أنه كان فى ساحات القتال فى زمرة الضعفاء من المقاتلين، و فى طليعة المنهزمين حين تستعر نار الحرب، و يروج سوق الطعن و الضرب؟!

و هل كان فى الصفوف الأولى يبارز الفرسان، و يناجز الشجعان؟ أم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۰

كنت تراه فى الصفوف الخلفية، يحتمى بغيره، و مشغولا بحفظ نفسه؟!

تناقضات مواقف عمر و أبى بكر:

و قد كان عمر لم يزل يطلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يدعه يضرب عنق هذا الأسير و ذاك .. و قد تكرر منه ذلك مرات كثيرة جدا، و كان هو المطالب بقتل أسرى بدر، حتى رووا فى ذلك روايات شنيعة المضمون، من حيث إنها تهدف إلى الطعن بالرسول الأكرم نفسه «صلى اللّه عليه و آله»- حسبما تقدم بيانه فى غزوة بدر، فى فصل الغنائم و الأسرى.

و قد كان أبو بكر قرين عمر، وصفيه و حبيبه و نجيّه، و كانا معا يدا واحدة فى كل ما يجرى، فلماذا نجد لأبى بكر مسارا آخر فى هذه الأمور بالذات؟ فكيف اتفقا فى سائر القضايا و اختلفا فى خصوص هذا الأمر؟!

بل لم نسمع أن أبا بكر قد أيد عمر فى مواقفه هذه إلا مرة واحدة، و انعكست الأمور بينهما فى مرة واحدة أيضا .. أى أن عمر كان هو

الميال للقتل و العنف، و كان أبو بكر باستمرار هو الذى يهدئه، و يفئوه، و يردعه عن مضايقة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يمنعه من مواصلة الإلحاح عليه .. باستثناء مورد واحد، انعكست فيه الأمور، و تبدلت المواقف، فصار عمر هو حمامة السلام، و الداعى للصلح و المداراة و الوئام .. و أصبح أبو بكر فى موقع المصمم على الحرب و القتال مهما كانت النتائج ..

و لكن هذا التفاوت قد ظهر حين أصبحت الحرب مع المسلمين الرافضين للإعتراف بشرعية خلافة أبى بكر، و أصروا على عدم إعطائه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۱

الزكاة، و لم يكفروا بعد إسلامهم «۱»، فأصر أبو بكر على حربهم.

و أطلق كلمته المشهورة: «لو منعونى عقال بعير لجاهدتهم (أو لقاتلتهم) عليه» «۲».

و المورد الواحد الذى اتفق فيه هذان الرجلان هو: مخالفة أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى قتل أصل الخوارج، فنشأ عن مخالفة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فيه مفسدة عظمى حاقت بالأمة، و لا تزال آثارها تتفاعل فيها إلى يومنا هذا.

فقد رووا: أن أبا بكر قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: إنى مررت بوادى كذا و كذا، فإذ رجل متخشع، حسن الهيئة، يصلى ..

فقال له النبى «صلى اللّه عليه و آله»: إذهب إليه فاقتله.

فذهب إليه، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله» لعمر: إذهب فاقتله.

فذهب إليه فرآه على تلك الحال فكره أن يقتله.

فقال «صلى اللّه عليه و آله» لعلى «عليه السلام»: اذهب فاقتله .. فذهب إليه فلم يجده.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: إن هذا و أصحابه يقرؤون القرآن لا

---

(۱) راجع: المحلى لابن حزم ج ۱۱ ص ۱۹۳ و فرق الشيعة ص ۷ و المقالات و الفرق ص ۴ و راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۲۵۵ و تاريخ الردة ص ۱۰ و راجع:

مجمع الأمثال ج ۲ ص ۶۵ و الفتوح لابن أعثم ج ۱ ص ۵۸.

(۲) راجع مصادر ذلك تحت عنوان: الجرأة على الدماء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۲

يجاوز تراقيهم. و ذكر حديث الخوارج و مروقهم من الدين، و فى آخره:

فاقتلوهم هم شرّ البرية «۱».

و فى نص آخر: فقال على «عليه السلام»: أفلا أقتله أنا يا رسول اللّه؟!

قال: بلى أنت تقتله إن وجدته .. فانطلق على «عليه السلام» فلم يجده ..

أو نحو ذلك «۲».

و لكن ما يمكن أن نعتبره قاسما مشتركا فيما بين جميع هذه الموارد هو:

أن هذا المورد الأخير قد جاء موقفهما فيه مخالفا لأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

---

(۱) مسند أحمد ج ۳ ص ۱۵ و المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۱۵۵ و ۱۵۶ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۲۵ و ۲۲۶ و ۲۲۷ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۹۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۲ ص ۲۶۶ و ۲۶۷ و الكامل فى الأدب ج ۳ ص ۲۲۰ و ۲۲۱ و نيل الأوطار للشوكانى ج ۷ ص ۳۵۱ و المراجعات للسيد شرف الدين ص ۳۷۶ و ۳۷۸ و النص و الإجتهاد للسيد شرف الدين ص ۹۶ و الغدير ج ۷ ص ۲۱۶

و أهمية الحديث عند الشيعة للشيخ أقا مجتبى العراقى ص ۲۱۷ و فتح البارى ج ۱۲ ص ۲۶۶ و الفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ۱۲۱.

(۲) كشف الأستار عن مسند البزار ج ۲ ص ۳۶۰ و ۳۶۱ و العقد الفريد ج ۲ ص ۴۰۴ و راجع المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۱۵۵ و ۱۵۶ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۲۶ و ۲۲۷ و المناقب لابن شهر اشوب ج ۳ ص ۱۸۷ و ۱۸۸ عن مسند أبى يعلى، و الإعانة لابن بطة، و العكبرى. و زينة أبى حاتم الرازى، و كتاب أبى بكر الشيرازى و غيرهم و الطرائف ج ۲ ص ۴۲۹ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۹۸ و الغدير ج ۷ ص ۲۱۶ و حلية الأولياء ج ۲ ص ۳۱۷ و ج ۳ ص ۲۲۷ و الإصابة ج ۱ ص ۴۸۴ و النص و الإجتهاد ص ۹۳ و ۹۴ عن بعض ما تقدم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۳

و موقف أبى بكر فى قتل مانعى الزكاة هو الآخر مخالف للّه و لرسوله ..

و قد عاد عمر إلى رأى أبى بكر و وافقه عليه أيضا ..

كما أن طلبات عمر المتكررة بأن يجيز له الرسول قتل هذا و ذاك قد جاءت كلها على خلاف ما يريده اللّه و رسوله أيضا ..

فما هذا التوافق العجيب بين أبى بكر و عمر فى هذين الموردين على خلاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أن تكون جميع مواقف عمر مخالفة لما يريد اللّه و رسوله فى جميع المواقف المختلفة؟! ..

لا مبرر لقتل أبى سفيان:

۱- إن عمر كان مهتما بقتل أبى سفيان، مع أنه يعلم: أن هناك مسلمين كثيرين يعيشون فى مكة، و إن قتله قد يؤدى إلى ارتكاب المشركين مجزرة هائلة فى حقهم فيما لو حصل هيجان عارم لا يخضع للمنطق، و لا يستجيب لنداء العقل ..

۲- المفروض أن أبا سفيان قد أصبح فى قبضة أهل الإسلام، و لعل ذلك يفسح المجال لاتفاقات تؤدى إلى حقن الدماء، و انطلاقة الإسلام بقوة فى تلك المنطقة، فلماذا لا يترك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليعالج الأمور بحكمته و رويته؟! ..

۳- لماذا لا يسعى عمر لإدخال أبى سفيان فى الإسلام؟ ألم يكن إسلام أبى سفيان أحب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من قتله؟!.

مع ملاحظة: أن عمر كان يحب إسلام العباس أكثر من حبه لإسلام أبيه الخطاب لو كان حيا، لعلمه بسرور رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۴

بإسلام عمه ..

إلا إذا كان عمر يرى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» إنما يرغب بإسلام عمه .. لأنه عمه، و لا يرغب بإسلام أبى سفيان تعصبا منه ضد بنى عبد شمس، و لأنه عدوه المحارب له. فالعصبية العشائرية هى الحاكمة على مواقفه و تصرفاته «صلى اللّه عليه و آله»، و هذا المنطق سيء و خطير، لأنه ينتهى إلى الطعن بنبوة النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى عصمته و حكمته، و مزاياه. و هو مرفوض جملة و تفصيلا ..

اتهام العباس لعمر بن الخطاب:

إن العباس قد سجل اتهاما صريحا لعمر فى نواياه، و فى نوازعه العشائرية، و تعصباته القبائلية حين قال له:

«مهلا يا عمر! فو اللّه، لو كان من رجال بنى عدى ما قلت هذا.

و لكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف».

و لم يستطع عمر أن يدفع عن نفسه هذه التهمة إلا بادعاء آخر، من شأنه أن يزيد من وطأة اتهامه فى نواياه، و هو أنه كان يحب إسلام العباس، لأن ذلك يسر النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..

مع العلم: بأن إسلام أبى سفيان أيضا كان يسر النبى «صلى اللّه عليه و آله»، لأن هداية نسمة خير مما طلعت عليه الشمس، و لأن ذلك قد يوجب تنفيس الإحتقان فى المنطقة بأسرها. و لعل إسلام غيره ليس بهذه المثابة ..

فلماذا يريد عمر قتل هذا، و لا يهتم بإسلامه، دون ذاك؟!.

و نريد أن لا تفوتنا الإشارة إلى أن هذا الإتهام نفسه قد يوجه إلى عمر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۵

حين طالب بقتل أسرى بدر، حيث لم يكن فيهم أحد من بنى عدى أيضا «۱». الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲۱ ۳۲۵ إسلام العباس.. و إسلام الخطاب: ..... ص : ۳۲۵

إسلام العباس .. و إسلام الخطاب:

و بعد .. فإننا لم نستطع أن نتبين وجها مقبولا أو معقولا لقول عمر: إن إسلام العباس كان أحب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من إسلام الخطاب ..

و إنه «صلى اللّه عليه و آله» يريد إسلام كل الناس، و لا يفرحه إسلام هذا أكثر من إسلام ذاك، و لعل إسلام سلمان الفارسى كان أحب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من إسلام العباس، إذ كان إسلام سلمان من موجبات القوة للدين، أو كان أكثر صفاء، و أعظم رسوخا، و قوة و عمقا ..

و من الذى أخبر عمر بواقع إيمان الناس، و بدرجات رسوخ الإيمان فى قلوبهم؟!

و مع غض النظر عن ذلك كله، يبقى سؤال نطالب عمر بالإجابة عنه، و هو: إذا كان قد عرف محبة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لإسلام العباس، فهل هو أيضا قد عرف كراهته لإسلام أبى سفيان؟!.

و لماذا كان فى أيام خلافته يعظم أبا سفيان و العباس و يقدمهما بصورة لافتة، فقد كان يفرش لعمر فراش فى بيته فى أيام خلافته، فلا يجلس عليه أحد إلا العباس بن عبد المطلب و أبو سفيان بن حرب.

---

(۱) راجع موقفه هذا فى هذا الكتاب فى غزوة بدر، فصل: الغنائم و الأسرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۶

زاد المبرد قوله: هذا عم رسول اللّه، و هذا شيخ قريش «۱».

جوار العباس:

و قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن العباس قال لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إنه أجار أبا سفيان.

و ذكرت أيضا: أنه أجار بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام ..

و نقول:

إنه جوار لا- يصح، بل هو غير جائز، إذا كان يريد بهذا الجوار منع النبى «صلى اللّه عليه و آله» من التصرف المناسب فى حق أبى سفيان، و فى حق بديل، و حكيم ..

و يشهد لذلك: أنه لما قدم أبو سفيان المدينة يطلب تجديد عهد الحديبية، و الزيادة فى المدة، و طلب من رجالات الصحابة أن يجيروا بين الناس، قد واجه رفض ذلك منهم جميعا، و كانت حجتهم أنه ليس لأحد أن يجير على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و لأجل ذلك نلاحظ: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كما لم يلتفت إلى مطالبات عمر بن الخطاب بقتل أبى سفيان، لم يقم وزنا لجوار العباس لهؤلاء أيضا، بل بقى مصرا على إجراء حكم اللّه تعالى فيهم، إن لم ينطقوا بالشهادتين.

و هذا ما يدعونا إلى القول:

إنه إن كان قد أجار أحدا من هؤلاء، حتى على رسول اللّه «صلى اللّه

---

(۱) العقد الفريد ج ۲ ص ۲۸۹ و الكامل للمبرد ج ۱ ص ۳۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۷

عليه و آله»، فهو مخطئ بلا- ريب. و هو لا- يلزم لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بشىء من ذلك. و قد ظهر من تعامل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» معهم: أنه لم يلتفت إلى ما ادّعاه العباس من جوار ..

و إن كان العباس قد أجار هؤلاء الثلاثة: أبا سفيان، و حكيما و بديلا من سائر الناس لكى يصلوا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سالمين، ليرى فيهم رأيه، فهو تصرف مقبول، و يكون قول العباس لعمر عن أبى سفيان: إنى قد أجرته مجرد محاولة لحمايته من عمر، لكى لا يتسرع فى الإقدام على أمر خطير كهذا ..

هل مكث أبو سفيان عند النبى صلّى اللّه عليه و آله عامة الليل؟:

و هناك رواية ذكرت: أن العباس حين أدخل أبا سفيان و حكيما و بديلا على النبى «صلى اللّه عليه و آله» مكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم .. و انتهى الأمر بإسلام بديل و حكيم، و لكن أبا سفيان طلب التأجيل.

و نقول:

أولا- إننا نشك فى أن تكون هناك تفاصيل كثيرة ترتبط بشؤون الحرب و يحتاج النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى الوقوف عليها منهم، و يستغرق الاستخبار عنها هذا الوقت الطويل (عامة الليل). لا سيما و أن هذا الجيش الكبير قد ظهر ببلادهم فجأة، و لم يكن لديهم أية فرصة للإعداد و الإستعداد، و جمع الناس من البلاد.

و لو فرض: أنه كان يريد أن يستخرج منهم بعض الأمور، فلماذا لا يوكل أمر سؤالهم عنها إلى غيره؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۸

ثانيا: إذا كان العباس قد أسلم، و كان مقيما بمكة مثلهم، فإنه هو الآخر يستطيع أن يخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بما يريد معرفته.

و لو فرضنا: أنه كان قد خرج من مكة قبلهم، و قد استجدت أمور بعده و لم يعلم بها، فإن تلك الأمور لا تحتاج فى الاستخبار عنها إلى هذا الوقت الطويل.

ثالثا: لماذا يشعرهم بأنه محتاج إلى ما عندهم ما دام أنه مسدد بالوحى الصادق؟ فى حين أن المصلحة تقضى بأن يظهر لهم التسديد و الرعاية الإلهية له و لمسيرته «صلى اللّه عليه و آله» ..

إلا- أن يقال: إنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما كان يتعامل مع الأمور وفق مسارها الطبيعى، لا من خلال الوحى، و الغيب، إلا فى مواقع معينة، و وفق شروط و ضوابط لا تكون متوفرة فى هذا الموقف ..

رابعا: هل كانوا مأمونين على ما يخبرونه فى الأمور التى يسألهم، حتى لو افترضنا حاجته إلى العلم بها؟!

ملك أم نبوة؟!:

لقد مضى على بعثة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أكثر من عشرين سنة، عاش منها ثلاث عشرة سنة فى مكة، و أظهر لهم فيها تعاليم الإسلام، و بيّن للناس تعاليمه و أحكامه، و قرأ عليهم القرآن. و قد رأوا عن كثب معاملته لأصحابه، و نظرة أصحابه إليه، و تعاملهم معه. كما أنهم حتى بعد هجرته إلى المدينة فى السنوات الثمانى الأخيرة، لم ينقطعوا عن تتبع أخباره و رصد حركته.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۲۹

و لكنهم بالرغم من ذلك كله، ما زالوا يظهرون فى أفعالهم و أقوالهم ما يشير إلى خطأ فاحش فى أساس نظرتهم إليه، و إلى تعاليمه.

و يتجلى ذلك فى حوادث فتح مكة المختلفة، فقد حفلت تصريحات كثيرة لزعمائهم، بأن ما يرونه لدى محمد «صلى اللّه عليه و آله» هو الملك. رغم أنهم قد شاهدوا الكثير من المعجزات و الكرامات الدالة على أنها النبوة، و الرعاية و الإرادة الإلهية ..

و من المفردات التى تدخل فى سياق هذه السياسة من هؤلاء العتاة قول أبى سفيان للعباس أكثر من مرة: «لقد أصبح ابن أخيك- و اللّه- عظيم الملك». أو «ما رأيت ملكا قط كاليوم، لا ملك كسرى و لا قيصر» أو نحو ذلك ..

و يجيبه العباس بأنها النبوة، و ليست الملك ..

و من ذلك أيضا: أن حكيم بن حزام حين قيل له: بايع.

قال: «أبا يعك، و لا أخر إلا قائما».

فهو يراه ملكا مثل سائر الملوك، فى فارس و الروم و غيرها، لا بد من أن يخضع الناس له إلى حد أنهم يخرون سجدا أو ركعا بمجرد رؤيته تحية له ..

و كأن حكيم بن حزام أراد أن يشترط لنفسه أمرا يمتاز به عن غيره من العرب، و هو: أن لا يخر ساجدا أو راكعا فى تحيته له، بل يحييه و هو قائم.

و لكن جواب النبى «صلى اللّه عليه و آله» لحكيم قد بيّن: أنه لا توجد مطالب من هذا النوع فى قاموس تعامل الناس مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» .. فهو يقول: أما من قبلنا فلن تخر إلا قائما .. أى أنه ليس فى شرعنا، و لا فى قراراتنا المرتبطة بالتعامل مع الآخرين أى خضوع يصل إلى حد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۰

الركوع و السجود لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

عمر لا يراعى مجالس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و إذا صح ما ذكروه عن عمر بن الخطاب، من أنه قال لأبى سفيان الذى كان فى محضر النبى «صلى اللّه عليه و آله»: إخرأ عليها (أى على العزى) فهو غير مقبول منه من جهات:

إحداها: أنه يمثل جرأة على مقام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و خروجا عن الحدود، و مخالفة لأبسط اللياقات التى يفترض مراعاتها فى مجالس الناس العاديين، فكيف إذا كان ذلك بمحضر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». سيد رسل اللّه، و أفضل مخلوقاته تبارك و تعالى؟!

و قد أظهر أبو سفيان تقززه من هذا الفحش، فقال: أف لك ما أفحشك! أو قال: و يحك يا عمر، إنك رجل فاحش. و يمكن أن

يكون قد قال الكلمتين معا أيضا.

الثانيـة: إن ما صـنعه عمر قد جاء على سبيل استراق السـمع المذموم، و بطريقة الفضول و التدخل فيما لا يعنيه، فهو إنما كان فى خارج القبة، و قد ألقى كلامه من وراء الحجاب، من دون ان يدعوه أحد إلى ذلك ..

و لذلك قال أبو سفيان: «ما يدخلك يا عمر فى كلامى، و كلام ابن عمى».

أو قال: «دعنى مع ابن عمى، فإياه أكلم». و لعله قال الكلمتين معا.

الثالثة: إن هذا من الموارد التى ورد النهى عنها فى القرآن الكريم بخصوصـها، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۱

وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «۱». فلماذا يتدخل عمر و يقدم بين يدى اللّه و رسوله؟!

و علينـا أن لاـ نغفل الإشارة إلى تعبير أبى سـفيان عن رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» بقوله: ابن عمى، معتبرا عمر بن الخطاب رجلا غريبا عنهما، لكونه من بنى عدى. فهو ينطلق من موقعه العشائرى ليقطع بذلك الطريق على عمر ..

و لعل السـر فى أننا لم نسـمع أى تعليق أو اعتراض من النبى «صـلى اللّه عليه و آله» على هذا المنحى، و لم يقل لأبى سفيان أن المعيار هو الأـخوة الإيمانيـة و القرابـة الدينيـة لا العشائريـة .. هو: أن بإمكان أبى سـفيان أن يتنصل من هـذا الأمر، و يفكر فى أن يكون ذلك محط تفكيره و مرمى كلامه.

أبو سفيان يخاف من الأذان و الصلاة!!:

و قد زعمت النصوص: أن أبا سفيان قد فوجئ بأذان المسلمين، و قيامهم إلى طهورهم، فسأل العباس، فأجابه بأنها الصلاة.

و نقول:

۱- قد يقال: إن أبا سـفيان كان قد رأى النبى «صـلى اللّه عليه و آله» و المسـلمين يصلون فى مكة قبل الهجرة طيلة ثلاث عشرة سنة، و رآهم فى المدينـة قبل مدة يسـيرة، حينما ذهب ليطلب من النبى «صـلى اللّه عليه و آله» تجديد العهد، و الزيادة فى المدة، و سـمع فيها الأذان، و بقى أياما يتصل برجالات المهاجرين و الأنصار، يطلب منهم مساعدته فيما جاء له ..

---

(۱) الآية ۱ من سورة الحجرات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۲

فما معنى: أن يفزع من الأذان فى هذه المرة؟!

و الحقيقة هى: أن أبا سفيان قد سمع العسكر يجيبون المؤذن بصورة جماعية، فظن أنهم قد اتفقوا على أمر بعينه.

و يدل على ذلك: أن المسلمين حين قاموا إلى طهورهم، قال أبو سفيان للعباس: «ما للناس؟! أمروا فىّ بشىء»؟!

و هذا على قاعدة: كاد المريب أن يقول: خذونى.

أو كما قال تبارك و تعالى: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ .. «۱».

و نحن و إن كنا لا نستبعد احتمال أن يكون أبو سفيان قد رأى النبى «صلى اللّه عليه و آله» يصلى فى المسلمين جماعة فى المدينة .. غير أننا نقول:

إن صـلاة عشـرة آلاـف رجـل فى جماعـة واحـدة مع رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» لا بـد من أن يخيف أبا سـفيان، و يحركه إلى الإستفهام ..

و نعتقد: أننا لسنا بحاجة إلى بيان: أن الوضوء الذى نسبته بعض الروايات المتقدمة إلى أبى سفيان، و أن العباس أمره فتوضأ، إنما يقصد به مجرد غسل الوجه و اليدين .. و لا يراد به الوضوء بمعناه الشرعى عند أهل الإسلام، لأن أبا سفيان لم يكن قد أسلم آنئذ.

أسلم تسلم:

لقد حاول أبو سفيان التسويف فى الإقرار بالشهادتين، ربما لأنه كان

---

(۱) الآية ۴ من سورة المنافقون.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۳

يأمل بتجاوز هذه المرحلة، و هو يريد أن يحتفظ لنفسه بوضع خاص، يحفظ له محوريته بين أهل الشرك، و مرجعيته لهم.

أو على الأقل يريد أن يكون له ملك فى مقابل نبوة محمد، التى حاول أن يصر على أنها مظهر من مظاهر الملك أيضا .. فطلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يرجئ طلب الإقرار بالشهادة له بالنبوة.

فأعطاه «صلى اللّه عليه و آله» فرصة ليتدبر أمره فى تلك الليلة. و فى اليوم التالى: عاد ليكرر ذلك الطلب عليه، و يعود أبو سفيان إلى المراوغة مرة بعد أخرى، معتمدا على معسول من الكلام ظنا أنه يبلّغه إلى ما يريد ..

و لكن القضية لم تكن قابلة للإستمرار، لأن أبا سفيان ظل منذ أن بعث اللّه محمدا «صلى اللّه عليه و آله» يرتكب أعظم الجرائم و الموبقات و يحارب اللّه و رسوله، و يتسبب بإزهاق الأرواح، و ظلم النفوس، و العدوان على الناس فى كراماتهم، و فى حرياتهم، و فى جميع الشؤون .. و لا بد من إزالة تبعات ذلك كله، إما بالجزاء العادل، و هو مواجهة القتل فى الدنيا و العذاب فى الآخرة، فيما لو أصر على اللجاج و العناد، و على إعلان الحرب على الحق و أهله بالسيف، و بالكلمة، و بالموقف. و هذا فى حد نفسه جرم عظيم، و ظلم جسيم للدين و للمؤمنين .. و لا مجال للتجاوز عنه أو التساهل فيه ..

لأنه يقود إلى إضلال الناس، أو إلى استمرار كثير من الضالين على ضلالهم.

و إما أن يتراجع عن شركه، و يعلن إسلامه، و بطلان ما كان عليه، و يقر بخطئه فى مواقفه، و فى ممارساته السابقة. و بذلك يستفيد من سماحة الإسلام الذى منحه عفوا فى الدنيا عن جرائمه و عفوا فى الآخرة إن تاب توبة نصوحا ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۴

فيكون باختياره للإسلام قد سهل مهمة انتشار دعوة الحق، و ازال من أذهان بعض المستضعفين الذين يرتبطون به، بنحو أو بآخر، أية شبهة، و رفع أنواع الضغط النفسى، الذى كان يشعر به هؤلاء أو غيرهم، و يمنعهم من الدخول فى هذا الدين ..

و لأجل ذلك: كرر عليه النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» قوله:

أسلم تسلم. أى أنه يسلم من العقوبة على جرائمه فى الدنيا على أقل تقدير، حسبما بيناه ..

و بذلك يظهر: أن هذه الكلمة لا تعنى أن الإسلام يقهر على الإيمان، أو أنه انتشر بالسيف ..

بل هى تعنى: أن الذى يرتكب جريمة محاربة الحق، و يحارب اللّه و رسوله، و يسعى فى قتل أهل الحق لا يسلم من الجزاء العادل على عدوانه هذا إلا إذا أعلن تراجعه عن موقفه هذا .. و اعترف بخطئه فيما ارتكبه من جرائم ..

و قد تفضل اللّه تعالى عليه بهذا العفو، لأنه يريد أن يوفر على الأمة خسائر أكبر قد تنشأ من مواصلته مسيرته الإجرامية، حين يرى أنه هالك لا محالة ..

المعادلة التى اعتمد عليها أبو سفيان:

و قد استند أبو سفيان فى تقرير بطلان الشرك إلى معادلة تقول: إنه لو كان هناك إله آخر لكان أغنى عنه شيئا فى بدر، و فى أحد، و فى سواهما.

و لكن ليت شعرى لماذا لم يأخذ بهذه المعادلة منذ بدر، أو أحد، أو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۵

الخندق، ليكون قد وفر على الأمة تلك الويلات و المآسى التى أصابتها بسبب بغيه و إصراره على الجحود و العدوان؟

علما بأن طريقته هذه لا تؤدى إلى التوحيد التام، و إن كان هو قد نوه بذلك، لأن كلامه يدل على أن إله محمد «صلى اللّه عليه و آله» محق و إله أبى سفيان مبطل، و لكنه لا يدل على عدم صحة دعوى تعدد الآلهة.

لو لا المعجزة لم يسلم أبو سفيان:

و تذكر رواية الراوندى: أن ذلك كله لم يقنع أبا سفيان بإعلان إسلامه، رغم تحذير العباس له بأنه إن لم يسلم جوزى بالقتل ..

و لكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» عامله أيضا بالرفق، حيث أمر العباس بأن يأخذه إلى خيمته، و صار أبو سفيان يحدث نفسه: بأنه لو جمع الأحابيش، فلعله كان يهزم هذا الجيش، و إذ برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يناديه من خيمته، و يقول له: «إذن كان اللّه يخزيك».

و كان لا بد لأبى سفيان من أن يخضع للأمر الواقع فقد طفح الكيل، و بلغ فى لجاجه حدا لم يعد له عذر فيه، فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقرأ نواياه، و أقر أبو سفيان بالشهادتين مرغما ليحقن بذلك دمه.

فوفر على الناس المزيد من الخسائر، و انسحب من ساحة الصراع المسلح، ليدير صراعا آخر، و بطريقة أخرى، ليكون صراعا من الداخل يهدف إلى السعى للحصول هو و حزبه على أكبر قدر من المكاسب، بل على أهم المواقع و المناصب ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۶

و أصبح كما يقول صاحب الإستيعاب و غيره: كهفا للمنافقين «۱».

و لهذا البحث مجال آخر.

العتاب و الجواب:

و قد ذكرت النصوص المتقدمة: أن أبا سفيان و حكيم بن حزام قد عاتبا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأسلوب يفتقر إلى أبسط قواعد اللياقة و الأدب. حيث وصفا الجيش الذى كان معه بأنهم أوباش الناس، جاء ليحارب بهم أهله و عشيرته ..

و قد نسيا:

أولا: أن أبا سفيان نفسه لم يزل يجمع الأحابيش و الأوباش و غيرهم، لمحاربة من هو من أهلهما و عشيرتهما طيلة ما يقرب من عقد من الزمن. بل إن أبا سفيان لم يتلفظ بالشهادتين إلا بعد أن أعلمه النبى «صلى اللّه عليه و آله»: بأنه يحدّث نفسه لو أنه جمع الأحابيش لحرب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو من أهله و عشيرته ..

ثانيا: إن حرب أبى سفيان للنبى «صلى اللّه عليه و آله»، الذى هو من أهله و عشيرته، ما هى إلا حرب بغى و ظلم، و هتك لحرمات اللّه تعالى ..

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۳۵۱ و الإستيعاب (ط دار الكتب العلمية) ج ۴ ص ۵۸ و (ط دار الجيل) ص ۱۶۷۸ و الإكمال فى

أسماء الرجال للخطيب التبريزى ص ۱۰۴ و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۵۸ و راجع: الغدير ج ۳ ص ۲۵۳ و ج ۸ ص ۲۷۸ و شيخ المضيرة لأبى رية ص ۱۶۱ و النصائح الكافية لابن عقيل ص ۱۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۷

ثالثا: هل الاستعانة بمن يعرف و من لا يعرف لدفع الظلم و إقامة العدل، قبيحة و مرفوضه!! و لا يكون غدر قريش بخزاعة فى حرم اللّه و أمنه و نقضها لعهد الحديبية، و سعيها فى تكريس نتائج الغدر- لا يكون- قبيحا و مرفوضا؟!

إن ذلك كله يبين لنا مدى صدقية قوله «صلى اللّه عليه و آله» لحكيم بن حزام و لأبى سفيان:

«أنتم أظلم و أفجر، قد غدرتم بعهد الحديبية، و ظاهرتم على بنى كعب بالإثم و العدوان، فى حرم اللّه تعالى و أمنه».

و أما تحريضهما رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على هوازن، فلم يكن يهدف إلى إقامة الحق، و إجراء سنة العدل فى هوازن على يدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. بل كان من منطلق ظالم، و غير منطقى، لأنهم استندوا فى إغرائه بهم إلى أنهم أبعد رحما، و أشد عداوة له. و ليس هذا هو منطق الإسلام و نبى اللّه تعالى.

و قد جاءت إجابة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لهما شديدة الوقع، بالغة الأثر، حيث قال:

«إنى لأرجو من ربى أن يجمع لى ذلك كله: فتح مكة، و إعزاز الإسلام بها، و هزيمة هوازن، و غنيمة أموالهم، و ذراريهم».

و قد تضمنت هذه الكلمات كل ما يغيظ الكفار و يذلهم، و يخزيهم .. لأن جمع ذلك كله له سيكون بالنسبة إلى أبى سفيان و ابن حزام من أعظم الكوارث عليهما و على أهل الشرك .. بل إن الفوز بأية مفردة من تلك المفردات سيكون فيه أعظم الخزى و الذل للشرك و أهله .. و المفردات التى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۸

أشار إليها هى:

۱- فتح مكة: التى كانوا يستطيلون بها على العرب، و يمتلكون من خلالها قلوبهم، و يفرضون إرادتهم .. و فى التسلط على مكة، و إبطال نفوذهم أعظم الخزى و الذل لهم.

۲- إعزاز الإسلام فى نفسه و هذا أيضا سيكون من أعظم المصائب و الملمات على أهل الشرك .. فكيف إذا كان هذا الإعزاز فى مكة نفسها؟!

۳- هزيمة هوازن: و هذه أيضا: فاجعة كبرى لمشركى قريش، لأنهم يرون فيها سندا قويا لهم. و سقوطها معناه: أن يفقدوا بها أملا كان يهبهم بعض السكون و الطمأنينة.

۴- غنيمة أموال هوازن: و هذا معناه: أن لا تقوم لها قائمة بعدها، و أن تخرج من معادلة الحرب و الصراع بصورة تامة، و نهائية ..

۵- إن الأشد إيلاما لهم: أن النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» لا يعتمد فى تحقيق ذلك كله على نفسه و على هذا الجيش الهائل، بل هو يعتمد على ربه تبارك و تعالى .. الذى لم يكونوا فى أى وقت فى موقع رضاه، بل كانوا دائما فى موقع سخطه.

تصحيح اشتباه:

كان بديل بن ورقاء الخزاعى يقول: لما كان يوم الفتح أو قفنى العباس بين يدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و قال: يا رسول اللّه، هذا يوم قد شرفت فيه قوما، فما بال خالك بديل بن ورقاء، و هو قعيد حيه؟

قال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «إحسر عن حاجبيك يا بديل».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۳۹

فحسرت عنهما، و حدرت لثامى، فرأى سوادا بعارضى، فقال: كم سنوك يا بديل؟

فقلت: سبع و تسعون يا رسول اللّه.

فتبسم النبى «صلى اللّه عليه و آله» و قال: «زادك اللّه جمالا و سوادا، و أمتعك و ولدك، لكن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد نيف على الستين، و قد أسرع الشيب فيه، اركب جملك هذا الأورق و ناد فى الناس: «إنها أيام أكل و شرب».

و كنت جهيرا، فرأيتنى بين خيامهم و أنا أقول: أنا رسول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول لكم: إنها أيام أكل و شرب، و هى لغة خزاعة، يعنى الإجتماع «۱».

و نقول:

إننا لا نريد أن نزيد هنا شيئا على ما قاله المجلسى «رحمه اللّه»: «و المشهور:

أن هذا النداء كان فى حجة الوداع، لا عام الفتح» «۲».

---

(۱) الأمالى لابن الشيخ ص ۲۳۹ و (ط دار الطباعة و النشر- قم) ص ۳۷۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۵ و ج ۹۶ ص ۳۰۸ و راجع: الإصابة ج ۱ ص ۱۴۱.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۶.

الفهارس

اشارة

۱- الفهرس الإجمالى ۲- الفهرس التفصيلى

۱- الفهرس الإجمالى

القسم التاسع: فتح مكة الباب الأول: إلى مكة الفصل الأول: المجزرة ۹- ۴۴

الفصل الثانى: إلى المدينة: خبر و شكوى ۴۵- ۷۲

الفصل الثالث: أبو سفيان فى المدينة تدليس و خداع ۷۳- ۱۲۴

الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. و الهدف مجهول ۱۲۵- ۱۶۰

الفصل الخامس: ابن أبى بلتعة .. يتجسس و يفتضح ۱۶۱- ۲۱۲

الفصل السادس: على طريق مكة ۲۱۳- ۲۵۰

الفصل السابع: هجرة العباس و إسلام ابن الحارث و ابن أبى سلمة ۲۵۱- ۲۸۸

الفصل الثامن: أبو سفيان فى أيدى المسلمين ۲۸۹- ۳۴۰

الفهارس ۳۴۱- ۳۵۴

۲- الفهرس التفصيلى

القسم التاسع: فتح مكة ..

الباب الأول: إلى مكة الفصل الأول: المجزرة بداية: ۱۱

تاريخ فتح مكة: ۱۲

يوم خروج النبى صلّى اللّه عليه و آله من المدينة: ۱۴

يوم دخول مكة: ۱۵

مدة الإقامة فى مكة: ۱۷

خطأ فى البخارى: ۱۹

شهر رمضان لماذا؟!: ۲۱

الأحلاف فى الجاهلية و الإسلام: ۲۲

حلف خزاعة: ۲۲

سبب حلف خزاعة: ۲۴

حلف أهل الباطل: ۲۵

لا حلف فى الإسلام: ۲۵

مرتكزات حلف عبد المطلب و خزاعة: ۲۸

قريش تنقض العهد: ۲۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۴۶

سبب نقض العهد واحد: ۳۳

إستغلال الضغائن: ۳۳

الغدر بالضعفاء، و بالصبيان و النساء: ۳۴

القسوة .. لماذا؟!: ۳۵

حرمة الحرم لدى قريش: ۳۶

هل ندموا حقا؟! ۳۷

بنو نفاثة يسرقون الحاج: ۳۸

بديل بن ورقاء و ما جرى: ۴۰

بين الثأر .. و القصاص: ۴۱

الفصل الثانى: إلى المدينة: خبر و شكوى النبى صلّى اللّه عليه و آله يخبر بالغيب عن نقض العهد: ۴۷

لماذا عائشة دون سواها؟! ۴۸

حرت فى أمر خزاعة: ۴۹

سلب الألطاف الإلهية: ۵۰

النبى صلّى اللّه عليه و آله .. و نصر بنى كعب: ۵۲

نوفل يضيع الحق: ۵۶

غضب النبى صلّى اللّه عليه و آله لبنى كعب: ۵۸

نصرت يا عمرو بن سالم: ۵۹

لا نصرنى اللّه إن لم أنصر بنى كعب: ۵۹

السحابة تستهل بنصر بنى كعب: ۶۲

دخل بيت عائشة أم ميمونة؟!: ۶۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۴۷

ابن ورقاء أول المخبرين: ۶۴

عينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله تدمعان: ۶۶

قام و هو يجر رداءه: ۶۷

النبى صلى اللّه عليه و آله يأمر مخبريه بالتفرق فى الأودية: ۶۸

الفصل الثالث: أبو سفيان فى المدينة: تدليس و خداع عروض النبى صلّى اللّه عليه و آله و رفض قريش: ۷۵

مساع فاشلة لأبى سفيان: ۷۷

ترتيب الأحداث: ۸۸

سؤال و جوابه: ۸۹

على ماذا ندمت قريش؟!: ۹۰

أبو سفيان ينقض العهد: ۹۱

الخيارات العادلة: ۹۲

سياسات يعرفها الجميع: ۹۳

آراء لا يحسدون عليها: ۹۴

تحديد المتهم بدقة: ۹۵

عرام بنى نفاثة: ۹۵

بنو نفاثة يعظمون الحرم: ۹۶

الخبر اليقين: ۹۶

رؤيا هند بنت عتبة: ۹۷

أبو سفيان هو المسؤول: ۹۷

تجديد العهد، و زيادة المدة: ۱۰۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۴۸

أساليب استخباراتية فاشلة: ۱۰۱

أبو سفيان فى المدينة: ۱۰۲

خيار الهروب إلى الأمام: ۱۰۴

التدبير الصارم: ۱۰۶

مواقف مزعومة، بل موهومة: ۱۰۷

جوارى جوار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۱۲

هل تجير الزهراء عليها السّلام؟!: ۱۱۴

قد أجارت أختك: ۱۱۴

أخت الزهراء عليها السّلام: ۱۱۵

مرى ابنک: ۱۱۶

هما صبيان: ۱۱۷

قريش فى مأزق: ۱۱۹

كلمى عليا: ۱۲۰

سيد كنانة!! يطلب النصيحة!!: ۱۲۱

قريش تتهم زعيمها: ۱۲۲

الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. و الهدف مجهول استشارة أبى بكر و عمر فى أمر مكة: ۱۲۷

أبو بكر يفشى سرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۲۹

ذل العرب .. و ذل أهل مكة: ۱۳۳

حديث فاطمة عليها السّلام كان فى عام الفتح أيضا: ۱۳۴

جهزينا، و أخفى أمرک: ۱۳۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۴۹

عائشة تفشى سر النبى صلّى اللّه عليه و آله: ۱۴۰

للمباغتة و جهان: ۱۴۲

مكث ما شاء اللّه: ۱۴۳

التجهيز لسفر مبهم: ۱۴۴

نجاح الخطة: ۱۴۵

الأخذ على الأسماع و الأبصار: ۱۴۶

حتى نبغتها فى بلادها: ۱۴۷

لماذا الحديث عن قريش دون بنى بكر؟!: ۱۴۷

أبو بكر و عائشة فى مأزق: ۱۴۸

أبو بكر يصر على النبى صلّى اللّه عليه و آله إلى حد الإحراج: ۱۵۰

أليس بينک و بينهم مدة؟!: ۱۵۲

السيطرة على المسالک: ۱۵۲

إلى بطن إضم: ۱۵۴

إشارة لما سبق: ۱۵۶

النفير العام: ۱۵۷

الحضور إلى المدينة فى شهر رمضان: ۱۵۸

إبان المسير إلى قريش: ۱۵۸

الفصل الخامس: ابن أبى بلتعة .. يتجس و يفتضح اكتشاف تجسس ابن أبى بلتعة لقريش: ۱۶۳

نص الكتاب: ۱۶۶

التدخل الإلهى: ۱۶۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۵۰

لعلها عدة رسائل: ۱۸۰

مقدار الجعل على حمل الرسالة: ۱۸۱

هل نافق حاطب؟!: ۱۸۱

المخبأ العتيد: ۱۸۲

الفضل لعلى عليه السّلام: ۱۸۲

الحرس على الطريق و شى بالخائن: ۱۸۳

رسالة تهديد أم تحذير؟!: ۱۸۴

دقة معلومات حاطب: ۱۸۵

خبر السماء: ۱۸۶

ألا يكفى على عليه السّلام وحده؟!: ۱۸۷

خذوه منها، فإن أبت فاضربوا عنقها: ۱۸۸

الصلاة جامعة لماذا؟!: ۱۸۹

حاطب ينفى الشك و النفاق: ۱۹۲

تهديد المتهم: ۱۹۳

ردها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۹۴

حاطب يلتفت إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله ليرقّ له: ۱۹۵

قيمة العفو .. و الاستغفار: ۱۹۶

عذر حاطب: ۱۹۷

للنبى صلّى اللّه عليه و آله أن يعفو عن حاطب: ۱۹۸

عمر: مرنى بقتله: ۱۹۹

منقبة عظيمة لحاطب: ۲۰۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۵۱

لعل اللّه اطلع على أهل بدر!!: ۲۰۲

إصرار عمر لماذا؟!: ۲۰۵

الجرأة على الدماء: ۲۰۶

الفصل السادس: على طريق مكة إستخلف على المدينة و خرج!!: ۲۱۵

عشرة آلاف مقاتل: ۲۱۸

تأويلات و تفاصيل: ۲۲۰

لا يزال المقصد مجهولا: ۲۲۲

توضيح عن المقدمة: ۲۲۵

إلى أين يا رسول اللّه؟!: ۲۲۶

لا بد من جواب: ۲۲۸

حيث يشاء اللّه: ۲۲۹

إستنفار العرب: ۲۳۰

سليم تريد الحظوة عند النبى صلّى اللّه عليه و آله: ۲۳۱

نخوة الجاهلية: ۲۳۲

بيض النساء و أدم الإبل فى بنى مدلج: ۲۳۳

الرفق بالحيوان .. مسؤولية شرعية: ۲۳۶

صيام النبى صلّى اللّه عليه و آله فى السفر: ۲۳۹

أين أفطر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!: ۲۴۳

حديث الصيام باطل من أصله: ۲۴۴

حديث شق عليهم الصوم: ۲۴۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۵۲

الفصل السابع: هجرة العباس .. و إسلام ابن الحارث و ابن أبى سلمة إسلام العباس و هجرته: ۲۵۳

وساطة أم سلمة: ۲۵۵

هجرة العباس آخر هجرة: ۲۶۲

الهجرة لم تنقطع: ۲۶۶

الطلقاء ليسوا من الصحابة: ۲۷۱

العباس يتلقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۲۷۲

أين لقى العباس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!: ۲۷۳

تناقض و اختلاف الروايات: ۲۷۵

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يرد السلام و لا يقبل التوبة: ۲۷۵

تاللّه لقد آثرك اللّه علينا: ۲۷۸

و من أحسن قولا من اللّه: ۲۸۱

هنات و هنات فى رواية الواقدى: ۲۸۲

ألف: اعتراض أم سلمة: ۲۸۲

ب: أبو سفيان بن الحارث، و الإسلام: ۲۸۲

ج: علم ابن الحارث بقدوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۲۸۳

د: هل سيفرح المسلمون بإسلام ابن الحارث؟!: ۲۸۴

ه: بطولات أبى سفيان بن الحارث فى حنين: ۲۸۵

و: يا للأنصار! يا للخزرج!!: ۲۸۵

ز: سؤال النبى صلّى اللّه عليه و آله عن أبى سفيان بن الحارث: ۲۸۵

عمر يغرى بأبى سفيان بن الحارث: ۲۸۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۵۳

الفصل الثامن: أبو سفيان فى أيدى المسلمين ..

زعماء يربأ بهم النبى صلّى اللّه عليه و آله عن الشرك: ۲۹۱

منام أبى بكر: ۲۹۳

جيش الإسلام فى مر الظهران: ۲۹۴

إنه ليس بملك: ۳۰۷

من الذى كان مع أبى سفيان؟!: ۳۰۷

لم يبلغهم حرف واحد: ۳۰۸

تزوير الحقائق: ۳۰۸

عشرة آلاف نار لماذا؟!: ۳۰۹

إن لقيت محمدا فخذ لنا أمانا: ۳۱۰

العباس الناصح لقريش على بغلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۳۱۱

علم العباس بمكان أبى سفيان: ۳۱۲

عمر و أبو سفيان: ۳۱۴

ترهات و أكاذيب: ۳۱۶

بديل بن ورقاء خزاعى: ۳۱۷

ما هذا التصافى و الإنسجام؟!: ۳۱۸

حماس عمر لقتل أبى سفيان: ۳۱۹

تناقضات مواقف عمر و أبى بكر: ۳۲۰

لا مبرر لقتل أبى سفيان: ۳۲۳

اتهام العباس لعمر بن الخطاب: ۳۲۴

إسلام العباس .. و إسلام الخطاب: ۳۲۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۱،ص:۳۵۴

جوار العباس: ۳۲۶

هل مكث أبو سفيان عند النبى صلّى اللّه عليه و آله عامة الليل؟: ۳۲۷

ملك أم نبوة؟!: ۳۲۸

عمر لا يراعى مجالس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۳۳۰

أبو سفيان يخاف من الأذان و الصلاة!!: ۳۳۱

أسلم تسلم: ۳۳۲

المعادلة التى اعتمد عليها أبو سفيان: ۳۳۴

لو لا المعجزة لم يسلم أبو سفيان: ۳۳۵

العتاب و الجواب: ۳۳۶

تصحيح اشتباه: ۳۳۸

الفهارس:

۱- الفهرس الإجمالى ۳۴۳

۲- الفهرس التفصيلى ۳۴۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹